موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

السعادة

الدكتور محمد راتب النابلسي



www.nabulsi.com

info@nabulsi.com

مقدمة عن الكتاب

أيها الإخوة المؤمنون ، حينما يبصر المرء مباهج الدنيا وزينتها وزخرفها وفنون المتع فيها ، حينما يبصر كل هذا ولا يستطيع أن يمتلك منه شيئاً .. إنه ينظر بعينيه ويتحسر بقلبه .. فحينما يرى أحدنا قصراً منيفاً ، تحفُّ به حدائق غناءُ ذات بهجة ، وحينما يرى سيارة فارهة تمشي في الطرقات مشياً ، وحينما يرى متجراً أنيقاً مزداناً بكل طريف ، وحينما يرى مكتباً فخماً تفوح منه رائحة الثراء ، وحينما يرى مزرعة نضرة تتوسطها دارة كبيرة في مصيف جميل ، وحينما يرى ... وحينما يرى ... وحينما يرى ... إلى ما هنالك من زينة الحياة الدنيا .. قد يقول بينه وبين نفسه ، ما أسعد هؤلاء ، إنهم لذووا حظوظ عظيمة، وقد تشتط به الأماني فيقول : ليتني أملك مثل ما يملكون . السعادة الحقيقية أن تكون مع الله، فإذا كانت الدنيا أكبر همّ الإنسان فقد أحد شروط السعادة الحقيقية، لذلك الدنيا وحدها لا تسعد، يسعد إيمانك بالله مع الدنيا، أي زواج مع الإيمان شيء رائع جداً، أنا أشبه الحياة ببيت فيه ثلاجة، براد، مكيف، ميكرويف، جميع الأجهزة موجودة فيه لكن لا يوجد كهرباء، فكل هذه الأجهزة لا معنى لها، كتل بلاستيكية، فإذا جاءت الكهرباء الثلاجة بردت، والمكيف كيفك، والميكرويف سخن لك طعامك، فكل الأجهزة في البيت تعمل بالكهرباء، هذا الإيمان، مع الإيمان الزواج مسعد والله، مع الإيمان الأولاد مسعدون، مع الإيمان العلم مسعد، عندك رسالة أنت اخترت هذا العمل لتخدم الأمة، لتكون عند الله مرضياً، فكل شيء دخل في الإيمان صار مسعداً.

يتألف الكتاب من 209 صفحة ويتكون من المحاضرات التي ألقاها فضيلة الدكتور في فترات زمنية مختلفة عن السعادة، ويتضمن ما يـلي:

يبدأ الكتاب بفصل تمهيدي عن السـعادة و وجود الإنسـان، و يتحدث الكتاب في الفصل التالي عن الطريق إلى السعادة ، ثم يتناول **الفصل** الثالث مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالسـعادة و من ثم يختتم الكتاب بالحديث عن السـعادة الأبدية .

الفريق الفني

لموسوعة النابلسي للعلوم الاسلامية

في 18 /11 /2017

الفصل الأول : تمهيد

الدرس : (١-١) : مقدمة

الدرس : (١-٢) : وجود الإنسان و سعادته

الدرس : (١-١) : مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، و نستعين به و نسترشده و نعوذ به من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لك ، إقراراً بربوبيته و إرغاماً لمن جحد به و كفر ، و أشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق و البشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلي وسلم و بارك على سيدنا محمد و على آله و أصحابه و ذريته و من تبعه ذي إحسان إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تمهيد

أيها الإخوة المؤمنون ، حينما يبصر المرء مباهج الدنيا وزينتها وزخرفها وفنون المتع فيها ، حينما يبصر كل هذا ولا يستطيع أن يمتلك منه شيئاً .. إنه ينظر بعينيه ويتحسر بقلبه .. فحينما يرى أحدنا قصراً منيفاً ، تحفُّ به حدائق غناءُ ذات بهجة ، وحينما يرى سيارة فارهة تمشي في الطرقات مشياً ، وحينما يرى متجراً أنيقاً مزداناً بكل طريف ، وحينما يرى مكتباً فخماً تفوح منه رائحة الثراء ، وحينما يرى مزرعة نضرة تتوسطها دارة كبيرة في مصيف جميل ، وحينما يرى ... وحينما يرى ... وحينما يرى ...

إلى ما هنالك من زينة الحياة الدنيا .. قد يقول بينه وبين نفسه ، ما أسعد هؤلاء ، إنهم لذووا حظوظ عظيمة، وقد تشتط به الأماني فيقول : ليتني أملك مثل ما يملكون .

شعور النقص وكيفية علاجه من خلال القرآن .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ماذا تخلف هذه النظرات وتلك التنهدات في النفس .. وماذا تترك صورُ هذه المغريات في القلب ..

إنها قد تخلف في النفس شعوراً بالنقص أو شعوراً بالهون .



و تخلف فيها شعوراً بالحرمان والشقاء .

و تخلف فيها شعوراً بأن الله يعطي من يشاء ويحرم من يشاء دون أن يكون لهذه المشيئة قاعدة أو نظام .

وقد يشتط به التفكير فيرى أن المتدينين أناس فاتهم قطار الدنيا فالتفتوا إلى الدين ليعوضوا به نقصهم وحرمانهم .

أيها الأخوة ؛ هذه حالة مرضية خطيرة سببها نقص في الإيمان ، وانحراف في التفكير وضيق في الأفق ..

هذه حالة مرضية تستوجب المعالجة .. والقرآن الكريم الذي جعله الله شفاءً للنفوس وجلاءً للقلوب وهادياً للتي هي أقوم عالج هذه الحالة المرضية التي تصيب الإنسان حينما يتطلع في الدنيا إلى من هو فوقه ، ولكنْ



لماذا نقرأ القرآن تبركاً ولا نقرؤه تفهماً ؟

اذا نقرؤه تطرباً ولا نقرؤه تمعناً ؟

لماذا نقرؤه في خريف العمر ولا نقرؤه في ربيعه؟

لماذا نقرؤه عند القبور ولا نقرؤه في أبهاء القصور ؟

لماذا نقرؤه على موتانا ، ولا نقرؤه على أحيائنا؟

لماذا نقرؤه ونلتمس العلاج في غيره ؟

أيها الإخوة المؤمنون ؛ تعالوا لنرى كيف عالج القرآن هذه الحالة المرضية التي تحدثنا عنها آنفاً .

لقد عالجها بشكل رقيق وبأسلوب قصصي شائق ، وبطريقة غير مباشرة ، فقال :

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَنْ

ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ *وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[الآيات:٧٦-٨٤ سورة القصص]

قصص قرآنية

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في هذه القصة دلالات كثيرة نقف اليوم عند بعضها ، ونقف إن شاء الله في خطب لاحقة عند بعضها الآخر .

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾

[الآية:٧٦ سورة القصص]

إذا استثنينا الأغنياء من المؤمنين ، أولئك المتواضعون المتسامحون الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية تقرباً إلى الله عز وجل ، والذين لا يتيهون على الناس بما عندهم ، ولا يخرجون في زينتهم ، فيزرعون في قلوب الفقراء الحقد والحسد ، ولا يحملهم غناهم على السرف والترف والتبذير ، ولا تغريهم الدنيا بزينتها ، ولا تدفعهم أموالهم إلى المعاصي والفسوق والفجور ، إذا استثنينا هؤلاء وهم قلة ، فإن الغنى ليس في صالح الإنسان إذا لم يكن مؤمناً مستقيماً ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾

[سورة الإسراء الآية:٢٧]

إذاً كثيراً ما يقود صاحبه إلى السرف والترف والتبذير وإلى الفسق والفجور والعصيان ، واستمعوا إلى القرآن الكريم ، وقد رد فيه الترف في ثمانية مواضع وفي كل هذه المواضع قُرن الترف بالكفر والفجور .



﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:٣٣]

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾

[الآيات:١١-١٥ سورة الأنبياء]

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

[الآيات:١١٦-١١٧ سورة هود]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾

[الآيات:٣٤-٣٧ سورة سبأ]

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾

[الآية:٢٣ سورة الزخرف]

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ *أَوَآَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآَخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾

[الآيات:٤١-٥٠ سورة الواقعة]

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾

[سورة الإسراء الآية:١٦]

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ *قَدْ كَانَتْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآيات:٦٤_٦٩]

أيها الإخوة المؤمنون ، هذه ثمانية مواضع في القرآن الكريم ورد فيها الترف مقترناً بالفسق والفجور والكفر بالله والتكذيب بآياته ورسله .

إذاً : فالغنى وحده من دون إيمان واستقامة ليس دليلاً على حُظوة العبد عند ربه ، بل العكس هو الصحيح ، قال تعالى :

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ﴾

[الآية:٣٧ سورة سبأ]

إن هذه الدنيا عرض زائل ، يأخذ منه البرّ والفاجر ، ولو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء .

لا يذهبن بكم الظن إلى أن الفقر وحده من غير إيمان واستقامة دليلٌ على حظوة العبد عند ربه ، فقد يكون الفقر حاجزاً وعلاجاً .

ولكن الحقيقة أن أكرمكم عند الله أتقاكم ، أغنياء كنتم أو فقراء ، فليس الفقير الصابر بأفضل من الغني الشاكر ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :



((عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

[أخرجه مسلم وأحمد والدارمي عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه]

ويا أخوة الإيمان ، تمنوا كما تمنى لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا ربكم كما دعا لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال :

((اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً))

أي أن يكون رزقهم كافياً لهم من دون حرمان ، وشعور بالحاجة ومن دون سرف وترف وتبذير .

وإذا أصبح أحدكم آمناً في سربه معافى في جسمه عنده قوت يومه فكأنما ملك الدنيا بحذافيرها . أو كما قال .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الدرس : (١-٢) : وجود الإنسان و سعادته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، و نستعين به و نسترشده و نعوذ به من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لك ، إقراراً بربوبيته و إرغاماً لمن جحد به و كفر ، و أشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق و البشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلي وسلم و بارك على سيدنا محمد و على آله و أصحابه و ذريته و من تبعه ذي إحسان إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تمهيد



أيها الإخوة المؤمنون ؛ وصلنا في الخطبة السابقة من خلال قصة قارون التي عرضها القرآن الكريم إلى أن الغنى بغير إيمان واستقامة ليس دليلاً على حظوة العبد عند ربه ، بل كثيراً ما يدفع صاحبه إلى التشبث بالحياة الدنيا والتكذيب بآيات الله ورسله ودعاته من أجل الحفاظ عليها ، قال تعالى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

[الآية:١٦ سورة البقرة]

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الإخوة ؛ معظم الناس لا يعلمون ، أولا يبحثون عن الغاية التي أرادها الله من خلقهم ولا يعلمون ، أو لا يبحثون عن علة مجيئهم إلى هذه الدنيا ، ولم يعرفوا ، ولم يتعرفوا فهمتهم في حياتهم الدنيا ، قال تعالى :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾

[سورة الكهف الآيات:١٠٣-١٠٦]


السلوك يعكس فلسفة الإنسان في الحياة

بل إن لهم في الحياة فلسفة يؤكدها سلوكهم ، نطقوا بها أو لم ينطقوا إنهم يرون الحياة الدنيا هي كل شيء ، ولا شيء سواها ، قال تعالى :

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[الآية:٧ سورة الروم]

لذلك تراهم منكبين على جمع المال ، من طريق مشروع أو غير مشروع ، ولا يبالون أكان من حرام أم من حلال ، كل ذلك من أجل أن يعبوا من المتع الحسية ، والرفاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ولكن ما الذي يحدث وترونه بأم أعينكم ؛ إن هؤلاء الذين نسوا ربهم ، واليوم الآخر ، لم يسعدوا في دُنياهم كما كانوا يتصورون ، فالدنيا لا تستقيم لواحد من الناس إن أوتي أحد المال سلب الصحة ، وإن أوتي الصحة سلب السكينة ، قال عليه الصلاة والسلام :

((إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح))

وفي القرآن الكريم قال تعالى :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[الآية:١٢٤ سورة طه]


لا تستقيم الحياة لأحد فإن أوتي المال سلب الصحة

وهب أن الدنيا استقامت لواحد من الناس ، بعد جهد جهيد وسعي حثيث وقد ضيع من أجلها ربيع عمره ، وزهرة شبابه ، إنه ما يكاد يجمع ثروة ليسعد بإنفاقها ، وما يكاد يقطف ثمار أتعابه حتى يأتي ملك الموت ليسلبه في ثانية واحدة ما جمعه في عمر مديد ، إنه لم يذق في حياته طعم الراحة ، ولا طعم السكينة ، ومع ذلك جاء ملك الموت قبل أن يتوقع مجيئه ، ولم يعد لحياته الأبدية شيئاً من استقامة ، وعمل صالح يلقى بهما ربه ، يقول :

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

[الآية:٢٤ سورة الفجر]

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾

[سورة الفرقان]

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ *قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ *إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ * قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ *وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

[سورة المؤمنون الآية:٩٩-١١١]

الغاية من وجود الإنسان في الدنيا .

أيها الإخوة ؛ إذا لم يكن خلقنا عبثاً كما يؤكد القرآن الكريم ، فلماذا خلقنا إذن ؟

ولِمَ جيء بنا إلى الدنيا ؟

وهل لنا من مهمة علينا أن نؤديها ؟

وإن كان كذلك فما هي ؟

وما الهدف الذي يجب أن نسعى إليه حتى لا نقف موقف الحسرة والندم وموقف الخيبة والخسران يوم القيامة؟

هل خلقنا من أجل جمع المال ، ثم توريثه إلى أولادنا يعبثون به ، ويتلفونه في أقصر وقت؟ .. ولا نرى المال وحده بمسعدٍ للإنسان ، فضلاً عن أن صاحبه إن لم يكن مستنيراً مهتدياً كان أقرب إلى الانحراف والتكذيب...

هل خلقنا من أجل تحصيل الشهادات وحدها ، وتعليقها على الجدران والتبجح بها واستغلالها مادياً إلى أبعد الحدود ، ولا نرى من حصلّوا هذه الشهادات العلمية بحاجزتهم عن معاصي الله فضلاً عن أنها لا تسمو بالنفوس الوضيعة ، ولا تطهرها من نزواتها الشريرة .

مع أن المؤمن مكلف أن يتعلم هذه العلوم لأنها سلاح العصر الأول .



اللذة المؤقتة لا تضمن سعادة مستمرة

هل خلقنا من أجل أن ننغمس في الشهوات حتى قمة رؤوسنا ، وإذا وفر الانغماس في لذة مؤقتة فإنه لا يضمن للإنسان سعادة مستمرة فضلاً عن أن قدرة الإنسان على الاستمتاع بالمادة محدودة، فالشباب لا يدوم والصحة تتناقص والمال قد يزول .

فلماذا خلقنا إذن ، خلقنا من أجل أن نتعرف إلى ربنا فنسعد بمعرفته ونتقرب إليه فننعم بقربه ، ومن أجل أن نتخذ من الدنيا مطية للآخرة لذلك قال الله تعالى :

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

[سورة القصص الآية:٧٦-٧٧]

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ﴾

[سورة القصص الآية: ٧٧]

أي اجعل من منصبك قوة للضعيف قال عليه الصلاة والسلام :

((ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه ، إلا أن يتزود منهما معاً ، فإن الأولى مطية للثانية))

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))

[أخرجه الترمذي]

اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا .

اللهم اجعلها بين أيدينا راغمة ونحن في طاعتك ، ولا تجعلنا نلهث وراءها ونحن في معصيتك .

اللهم بارك لنا فيما قسمته لنا منها ، ورضنا به ، واجعل الآخرة أكبر همنا ومنتهى آمالنا ، وعد علينا بعوائدك الحسنى يا كريم .

أو كما قال .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : الطريق إلى السعادة

الدرس : (٢-١) : البحث عن السعادة

الدرس : (٢-٢) : مفتاح السعادة

الدرس (٢-٣) : طريق السعادة

الدرس : (٢-١) : البحث عن السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

حياكم الله شيخ محمد، وأهلاً وسهلاً بك في برنامج: "كيف أصبحت؟".

الدكتور راتب :

بارك الله بكم، ونفع بكم، وأعلى قدر إذاعتكم.

المذيع :

أسعد الله صباحك بكل خير، شيخنا في كل حلقة من حلقات برنامجنا كيف أصبحت؟ ونسأل الضيف يوم الخميس كيف أصبحت؟

الدعاء هو الاتصال الدائم بالله :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، يلفت نظري في هذا اللقاء الطيب المتعلق بالسعادة وبالإصباح أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما يستيقظ من منامه، يقول: " الحمد لله الذي مدّ لي في أجلي- أي سمح لي أن أعيش يوماً جديداً، نعمة لا نعرف قيمتها -وعافاني في بدني- أي استيقظ توجه نحو الوضوء توضأ صلى تحرك - وأذن لي بذكره ".

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

هذا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، مدّ لي في أجلي، وعافاني في بدني، وأذن لي بذكره، هذه نعمة، والدعاء الحقيقة هو الاتصال الدائم بالله، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾

[سورة المعارج: ٢٣]

لا يعقل أن يصلي دائماً، لكن الدعاء صلة بالله، دخل إلى البيت زوجته تنتظره، أولاده أمامه، ذهب إلى عمله له مكانة في عمله، تحرك صحته جيدة، هذه كلها نعم، فكلما شكرت هذه النعم دامت، فإذا غفلنا عنها قد نفتقدها.

المذيع :

نسأل الله أن يديم علينا طاعة ربنا، وأن يوفقنا لمرضاته في كل أمور حياتنا.

الفرق بين اللذة و السعادة :

الدكتور راتب :

لكن لا بد من أن أفرق بين مفهومين متداخلين، اللذة والسعادة، اللذة طابعها حسي، تحتاج إلى مال لتأكل، مكان جميل لتسكن، مركبة فارهة لتركبها، تحتاج إلى مال، وإلى وقت، وإلى صحة، ولحكمة بالغة بالغة دائماً يفتقد الإنسان أحد هذه الشروط الثلاثة .



ففي البدايات الصحة جيدة جداً شاب، و عندك وقت فراغ لكن لا يوجد مال، تسلم عملاً وظيفياً أو تجارياً، الصحة موجودة والمال موجود لكن لا يوجد وقت، الوقت كله لعمله، الآن تقاعد سلم أولاده المعمل صار عنده فراغ و مال لكن لا يوجد صحة، أما الاتصال بالله الذي يحقق السعادة فهذه مستمرة، اللذة شيء والسعادة شيء آخر، اللذة حسية طابعها مادي، تأتي من طعام طيب، من بيت واسع، من إطلالة جميلة لهذا البيت، من فاكهة، من أشجار، من حدائق، اللذة طابعها حسي، أما السعادة فتدخل في كل خلية من كيانك، قد تسعد، سعد سيدنا إبراهيم وهو في النار، وسعد سيدنا يونس وهو في بطن الحوت، قد تسعد في أصعب الظروف في الأرض، وأنت في هذا المكان الذي لا يحتمل أنت أسعد الناس، السعادة اتصال بالله، الإنسان يحب الجمال والكمال والنوال، يحب النوال العطاء، شخص أعطاك مليون دينار، تحبه طبعاً، يحب الكمال موقف أخلاقي، كل موقف أخلاقي أنت معجب به،

وتحب المال والجمال والكمال، هذه الثلاثة عند الله متوافرة في دينه، أنت إذا أقبلت على الله حققت النوال والجمال والكمال، أنت تتصل مع من؟ مع الجميل، كل ما في الأرض من جمال طبيعي، من جمال صوري، من جمال أفعال من الله عز وجل، فأنت مع أصل الجمال والكمال والنوال، لذلك إن لم تقل أيها المؤمن ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني أنت بعيد عن السعادة.

المذيع :

دكتور محمد راتب النابلسي نتكلم في هذه الحلقة عن السعادة، وقد ذكرنا في بداية الحلقة أن الإنسان يتقلب أحياناً بين نعمة يريدها من زوجة أو مال أو ولد أو عمل أو غير ذلك، ويظن أن فيها السعادة الحقيقية، هل ممكن أن تعطينا تعريفاً شاملاً عن مفهوم السعادة؟

تعريف شامل للسعادة :

الدكتور راتب :

والله أنا كرجل دين فهمي مستنبط من الكتاب والسنة، وأنا أرى وأنا أقصد ما أرى ومتأكد مما أرى أن السعادة في الاتصال بأصل الجمال والكمال والنوال، الله جميل، أحياناً يتجلى على عباده بمسحة من جماله يأخذ بالألباب، يتجلى على مكان جبل أخضر، مطل على بحر أزرق، يتجلى على عصفور بألوان زاهية، على الورود، هذا كله جمال الله عز وجل، فكيف إذا اتصلت مع الله عز وجل؟ أنت مع آثار الجمال المتواضعة تسعد بها فكيف إذا كنت مع أصل الجمال؟ لذلك:

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنـــا   فإنا منحنا بالرضا من أحبنـــــا
ولذ بحمانا واحتمِ بجنـابنــــــا   لنحميك مما فيه أشرار خلقنــــا
وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغـــل   وأخلص لنا تلقى المسرة والهنـــا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن   فما القرب والإبعاد إلا بأمــــرنـا
فيا خجلي منه إذا هو قال لـــي   أيا عبدنـــا ما قـــــرأت كتابنــا
أما تستحي منا ويكفيك ما جرى   أما تختشي من عتبنا يوم جمعنــا
أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً   وتنظـــــر ما به جـــاء وعدنــا
فأحبابنا اختاروا المحبة مذهبــاً   وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا

الشاهد الآن:

فلو شاهدت عيناك من حسننـا الذي رأوه لما وليت عنـــا لغيرنـا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنــا
ولو ذقت من طعم المحبــة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـــا
ولو لاح من أنوارنا لك لائـــح تـركت جميع الكائنـــات لأجلنـــا

* * *

فما حبنا سهل وكل من ادعـى سهولته قلنا له قــــد جهلتنـــا
فأيسر ما في الحب للصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

***

أنا من منظور ديني إيماني قرآني إسلامي أرى أن السعادة كل السعادة أن تكون مع الله:

كن مـع الله ترَ الله معك واترك الكل وحاذر طمعك
و إذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك

* * *

أنا أرى السعادة أن تكون مع أصل الجمال والكمال والنوال، والأنبياء سعداء، والمؤمنون سعداء في كل بقاع الأرض، وفي كل الأطوار، سيدنا إبراهيم كان سعيداً وهو في النار، سيدنا يونس وهو في بطن الحوت، الأوضاع الصعبة جداً إذا كنت مع الله كان الله معك، و إذا كان الله معك فمن عليك؟ ويا رب ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك؟

المذيع :

دكتور محمد بارك الله بك لا شك أن الأشياء الجميلة تستجلب بعوامل معينة، برأيكم ما هي العوامل التي من خلالها نستجلب السعادة مع بداية هذا الصباح الجميل؟

أسعد إنسان من يتصل مع أصل الجمال و الكمال و النوال :

الدكتور راتب :

الإجابة عن هذا السؤال دقيقة جداً، أنت بتعبير معاصر برمجت، بتعبير آخر ولفت، بتعبير إسلامي أنت فطرت، لك خصائص، هذه الفطرة تنطبق تماماً على منهج الله، فكل أمر أمرك الله به جبلك وبرمجك أو فطرك على محبته، وكل نهي نهاك الله عنه جبلك وفطرك وبرمجك على كراهيته، والدليل قال تعالى:

﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾

[سورة الحجرات: ٧]



أنت عندما تطبق منهج الله عز وجل تسعد، مثل سيارة مرسيدس أحدث موديل مصممة لطريق معبد، إن سرت فيها بطريق وعر كسرتها، هذه مصممة لطريق معبد، فأنت مصمم لطاعة الله، فإذا أطعته اصطلحت مع نفسك أولاً، حينما تؤدي الحقوق تكون باراً بوالديك، تكون وفياً لأصدقائك، تكون زوجاً صالحاً، حينما تكون كما ينبغي أن يكون الإنسان، تشعر بسعادة لا توصف، والله أخ من أخواننا ذهب إلى بيت الله الحرام عندما رجع، ذهبت إلى زيارته وتهنئته قال: والله– وبكى – ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني، إلا أن يكون أتقى مني، السعادة شيء ملموس، إذا لم يقل لك المؤمن: أنا أسعد الناس على أي وضع، هناك حالات صعبة جداً، المؤمن اتصل بالله عز وجل، اتصل مع أصل الجمال والكمال والنوال، فالأشياء التي حوله لا قيمة لها إطلاقاً.

المذيع :

هنا عبر الرسائل النصية أحدهم يقول: للسعادة أسباب، فمثلاً اليوم سبب سعادتنا وجود الدكتور، فعلاً نحن سعيدون بك.

الدكتور راتب :

جعلنا الله أهلاً لذلك.

المذيع :

دكتور أحياناً الإنسان يظن أن السعادة في شيء معين لأنه يفقده، فإذا وصل إليه وعايشه وعاشره إلى آخره تركه وسعى إلى شيء آخر، هل هذا أمر موجود في الإنسان؟

الله عز وجل هو الجهة التي كلما أقبلت عليها ازددت سعادة :

الدكتور راتب :

هذا من فضل الله علينا، الله عز وجل ما سمح للدنيا بكل ما فيها من أموال، من نساء، من قصور، من مناصب، من ثروات، من مكانة اجتماعية، ما سمح للدنيا أن تمد الإنسان بسعادة مستمرة بل بسعادة متناقصة، والشيء متى تسعد به؟ قبل أن تملكه، فإذا وصلت إليه انتهت سعادتك، هذه حكمة بالغة جداً، لو الإنسان بقي سعيداً بالدنيا ما طلب الآخرة، لكن يظن أن الزواج شيء لا يوصف، يتزوج، يجد أنه شيء عادي، يظن أن السيارة شيء كبير جداً، يشتري سيارة، عادي، يشتري بيتاً، عادي، الشيء يتألق أمامك قبل أن تصل إليه فإذا وصلت إليه انتهت مهمته الجمالية، هذه نقطة مهمة جداً.

ما الجهة التي كلما أقبلت عليها ازددت سعادة؟ الله عز وجل، أنت مع الله، الله لا نهائي، هناك كلام خطير ودقيق لأنك أيها الإنسان مبرمج أو مصمم أو مؤهل لمعرفة الله، والإله لا نهائي، أعطاك نفساً لا نهائية، هذه النفس اللانهائية هي المؤهلة لمعرفة الله اللانهائي، فإذا اختارت النفس شيئاً نهائياً تسعد به قبل أن تصل إليه، فإذا بلغته انتهت سعادتها، واسأل إنساناً معه مليارات، اسأل بيل كيت يملك أربعة وثمانين ملياراً، الآن عادي، من أيام كان على فراش الموت فكتب رسالة أن المال لا معنى له عندي إطلاقاً.

أغنى إنسان في التاريخ، ليس في العالم، عفواً صاحب آبل جوبس، قال: المال لا معنى له عندي، هذه الدنيا قبل أن تصل إليها تتألق، فإذا بلغتها انتهت، إلا أنك إذا اخترت الله، أنت في سعادة متنامية إلى الموت وبعد الموت.

المذيع :

دكتور محمد طالما أن الإنسان جبل وفطر على حب سلامته وسعادته هنا السؤال لماذا شقاؤه إذاً؟

شقاء الإنسان نتيجة أن أهدافه انتقلت من حجم كبير إلى حجم صغير :

الدكتور راتب :

لأنه توهم السعادة في المال، فإذا سعى إليه بل سعى إليه على حساب مبادئه وقيمه ثم وصل إليه يكتشف صغره، فيبدأ شقاؤه .



دائماً الشيء يتألق يتلامع قبل أن تصل إليه، يقول لي أحد أقربائي دخل الجامعة: عندما ينام يحلم أن معه ليسانس، حتى يكتب على دفاتره ليسانس في الآداب والعلوم، مثلاً عندما أخذ الليسانس سعد أسبوعاً واحداً وانتهى الليسانس، الآن الليسانس والزواج والسيارة والمنصب الرفيع كلها هكذا، ترى الذي يصل إلى أهدافه، أهدافه انتقلت من حجم كبير إلى حجم صغير جداً.

المذيع :

دكتور من أجمل ما سمعت يقولون: المولود عندما تنتظره اللحظة الوحيدة التي تتجلى فيها السعادة حينما تبشر ثم بعد ذلك تبدأ الطلبات وغير ذلك.

الدكتور راتب :

الإنسان إذا أيقن أن سعادته الحقيقية المستمرة المتنامية مع الله وقف على باب السعادة الأول والأخير.

المذيع :

دكتور لنأخذ تلك الصورة التي كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بعث وكان من حوله من الصحابة الذين أسلموا متعلق بماله، بأمور الدنيا، وهذا طبيعي في ذلك الوقت خصوصاً مع وجود الشرك، فكيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤسس الأمور الكفيلة بسعادة الإنسان ويغير قناعاته؟

السعيد من لزم منهج الله :

الدكتور راتب :

إذا كان الشخص جائعاً جداً وأمامه صحن طعام من أيام ثلاثة وبداية فساده، من شدة جوعه يأكله، أما لو شاهد طبقاً من اللحم المشوي الطازج، وهذا طعام قديم وبداية فساده ما الذي يصرفه عن الطعام الثاني؟ الأول، اللحم المشوي، فأنت حينما تذوق طعم القرب من الله تزهد بما سواه، ومن عرف الله زهد بما سواه، أنت وصلت إلى الأصل، الفرع ليس له طعم، إلا أن هناك حقيقة مرة، وأنا في حياتي اليومية أرى أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، أنت حينما تؤمن أن سعادتك، راحة نفسك، إقبالك، تألقك في معرفة الله وطاعته، إن لزمت هذا المنهج فأنت سعيد طبعاً، قطعاً، أما إذا توهمته في المال فهناك خيبة ظن بعد حين، توهمته في المنصب، إنسان تعين في منصب رفيع، أي حرس وسكرتيرة وسيارات هذه أول أسبوع فقط، بعد أسبوعين أو ثلاثة يكون عادياً، ثماني سيارات على الباب، وسيادة الوزير، كله انتهى، عظمة هذا الدين أنه من أجل أن تتعرف إلى الله، فإذا أخطأت وطلبت غير الله سريعاً ما تنتهي هذه السعادة، وتنقلب إلى لذة، لذلك أصعب شيء في الحياة أن يكون الهدف مادياً، وعندما تصل إليه تكتشف اكتشافاً خطيراً أن هذا الذي طمحت إليه لأربعين سنة ماضية ليس في مستوى طموحك.

المذيع :

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي، النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ أصبَحَ منكم آمِنا في سِرْبِه، مُعافى في جَسَدِهِ، عندهُ قوتُ يومِه، فكأنَّما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها))

[الترمذي عن عبيد الله بن المحصن]

السؤال هنا هل هذه الثلاثة هي مقومات السعادة؟ هل باتت تكفي اليوم ليصبح المرء سعيداً؟

حاجة الإنسان إلى السلامة و السعادة و الاستمرار :

الدكتور راتب :

المعنى له منحى آخر، الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب، ولولا أنه يجوع ما رأيت هذه الإذاعة، ما رأيت على الأرض شيئاً، الجوع دافع للعمل، الجوع أريد أن آكل إذاً أريد مالاً، إذاً أبحث عن عمل، الأرض بنيت بالجوع، الجامعات بنيت بالجوع، كل شيء تراه عينك أساسه جوع، من هو الإنسان؟ كائن يحتاج إلى طعام ليحافظ على وجوده الفردي، ثم يحتاج إلى زواج ليحافظ على بقاء النوع دون أن يشعر، ثم يحتاج إلى التفوق، الإنسان يحب سلامة وجوده، ويحب كمال وجوده، واستمرار وجوده، سلامة وجوده بالمنهج

الإسلامي، أن يطبق تعليمات الصانع، له صانع عظيم هو الله، ولهذا الصانع العظيم تعليمات التشغيل والصيانة، فانطلاقاً من حرصه على سلامته فقط يطبق تعليمات الصانع فيسلم، أما إذا أقبل عليه فيسعد، أما إذا ربى أولاده فيستمر وجوده، في الأرض سبعة مليارات ومئتا مليون إنسان، أنا أرى ما منهم واحد إلا يتمنى سلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده، السلامة لأنك أعقد آلة في الكون ولها صانع عظيم، ولهذا الصانع العظيم تعليمات التشغيل والصيانة، إذاً سلامتك باتباعك تعليمات الصانع، أي بالاستقامة، الاستقامة ترك، ما أكلت مالاً حراماً، ما كذبت، ما غششت، ما آذيت أحداً، لكن هناك شيئاً أبلغ من الاستقامة أنت إذا أقبلت على هذا الإله العظيم سعدت في رحمته، في لطفه، في قوته، في غناه، النوع الثاني أن تقبل عليه عندئذ تأخذ الجانب الإيجابي في الدين، أما إذا أردت أن تستمر أنت لن تستمر، كل مخلوق يموت، يستمر بأولاده إذا ربى ابنه على القيم التي آمن بها استمر، الذي له أولاد رباهم تربية إيمانية لا يموت، لأن استمرار وجوده بأولاده، أنت بحاجة إلى السلامة والسعادة والاستمرار، الاستقامة سلبية، والسعادة إيجابية بالعمل الصالح، والاستمرار بتربية الأولاد.

المذيع :

دكتور أحياناً الموازين تضطرب في عين الإنسان وخصوصاً إذا سمع هذا الكلام الجميل، قضية السعادة باتصال الإنسان بربه سبحانه وتعالى، بعد ذلك هو مقبل على الله في كل شؤون حياته، منعزلاً عن الدنيا، تزوج لا والله، اعمل والله أنا أعمل عند الله عز وجل، وأعبد الله فينفصل تماماً، ثم يجد بعد فترة شيئاً من الملل الذي أصيب به بصورة أو بصورة أخرى، الآن كيف يمكن للإنسان المسلم أن يوازن بين هذا وهذا؟

منهج الله يضمن للإنسان أعلى سعادة :

الدكتور راتب :



هذه حالة مرضية لأن خالق الأكوان صممك أن تتزوج، وأن تعمل، وأن تكسب المال، وأن تكون يدك العليا .

الإله هكذا صممك، فأنت إذا اجتهدت واخترعت ديناً ثانياً أنت لا تعمل، أصبحت عالة على الناس، ضعفت مكانتك، ضعفت حياتك، ما نجحت في زواجك، سوف تختار واحدة لا ترضيك، فأنت حينما تتحرك وفق منهج الله، منهج الله

يمكن أن يضمن لك أعلى سعادة، ولو كان لك عمل تجاري، التجار المؤمنون لهم مكانة كبيرة، أنا كنت في أندونيسيا، أكبر قطر إسلامي في الأرض، مئتان وخمسون مليون مسلم، ما سبب إسلام هذه البلاد الشاسعة؟ تسعة تجار فقط، جاؤوا إليها ومن خلال التجارة أسلموا، فلذلك العمل مقدس في الإسلام، واليد العليا خير من اليد السفلى، وأنت تؤكد ذاتك في العمل، في العمل يكون لك تألق، والعمل له مرجعية إسلامية، لا تأكل مالاً حراماً، لا يوجد ربا، هذا يمشي بشكل صحيح في تألق.

المذيع :

دكتور المعركة مع الشيطان معركة مستمرة إلى قيام الساعة يمنينا بالمفقود لنكره الموجود، والإنسان يظل باحثاً عن هذا المفقود حتى إذا ما امتلكه كما أشرتم تحول إلى شقاء موجود ما هو الحل برأيكم؟

المعركة مع الشيطان معركة مستمرة إلى قيام الساعة :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن إنساناً يدفعك إلى باب الله دون أن تشعر ، هذا دور الشيطان، لأنه حينما يلقي بنفسك الوساوس، ويشعرك بفقرك تتحرك، فإذا تحركت وفق منهج الله نسيت كل هذه الوساوس، الشيطان له دور إيجابي لكن غير معلن، هو بالأساس دوره سلبي، الشيطان يوسوس المؤمن لا يقبل هذه الوسوسة، فيرقى عند الله، يسمونه محفزاً، دون أن يشعر أحياناً الإنسان ينفع إنساناً آخر من حيث لا يريد ولا يشعر ، الشيطان يوسوس والوسوسة مؤلمة جداً، قال له مثلاً: من خلق الله؟ لا ينام الليل، التقى مع علماء أسمعوه دليلاً قوياً جداً ارتاح، قفز ، ممكن وسوسة تعمل قفزات نوعية في عالم الإيمان دون أن يشعر ، أنا أعتقد أن الشيطان هو واضح أنه سلبي، يدعو إلى المعصية، إلى التفلت، إلى الدنيا، لكن أحياناً له دور إيجابي، فإذا دفعك لا سمح الله إلى شيء لا يرضي الله ورأيت خسته، أنت تعود إلى الله.

المذيع :

دكتور محمد قبل أن نتوجه إلى الرسائل النصية، أحياناً ينظر الإنسان إلى هذا الكون الذي يعيش فيه، ثم يجد ذلك العالم في علوم الطبيعة، يجد سعادته في تحليل الأمور الظاهرة، بإبداع الخالق سبحانه وتعالى، في العلوم أيضاً نجد استخراج السعادة من بين هذه النصوص أو من بين هذه المعادلة، الدكتور محمد راتب

النابلسي أعطى مادة تفسيرية جميلة جداً في قضية الربط ما بين العلم وما بين آيات الله عز وجل في القرآن الكريم.

التفكر في خلق السموات و الأرض أقصر طريق إلى الله :

الدكتور راتب :

أنا أرى ولعلي على صواب إن شاء الله أن أقصر طريق إلى الله، و أوسع باب ندخل منه على الله، هو التفكر في خلق السموات والأرض، لماذا؟ أنت في القرآن الكريم إن قرأت آية فيها أمر هذه الآية ماذا تقتضي منك؟ أن تأتمر، وإذا قرأت آية فيها نهي ماذا تقتضي؟ أن تنتهي، إن قرأت قصة نبي تقتضي منك أن تتعظ، لا يوجد آية في القرآن إلا ولها هدف، فإذا قرأت ألفاً وثلاثمئة آية بالقرآن تتحدث عن الكون والإنسان، هذه ماذا تقتضي؟ أن تتفكر في خلق السموات والأرض، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٠-١٩١]



يتفكرون جاءت فعلاً مضارعاً، والمضارع يفيد الاستمرار، عفواً أنا أمامي كأس ماء، هذا الماء له خاصة لولاها لما كانت هذه الإذاعة، ولما كان هناك قطر، ولما كانت البلاد كلها، ولما كان الإنسان، ما هي هذه الخاصة؟ الماء مثل أي عنصر تسخنه يتمدد، تبرده ينكمش، كل سائل في الأرض بالتسخين يتمدد، بالتبريد ينكمش، إلا الماء فيه خاصة معينة، حرارة الماء عشرون، خفضت الحرارة للخامسة عشرة، للعشر درجات حتى وصلنا إلى أربع درجات يا الله تنعكس الآية يزداد حجم الماء، لولا تمدد حجم الماء بالدرجة زائد أربع لانتهت الحياة، ما الذي يحصل لو لم يكن هذا القانون؟ الطبقة العليا في البحار تتجمد فتنكمش تزداد كثافتها تغوص، بعدها طبقة ثانية تتجمد تغوص إلى أن تتجمد البحار بأكملها، ينعدم البخار، ينعدم المطر، يموت النبات، يموت الحيوان، يموت الإنسان، حياة الكائنات الحية في الأرض مبنية على خاصة في الماء، هذا التفكر يضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله عز

وجل.

المذيع :

دكتور أعود إلى موضوع السعادة، ترتبط السعادة في كثير من تجلياتها بالسكينة واطمئنان القلب كيف يكون ذلك وما هي مسبباتها؟

ارتباط السعادة بالسكينة و اطمئنان القلب :

الدكتور راتب :

أولاً: لا يمكن أن تخطب ود الله بطاعته أو بخدمة خلقه دون أن يخطب ودك بالسكينة، تخطب وده بطاعته، وبخدمة خلقه، والإحسان إلى خلقه، وبالعفو عمن ظلمك، إذا خطبت ود الله بعمل صالح يخطب ودك بالسكينة، السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء، شيء من الصعب أن تتصوره، تقول: سعادة سعادة، توازن توازن، قوة شخصية قوة شخصية، قرار حكيم قرار حكيم، رؤية ثاقبة رؤية ثاقبة، ، شيء عجيب، السكينة يتألف عنها ألف صفحة، هذا عطاء إلهي، أي إنسان مؤمن يكافئه الله بأن ينزل على قلبه السكينة، فالأنبياء سعدوا بها والصحابة سعدوا بها، ونحن عندما نفتقدها نشقى، إن الله يعطي الذكاء، والقوة، والمال، والجمال للكثيرين من خَلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

المذيع :

دكتور سائلة تقول: هل عندكم تفسير لفقدان التلذذ أو الاحتياج لأي شيء في الدنيا علماً بأني مقصرة في حق الله.

الدكتور راتب :

السؤال غير واضح.

المذيع :

هي تقول إنها تفقد التلذذ في كل شيء في الدنيا بنفس الوقت هي مقصرة في حق الله، تقول: لماذا لا أجد التلذذ في أمور الدنيا؟

السعادة الحقيقية أن يكون الإنسان مع الله :

الدكتور راتب :

الحقيقة السعادة الحقيقة أن تكون مع الله، فإذا كانت الدنيا أكبر همّ الإنسان فقد أحد شروط السعادة الحقيقية، لذلك الدنيا وحدها لا تسعد، يسعد إيمانك بالله مع الدنيا، أي زواج مع الإيمان شيء رائع جداً، أنا أشبه الحياة ببيت فيه ثلاجة، براد، مكيف، ميكرويف، جميع الأجهزة موجودة فيه لكن لا يوجد كهرباء، فكل هذه الأجهزة لا معنى لها، كتل بلاستيكية، فإذا جاءت الكهرباء الثلاجة بردت، والمكيف كيفك، والميكرويف سخن لك طعامك، فكل الأجهزة في البيت تعمل بالكهرباء، هذا الإيمان، مع الإيمان الزواج مسعد والله، مع الإيمان الأولاد مسعدون، مع الإيمان العلم مسعد، عندك رسالة أنت اخترت هذا العمل لتخدم الأمة، لتكون عند الله مرضياً، فكل شيء دخل في الإيمان صار مسعداً.

المذيع :

دكتور كيف الإنسان يصل إلى الرضا ثم إلى السعادة؟

أسباب السعادة الكبرى :

الدكتور راتب :

أنت حينما ترضي الله يرضى الله عنك، إذا أرضيت الله يلقي في روعك أنه يحبك، هذا الشعور لا يقدر بثمن، من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حج له، من عظمة الإله العظيم إذا أنت خطبت وده يلقي في روعك أنه يحبك، هذه أحد أسباب السعادة الكبرى.

المذيع :

يسأل الفرق بين سعادتي الدنيا والآخرة، هل يمكن أن تمثلها بمثال؟

الفرق بين سعادتي الدنيا والآخرة :

الدكتور راتب :

قال تعالى:

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

[سورة محمد : ٦]

ذاقوا طعمها، ما طعم السعادة في الدنيا؟ سعادة القرب من الله، كان في الدنيا قريباً من الله، فسعد بهذا القرب، قال تعالى:



﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

[سورة محمد : ٦]

عرفها لهم في الدنيا، عرفها لهم بالإقبال عليه، عندما يقرأ المؤمن القرآن ويبكي يحس بسعادة لا توصف، لا يوجد مؤمن يقوم بعمل صالح إلا ويشعر بالسعادة، هذه السعادة تأتينا في الدنيا، تأتينا بشكل ومضات، هناك حكمة إلهية لو السعادة ازداد عطاؤها لا تعمل شيئاً، أحياناً تصلي فتبكي في الصلاة إذا كنت تبكي بشكل دائم لا تعمل تقعد في البيت، تضطر ان تتزوج تنجب أولاداً تعلمهم، يريدك أن تعمل في الدنيا، الدنيا دار عمل، والآخرة دار أمل، إذا أنت عكست الآية جعلت الدنيا دار أمل، هذه مشكلة كبيرة، تأتيك ومضات، إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها. هناك نفحات إيمانية مسعدة جداً، وهذه ليست دائمة تأتي مثل ومضات، الدائم تريد أن تتزوج، تشتري بيتاً، تختار حرفة، تقدم للناس شيئاً، تخدم الناس.

المذيع :

أنت ذكرت أن الإنسان يجد سعادته بالدعاء، هنا السؤال يقول: ما هي أفضل حالة للدعاء؟

أفضل حالات الدعاء :

الدكتور راتب :

حينما تكون مضطراً، المضطر يستجاب دعاؤه ولو لم يكن أهلاً والدليل:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾

[سورة النمل:٦٢]

قال له: يا رب لا يوجد غيرك.

المذيع :

دكتور محمد كما أن هناك نظرة إلى بعض الأشخاص الذين أعطاهم الله من المال وهم على معصية كذلك ينظر إلى بعض الآخرين أنهم سعداء وهم على غير ملة الإسلام، وهذا لعله يتمثل في سؤال أحد الأخوة عبر الرسائل النصية القصيرة ٩٢٦٢٨ يقول: لماذا نجد كثيراً من غير المؤمنين بالله والعصاة سعداء وأغنياء؟ هذا هو السؤال.

احترام قرار الله دليل إيمان الإنسان :

الدكتور راتب :

إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه، وإن من عبادي لا يصلح له إلا الفقر، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه، أي إن بعض الناس على الغنى تتألق، وآخر على الغنى يفسق، الله يبقيه بدخل محدود حتى يبقى مستقيماً، هذه حكمة إلهية أن الله علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، أما الرابعة وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون فالإنسان إذا أيقن بمحبة الله له، ورحمته به، وساق له مصيبة معينة، الإيمان يقتضي أن ترضى بهذه المصيبة، ليس معنى أن تقبل بها لكن إذا أصابتك يجب أن تتلقاها و أنت راض، الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين، فالإنسان إذا عرف أن له رباً عظيماً، مربياً، حكيماً، قديراً، سميعاً، بصيراً، غنياً، وهذا قرار الله عز وجل فاحترام هذا القرار دليل إيمان الإنسان.

المذيع :

دكتور محمد هناك أيضاً سائل لعله يتصل أيضاً بموضوع التربية والأبناء بشكل كبير، نقل هذه المفاهيم، ونقل هذه السلوكيات إلى أبنائنا، السؤال يقول كيف أفهم أبنائي معنى الإيمان؟ كيف أنقل إليهم مفهوم الإيمان؟ الكبير تمر عليه المصطلحات ويفهمها لكن الصغير يحتاج إلى توضيح؟

ضرورة وجود جلسة حوارية دائمة بين الأب و أولاده :

الدكتور راتب :

والله أنا أرى وأنا على الإذاعة ويسمعني من يسمعني أن الأب لا بد من جلسة حوارية مع أولاده .



لا بد من جلسة حوارية مع أولاده يعرفهم بالله عز وجل، يعرفهم بسر وجودهم، وغاية وجودهم بشكل مبسط، الأب ليس له علاقة بأولاده إلا بالطعام والشراب، هذا الإنسان إذا قدم لأولاده الطعام والشراب لم يربهم، كفى بالمرء إثماً أن يضوع من يقوت، وهو يقوتهم؛ يطعمهم، يكسوهم بالمدارس، لكن لم يعرفهم بالله عز وجل، فلا بد لكل أب من جلسة مع أولاده قد تكون أسبوعية، قد تكون يومية، قد تكون نصف شهرية، لكن لا بد من جلسة يقول له: يا بني الله خلقنا للجنة، وهذه الدنيا للعمل الصالح، والإنسان باستقامته يسعد ويرقى عند الله، وتعطيه أمثلة عن الصحابة، عن التابعين، فلا بد من توجيه الأولاد، والأولاد امتداد الإنسان، فالذي يريد أن يصل إلى الجنة:

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

[سورة الطور: ٢١]

العلماء قالوا: ألحقنا بهم أعمال ذريتهم.

المذيع :

دكتور أيضاً عبر رسائل الواتس أب يا شيخ السؤال يقول: كيف نعلم أنفسنا القناعة حتى نشعر بالسعادة؟

سعادة الإنسان بالعمل الصالح :

الدكتور راتب :

مثلما قلت قبل قليل يوجد طعام رديء، ويوجد أمامه طعام نفيس، فإذا رأيت النفيس تركت الطعام الرديء، السعادة حينما تذوقها لا يمكن أن تقبل سواها، فالإنسان كل سعادته بالمال، سعادته بالطعام الطيب، سعادته بالبيت الراقي، هذا سعادته هنا، انتهت هنا سعادته، لكن لم يعمل عملاً يقربه من الله، لذلك لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف.

المذيع :

أيضاً هذه رسالة تطلب منك دكتور محمد أن توجه رسالة لمن يأكل الحرام ويظن أن هذه سعادة.

العاصي أغبى إنسان لاستهانته بمعصية الله :

الدكتور راتب :

أنا شخصياً لا أرى على وجه الأرض أغبى من العصاة، لأنه هو استهان بمعصية الله لن يكون سعيداً لا في الدنيا، ولا في الآخرة، مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح، أو أن تطيعه وتخسر، مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح أو أن تطيعه وتخسر:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة:١٨]

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة الجاثية:٢١]

أنا أقول: زوال أهون على الله من أن يستوي في خلقه الصالح مع الطالح، والخير مع الشرير، والمعطي مع المانع.

المذيع :

دكتور محمد هناك أيضاً رسالة وصلتنا ٩٢٦٢٨ الرسائل النصية القصيرة تقول الرسالة: السلام عليكم أنا أقوم بفعل أشياء غير مستحبة، وأندم عليها، وأعزم على عدم العودة إليها، لكن تعود نفسي تحدثني بها وأفعلها وتعاد الكرة مرة ثانية، هو يسأل: ما سبب هذا؟ أرجو النصح حيث أنه يعلق في النهاية ويقول: هذا يجعلني حزيناً طوال الوقت.

حاجة كل إنسان إلى حاضنة إيمانية :

الدكتور راتب :

لذلك أقول لهذا السائل الكريم: لا بد لك من حاضنة إيمانية، والدليل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]



أنت بحاجة إلى رفيق مؤمن، إلى مجتمع مؤمن صغير، لو أنك اخترت هذا الإيمان وحولك أناس متفلتون لن تستطيع أن تستقيم، والأمر الإلهي:

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

أمر ثان:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

[سورة الكهف: ٢٨]

لا بد للسائل ولأي سائل آخر من حاضنة إيمانية، يريد مجتمعاً إيمانياً، مجتمعاً يقيّم لك الدين تقييماً جيداً، وهناك أشخاص متفلتون يريك الدين شيئاً قديماً، أفيون الشعوب، مرحلة تخطيناها.

المذيع :

دكتور أيضاً هنا عبر الرسائل النصية القصيرة٩٢٦٢٨ فضيلة الشيخ كما سألناك قبل قليل هناك من يسأل عن طريقة إيصال المفهوم الإيماني للأبناء، أيضاً سؤال آخر ولكن عن السكينة يقول السائل: السلام عليكم شيخنا الكريم السكينة هي هبة من الله تعالى ولكن كيف يمكنني أن أربيها في أبنائي؟

كيفية زرع السكينة في الأبناء :

الدكتور راتب :

أنت حينما تطيع الله عز وجل أو يطيع أبناؤك ربهم، الثمرة الحقيقية اليانعة القطعية السكينة، أي أنت إذا جاءك ابنك آخر العام ومعه الجلاء وكان متفوقاً هل يكتفي أن تقول له: نعم أما تضمه وتقبله وتعانقه؟ لا يمكن أن تخطب ود الله دون أن يخطب ودك، غير معقول إنسان يخطب ود الله عز وجل، يطيعه، يغض بصره، يضبط لسانه، يبر والديه، ولا يجد من الله جواباً، الله عز وجل إله مرب، أي يكافئ على الحسنة في الدنيا قبل الآخرة، فأنا أقول: المؤمن سعيد لأن الله يكافئه.

المذيع :

هنا أيضاً سائل يقول: السلام عليكم شيخنا الفاضل، أنا أحضر كل محاضراتك على اليوتيوب، ويقول: جزاك الله خيراً، ويقول أيضاً: والله إني وجدت السعادة كل السعادة في كتاب الله وحفظه قولاً وعملاً، فمن أراد السعادة فهي في القرب من الله وكتابه.

الدكتور راتب :

بارك الله به وزاده علماً وقرباً.

المذيع :

أيضاً دكتور محمد راتب النابلسي عندي مجموعة من الأسئلة عبر الواتس أب هذا السؤال يقول: ماذا تفعل وأنت مؤمن بقواعد الإيمان ويوجد من يكيد لك بالسحر والعين؟

من كان مع الله كان الله معه :

الدكتور راتب :

لا يمكن لكائد أو ساحر أو معتد أن يصل إليك إذا كان الله معك، إذا كان الله معك فمن عليك؟ من يجرؤ أن يكون عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ ويا رب ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟

المذيع :

أشرنا قبل قليل أيضاً أن السعادة في البحث، وماذا عن الأبناء، وغير ذلك، لكن هنا أحدهم يقول في رسالة: أشعر بالحزن كل يوم لأني لم أرزق بأبناء ويقول ماذا أفعل؟ هو يطلب منكم النصح فضيلة الشيخ.

الثقة بحكمة الله و رحمته :

الدكتور راتب :

أولاً: هناك أسباب لو اتخذتها ممكن أن يكون عندك طفل بطريق صناعي، وهذا مشروع، وهناك قرار من مجمع الفقه الإسلامي، لكن أنت إذا بذلت كل المحاولات ولم تقدر يجب أن تعتقد يقيناً أن يوم القيامة لو كشف الله لك الحكمة في عدم إنجابك للأولاد يجب أن تذوب محبةً لله، لأن الخلائق كلها تقول: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، قد تحرم شيئاً في الدنيا دون أن تكشف لك الحكمة، فإذا كشف الله لك الحكمة تذوب محبة له، لذلك أنا أقول أحياناً حينما يكشف الله لك الحكمة في المنع عاد المنع عين العطاء، إذا كشف الله لك الحكمة في المنع عاد المنع عين العطاء، أو قالوا: ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، قد يأتيك المال الوفير في بداية الحياة، فلا تدرس، ولا تتعلم، وتمارس شهواتك كلها، يأتي إنسان فقير يتيم الأب، هذا اليتم يجعله عظيماً، صار يدرس ليحصل على الدكتوراه، فأنت لا تعرف أين الخير، البطولة أن تثق بالله، هو الحكيم، هو الرحيم، فإذا اختار لك شيئاً ولم يعجبك هذا الشيء يوجد عندك خطأ في إيمانك.

المذيع :

وهذا أيضاً يقول: السلام عليكم أحبك في الله يا دكتور محمد، كيف أتوب كل يوم وكيف أعرف أن الله سبحانه وتعالى تاب عليّ؟

من تاب الله عليه أطلعه على نتائج هذه التوبة :

الدكتور راتب :



لا يمكن أن تتوب إلى الله دون أن يشعرك أنه قبِل توبتك، قال تعالى:

﴿ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾

[سورة التوبة:١١٨]

تاب عليهم، ساق لهم بعض الشدائد كي يحملهم بها على التوبة، قال تعالى:

﴿ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾

[سورة التوبة:١١٨]

الآية الثانية: تابوا فتاب عليهم، تاب عليهم الثانية هنا قبل توبتهم، وإذا قبلها أشعرهم بذلك، تابوا فتاب عليهم، تابوا أي ساق لهم بعض الشدائد ليحملهم بها على التوبة، أما تاب عليهم ليتوبوا فساق لهم الشدائد ليتوبوا، أما الثانية فحينما تابوا أطلعهم على نتائج هذه التوبة.

المذيع :

كيف يمكننا أن نقرأ القرآن ونستخرج منه معاني السعادة، يقول: أحياناً نمر على آية من الآيات نجد فيها معنى السعادة، نمر عليها مرة أخرى لا نجد مثل المعنى الذي وجدناه سابقاً، ثم يعلق على سورة البقرة في آياتها الأولى التي تدل على السعادة.

القرآن كلما زدته فكراً زادك معنى :

الدكتور راتب :

كلما زدت القرآن الكريم قراءة زادك معنى، هذا القرآن وحده لا تنقضي عجائبه، كلما زدته فكراً زادك معنىً.

المذيع :

دكتور محمد راتب النابلسي نحن الآن على ضفاف نهاية الحلقة، ونتمنى أن توجه رسالة أخيرة في نهاية هذا البرنامج بلغتك الجميلة.

بالشكر تدوم النعم :

الدكتور راتب :

والله أنا أرى أن بلاداً كثيرة تعاني ما تعاني، فإذا أكرمكم الله في هذا البلد الطيب حفظ لكم بلدكم، وأمنكم، واستقراركم، هذه نعمة لا تعدلها نعمة، لكن تحتاج إلى شكر، فإذا شكرتم هذه النعمة دامت لكم إن شاء الله.

المذيع :

دكتور محمد في نهاية هذا اللقاء الأخوة يطلبون منك دعوة في ختام هذا اللقاء لأخواننا في سوريا وفي حلب وفي كل البلاد.

دعوة لأهلنا في سوريا :

الدكتور راتب :

أنا من سوريا أدعو أن يحفظ لهم إيمانهم، أن يحقن دماءهم، أن يحقن دماء المسلمين في كل مكان، وأن يحقن دماءهم في الشام وفي حلب، وحلب تعاني ما تعاني والله الذي لا إله إلا هو الذي يجري في حلب لا يصدق، كأن الإنسان حينما يبتعد عن الله يصبح وحشاً، شيء يفوق حدّ الخيال، طفل رضيع يقطع رأسه، الشيء الذي يصير الإنسان قد لا يصدقه والله، نسأل الله عز وجل أن ينصرهم نصراً مؤزراً، وكل شيء له نهاية.

خاتمة و توديع :

المذيع :

نسأل الله عز وجل أن ينصر أخواننا المسلمين في كل مكان.

في نهاية هذا اليوم يوم الخميس نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب لكم يوماً سعيداً، وأياماً قادمة تكون لكم أسعد، شكراً لكم مستمعينا الكرام، نلقاكم بالخير والمحبة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس : (٢-٢) : مفتاح السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين :

أيها الأخوة الكرام؛ من أدق الآيات القرآنية، تلك التي تأخذ طابع القانون، هذه الآيات التي تأخذ طابع القانون، سميت في بعض آيات القرآن الكريم كلمات الله.

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾

[سورة الكهف الآية: ٣٢]

يعني هناك سنن، هناك قوانين، هذه السنن، وتلك القوانين، من اكتشفها وعرفها، وعمل بها، سعد في الدنيا والآخرة...

هي مفتاح السعادة، مفتاح النجاح، مفتاح التوفيق، مفتاح الفلاح، مفتاح الفوز، مفتاح التفوق.

في عنا آية في القرآن الكريم، من هذا القبيل، في سورة يونس، يعني مثلاً قبل أن نصل إليها، هل هناك في القرآن الكريم قانون التيسير والتعسير، ما من شيء أمتع للإنسان، وأسعد لقلبه، من أن تيسر أموره، وما من شيء أدعى لغضبه، وخروجه من جلده، من أن تعسر أموره، يا ترى هذا التعسير وهذا التيسير ألهما قانون ؟ لهما قانون .

قال تعالى :



﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

[سورة الليل الآيات: ٥-٧]

أموره كلها ميسرة، في زواجه، في تجارته، في بيعه، في شرائه، في سفره، في إقامته، في حله، في ترحاله، في إنجابه لأولاده، في تربية أولاده.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

صدق بهذا القرآن، واستقام على منهج الله، وأعطى ممن أعطاه الله، ثلاث أسباب تؤدي للتيسير.

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل الآيات: ٨-١٠]

أموره معسره، مخنوقة، مسطومة، مسكرة، ما في ضوء، كل الطرق مغلقة بالتعبير العامي نضربها يمين تجي شمال، ما في توفيق، في تعسير.

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

هي قانون ، هي آية مهمة جداً هذا قانون التيسير والتعسير.

الإنسان أيها الأخوة : كلما ارتقى الإنسان تصلح كرامته وعزته أغلى شيء عليه، العرب كانوا يقولون: المنية ولا الدنيا، وإنسان يذلك، يهينك، يحطملك، مبادئك، يسخر منك، يلطخك بالوحل وأنت ساكت.

القانون الإلهي مفتاح السعادة :

العزة والكرامة ، ما قانونهما ؟ الآن في عنا آية قانون .

يقول الله عز وجل : في الآية السادسة والعشرين ، من سورة يونس .

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾

الحسنى ؟ الجنة ، والزيادة ؟ النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[سورة يونس الآيات: ٢٦-٢٧]

معناها إذا أحسنت ، تشعر بالعزة ، وإذا أسأت لا سمح الله تشعر بالذلة .

أنت انظر إلى هؤلاء الذين يخرجون عن مبادئ الحق والخير حينما يلقى القبض عليهم ، انظر إلى وجوههم

﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾

إذا كشف أنك غششت بضاعة يرهق الوجه ذلة، إذا اكتشف أنك كذبت ، يرهق الوجه ذلة ، فالذلة أساسها الإساءة ، والعزة أساسها الإحسان المحسن ، أما الإحسان

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾

طيب وين المفعول به ، أحسن بماذا ، في عنا قاعدة باللغة ، إذا حذف المفعول أطلق الفعل ، يعني أحسنوا في كل شيء ، أتقن صنعته ، أحسن، أتقن كلامه ، أحسن بكلامه ، ما تكلم كلام منحرف ، أحسن اختيار زوجته أحسن ، أحسن تربية أولاده ، أحسن علاقته مع جيرانه ، أحسن علاقته مع إخوانه أحسن علاقته مع أولاده ، أحسن

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾

علاقاته كلها أساسها الإحسان ، الانضباط والإحسان ، الاستقامة ، إعطاء كل ذي حق حقه فإذا أردت أن ترفع رأسك ، إذا أردت أن تتمتع بمكانة لا يستطيع إنسان كائن من كان أن ينالك بالأذى ، أو أن يغض من مكانتك فأحسن ، أتقن عملك ، اصدق بالبيع والشراء ، لا تكذب أبداً لا تغيير صفات البضاعة ، تكلم كلام مختصر مفيد بالبيع والشراء ، هذه البضائع منشئها كذا ، صفاتها كذا ، عيبوها كذا ، سعرها كذا ، هذا الحاضر تحب أهلا وسهلاً ما تحب مع السلامة ، هذا بيع راقي بيع إسلامي، ما بسترجي زبون يحكي عليك، لكن إذا في تدليس ، في كذب ، في إيهام ، في إخفاء عيب ، ثم كشف هذا ، يحكي عليك شهر شهرين ثلاثة، ليملوا الناس من هذه القصة، فإذا أردت العزة ، إذا أردت التيسير

﴿ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

إن أردت التعسير

﴿ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

إن أردت العزة أحسن ، إن أردت الذل أسئ ، فالإساءة تؤدي إلى الذل، الإحسان يؤدي إلى العز.

لو فرضنا واحد ، يعني سحب من الدعامات قضبان الحديد حتى يبيعها ، وضع بدل سبع أكياس خمس أكياس ، البناء مال ، أول شيء ، يلقى القبض على المتعهد ، يساق ذليل ، لأنه أساء ، أما لو أعطى كل شيء حقه ، والبناء قائم ، ومتماسك ، ومتين ، ما أحد يستطيع أن يناله بأذى ، شوف السجون أكثرها ، قصر العدل كلها إساءات ، إساءة من الزوجة أو من الزوج ، من الشريك أو من شريكه ، أي مخالفة تعمل الإنسان ذليل ، فأنت لا تستطيع أن تكون عزيزاً إلا باستقامتك وإحسانك ، أما إذا خرجت عن منهج الله ، وخرجت عن مبدأ الإحسان ، بتلاقي ، تسمع كلام بمنتهى القسوة ، وينبغي أن تسكت ، لأن الكلام محق .

الآيات مرة ثانية:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾



لا ، الحسنى الجنة ، أحسنوا مطلق الفعل ، أحسنوا ، طيب بماذا ؟ أن أحسنت الكلام أحسنت التجارة ، أحسنت الاختيار ، أحسنت التصدق ، للذين أحسنوا مطلق ، والمطلق في القرآن على إطلاقه ، والمطلق يفيد العموم، علاقتك مع أبنك أساسها الإحسان ، مع زوجتك الإحسان ، في بيتك الإحسان ، مع الجيران الإحسان

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾

لو واحد أساء لجاره، وجاره سفيه طلع سبه ، طيب ليش سبه، لأنه أساء لو ما أساء ما كان بسبه، هذا قانون، الحسنى الجنة، هي الحسنى المطلقة، وزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾

لا قتر، لا قلق، ولا خوف ، ولا ذلة.

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

بالمقابل ، والذين كسبوا السيئات ، شيء يسيئ ، أساء المعاملة، أساء البيع، أساء الوصف، قال لك هذه البضاعة أصليه وهي غير أصليه ، قال لك هذه مصدرها بريطانية ، وهي تايون ، أساء الوصف أساء ، دلس ، كذب ، غش ، قلل الكمية ، لعب بالسعر ، لعب بالوزن لعب بالمساحة بالكيل ، بالعدد.

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾



في عنا قانونين، قانون التيسير والتعسير، وقانون الذل والعز، العزة والذلة ، أساسه الإحسان والإساءة ، كل ما بحثت عن قانون بالقرآن تمسك به ، وسجل عندك و حفظه ، لأن هذه قوانين ربنا قوانين خالق الكون ، فإذا أخذت بها ، قطفت الثمار يانعة جيدة ، قبل منها .

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾

[سورة يونس الآية: ٢٤]

شوف هذا الوصف كل شيء تزين، كل شيء ديكور، أناقة ما بعدها أناقة، يعني إذا البيت ما كان مرتب، جبصين ثريات، سجاد ، تدفئه مركزية ، المحلات التجارية ، شيء يأخذ بالعقول ، فنادق ، حتى الحدائق ، الطرقات ، يعني التزين أساس الحياة ، من شدة حب الناس بالدنيا ، جعلوا التزين أساس حياتهم.

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾

شوف شرك ، وصف دقيق لربنا إلى آخر الزمان ، حبٌ للدنيا ما بعده حب ، وشركٌ ما بعده شرك، شرك وحب للدنيا.

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾

قيام الساعة.

﴿ لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ﴾

ساعة شاملة ، على قوم ليلاً وعلى قوم نهاراً.

﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ﴾

هون كان بلده أسمه باريس ، هون كانت ، هي آثار باريس ، هون كان في بلده أسمها نيويورك مثلاً.

﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

يعني الله يدعوك إلى الجنة، دار السلام، لا في قلق ولا في حزن، ولا في خوف، ولا موت، ولا في مرض، ولا في مشاحنة، ولا في خصومة.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

لهذه الدار.

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٢-٣) : طريق السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أصل الدين معرفة الله :

أيها الأخوة الكرام؛ أيها الأخوة الأحباب؛ قيل: من عرف نفسه عرف ربه. فمن أنت أيها الإنسان؟ يجب أن تعلم علم اليقين أنك المخلوق الأول عند الله، الأول رتبة لأن الله عز وجل في عالم الأزل عالم الذر عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان، ولأنه قبِل حمل الأمانة كان عند الله المخلوق الأول رتبة عندئذ قال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾

[سورة الجاثية : ١٣]

الآن هذا التسخير تسخير تعريف وتسخير تكريم، أي شيء تقع عينك عليه، أي شيء في الكون له وظيفتان؛ وظيفة إرشادية ووظيفة نفعية، أخذ هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما رأى الهلال قال:

((هِلالٌ خَيْرٍ وَرُشْدٍ))

[رواه أبو داود عن قتادة]

فالبطولة أن ننتفع من هذا الشيء الذي سخر لنا، وأن نشكر الله عليه، وأن يكون طريقاً لمعرفة الله، فأصل الدين معرفة الله، إنك إن عرفت الله تفانيت في طاعته، إنك إن عرفت الله ثم عرفت أمره تفانيت في طاعته، أما إذا إذا عرفت أمره ولم تعرفه تفننت في معصيته، فأصل الدين معرفة الله.

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة و المكلف و المكرم عند الله :

أيها الأخوة الكرام؛ الآيات المكية في معظمها آيات توحيد، والدار الآخرة والآيات المدنية جاء فيها التشريع، فمرحلة مكة مهمة جداً في الدعوة إلى الله، إنك إن عرفت الله ثم عرفت أمره تفانيت في طاعته، أما إذا عرفت أمره ولم تعرفه تفننت في معصيته، فلذلك الإنسان هو المخلوق الأول عند الله رتبة، والمخلوق المكرم، قال تعالى:



﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : ٧٠]

أنت المخلوق الأول، والمخلوق المكرم، والمخلوق المكلف، مكلف أن تعبد الله.

الإسلام منهج تفصيلي :

والعبادة من مفهوم غير عميق ان تؤدي الصلوات الخمس، وأن تصوم رمضان، وأن تحج البيت، وأن تؤدي الزكاة، هذه عبادات شعائرية لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((بني الإسلام على خمس))

[البخاري وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر]

هذه قواعد، دعائم، مرتكزات، أما الإسلام فمنهج تفصيلي يبدأ من أخص خصوصيات الإنسان من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، حينما نفهم الدين عبادات شعائرية هناك نصوص دقيقة جداً يجب أن نعلمها:

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))

[سنن ابن ماجه عن ثوبان]

هذه الصلاة، الصوم:

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ، فَليسَ للهِ حاجة فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

الحج:

((من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك، قال الله له: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك))

[الأصبهاني في الترغيب عن أسلم مولى عمر بن الخطاب]

الزكاة، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ٥٣]

الأوامر والنواهي ضمان لسلامة الإنسان لأنها من عند الخبير :

ذكرت هذا الموضوع القصير انطلاقاً من أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، قد يسأل سائل: وعود الله عز وجل معظمها غير محقق، و زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، الكرة في ملعبنا، الخلل عندنا، قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾

[سورة النور: ٥٥]

كلمة واحدة، قال تعالى:

﴿ يَعْبُدُونَنِي ﴾

[سورة النور: ٥٥]

فإذا أخلّ الطرف الآخر بما كلفه الله به من عبادة فالله جلّ جلاله في حلّ من وعوده الثلاثة.



أيها الأخوة الكرام؛ الآن الإنسان هو المخلوق الأول، في الأرض الآن سبعة مليارات ومئتا مليون، ما منهم واحد إلا وهو حريص على سلامته، من يحب المرض؟ من يحب القهر؟ من يحب الفقر؟ حريص على سلامته، وما من واحد من هؤلاء إلا وهو حريص على سعادته، وما منهم واحد إلا حريص على استمراره، السلامة والسعادة والاستمرار، السلامة أنت أعقد آلة في الكون تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، ولك صانع عظيم، ولهذا الصانع العظيم تعليمات التشغيل والصيانة، فانطلاقاً من حرصك على سلامتك، ومن حرصك على سعادتك، ومن حرصك على استمرارك، ينبغي أن تتبع تعليمات الصانع.

أنت حينما ترى لوحة في الفلاة كتب عليها: حقل ألغام ممنوع التجاوز، بربكم جميعاً هل تعد هذه اللوحة حدّاً لحريتنا أم ضماناً لسلامتنا؟ هذا هو الفهم العميق للدين، الأوامر والنواهي ضمان لسلامتنا لأنها من عند الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

فالإنسان حريص على سلامته، وسلامته في استقامته، افعل ولا تفعل، شرع حكيم، شرع تفصيلي، شرع يغطي كل جوانب الحياة، شرع يدور مع الإنسان في سره وجهره، في خلوته وجلوته، في غناه وفقره، في قوته وضعفه، فحينما تطبق تعليمات الصانع ضمنت السلامة، ولكن هذا الكون طافح بأشياء جميلة جداً؛ فيه جبال خضراء، فيه بحار زرقاء، فيه وجه طفل يأخذ بالألباب، فيه جمال، أصل الجمال هو الله، والإنسان جبل على حبّ الجمال والكمال والنوال، الكمال سلوكي، والجمال حسي، والنوال العطاء، فإذا علمت علم اليقين أنك إذا اتصلت بالله حصلت السعادة الكبرى، قال بعض العارفين:

فلو شاهدت عيناك من حسننـا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنـــا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنـا

ولو ذقت من طعم المحبــة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنــا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لـمت غريباً واشتياقـــاً لقربنـا

ولو لاح من أنوارنا لك لائــح تـركت جميع الكائنـات لأجلنــا

فما حبنا سهل و كل من ادعى سهولته قلنا له: قـــد جهلتنـــا

فأيسر ما في الحب للصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

***

حرص الإنسان على سلامته و سعادته و استمرار وجوده :

أيها الأخوة الكرام؛ معظم الناس ذاقوا الطعام والشراب، وذاقوا طعم السكنى في بيت مريح، وذاقوا طعم الزواج، وذاقوا، وذاقوا، هل فكر احدنا أن يذوق فعلاً طعم القرب من الله؟ قال عالم جليل: ماذا يفعل أعدائي بي؟ بستاني في صدري، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي؟



سعادتك بيدك، التوفيق بيدك، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، فالإنسان حريص على سلامته، السلامة بالاستقامة، وحريص على سعادته، السعادة بالإقبال على الله، لأنه أصل الجمال والكمال والنوال، وحريص على استمرار وجوده، وقد تكون الثالثة خطيرة جداً، الثالثة استمرار وجودك بالذرية الطيبة، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

[سورة الطور: ٢١]

جميع أعمال الذرية الصالحة في صحيفتك، وهذه أكبر تجارة مع الله، خير كسب الرجل ولده، كنت مرة في أمريكا قلت لهم: لو بلغت أعلى منصباً في الأرض، وجمعت أكبر ثروة فيها، وارتقيت إلى أعلى مكانة، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس. لذلك استنبط بعضهم من قوله تعالى:

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾

[سورة طه: ١١٧]

ولم يقل فتشقيا، مع أن الصياغة اللغوية تقتضي أن تكون فتشقيا، لكن العلماء قالوا: شقاء الأزواج شقاء حكمي لزوجاتهم، ويقاس على ذلك أن شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم وأمهاتهم. من أراد أن تقر عينه بأولاده فليسع إلى التربية، وفي أحدث النظريات التربوية أن الطفل يتعلم ما تتمناه له من عادات، من فهم، من مهارات إلى آخره من الولادة إلى سن السابعة، فإذا أهملنا هذه المرحلة من حياة الطفل وقعنا في إشكال كبير، وقعنا أمام مشكلة يصعب حلها.

أيها الأخوة الكرام؛ الإنسان حريص على سلامته، وعلى سعادته، وحريص على استمراره، سلامته بالاستقامة، وسعادته بالعمل الصالح، قال تعالى:

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر: ١٠]

واستمراره بتربية أولاده، وهذا شيء يعانيه أي إنسان في العالم، سلامته باستقامته، والاستقامة اتباع تعليمات الصانع، والصانع هو الخبير، والآية تقول:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: ١٤]

وسعادته بالإقبال على الله، واستمرار حياته بتربية أولاده.

لذلك أيها الأخوة الكرام؛ حينما نعتني بأولادنا نعتني بأنفسنا، حينما نراهم صالحين يشعر الأب شعوراً لا يوصف، قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾

[سورة الفرقان : ٧٤]

قرة العين لا يعرفها إلا من ذاقها.

الحبّ في الله و الحبّ مع الله :

أيها الأخوة الكرام؛ من التعريفات الدقيقة للإنسان؛ الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، فلا بد من أن تغذي عقلك بالعلم الصحيح من عالم رباني، ولا بد من أن تغذي قلبك بالحب الذي يسمو بك، هناك حبّ مع الله وهو عين الشرك، وهناك حبّ في الله وهو عين التوحيد، أنت كما تحب الله تحب أنبياءه ورسله، وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، تحب المؤمنين، تحب المساجد، تحب العمل الصالح، هذا كله حبّ في الله، وأما الحب مع الله فهو عين الشرك، أن تحب شيئاً يبعدك عن الله، الحب في الله عين التوحيد، والحب مع الله عين الشرك، الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، فمن لبى حاجة عقله بالعلم، وحاجة قلبه بالحب، وحاجة جسمه بالطعام والشراب، تفوق، ومن اكتفى بواحدة تطرف، وفرق كبير بين التفوق وبين التطرف.

الإنسان زمن و أثمن شيء يملكه هو الزمن :

أيها الأخوة الكرام؛ ما قرأت تعريفاً جامعاً رائعاً حاسماً للإنسان كتعريف الإمام الجليل الحسن البصري، قال في تعريف الإنسان: هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه. فأنت زمن أو رأس مالك هو الزمن، أو أثمن شيء تملكه هو الزمن، ولأنك زمن أو لأن رأس مالك هو الزمن، أو لأن أثمن شيء تملكه هو الزمن أقسم الله لك بمطلق الزمن، قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

[سورة العصر: ١]

العصر مطلق الزمن.

بالمناسبة الأشياء المادية لها وزن، ولها حجم، ولها أبعادٌ ثلاثة، وتشغل حيزاً في الفراغ، لكن النبات شيء مادي له وزن، ويشغل حيزاً، وله أبعادٌ ثلاثة، لكنه ينمو، بينما الحيوان كائن يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعادٌ ثلاثة، وله وزن وينمو كالنبات، ويمتاز عن النبات أنه



يتحرك، الهرة تمشي النبات لا يمشي، أما الإنسان فمعقد الأمل، شيء مادي يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعادٌ ثلاثة، وله وزن، وينمو كالنبات، ويتحرك كبقية المخلوقات، لكنه يفكر، ميّز الله الإنسان بأنه أودع فيه قوة إدراكية، هذه القوة الإدراكية يتميز بها على بقية المخلوقات، أودع الله في الإنسان قوة إدراكية، هذه القوة الإدراكية إن لم يستعملها – أنا أسميها الحاجة العليا في الإنسان – إن عزف عن طلب العلم، إن انشغل بغرائزه وشهواته ومصالحه هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به.

صفات من شردوا عن الله و انشغلوا بشهواتهم و نزواتهم :

استمعوا إلى القرآن الكريم قال تعالى عن هؤلاء الذين شردوا عنه، وابتعدوا عن دينه، وانشغلوا بنزواتهم وشهواتهم ومصالحهم وغرائزهم، قال الله عز وجل عنهم:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

***

وقال الله عز وجل عنهم:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾

[سورة الفرقان : ٤٤]

الأنعام ليست مكلفة حتى تحاسب، فالإنسان إذا عزف عن طلب العلم هو كالأنعام بل أضل لأنه سيحاسب، الآية الثالثة قال الله عز وجل عنهم:

﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾

[سورة المنافقون: ٤]

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾

[سورة الجمعة : ٥]

هذه أوصاف القرآن لمن عزف عن طلب العلم، فلا بد من طلب العلم، طلب العلم فريضة على كل مسلم، قال شراح الحديث: على كل شخص مسلم. أي مسلم ومسلمة.

الإنسان خاسر إلا إن أنفق وقته استثماراً :

أيها الأخوة الكرام؛ الإنسان يغذي عقله بالعلم، ويغذي قلبه بالحب، الحب الذي يسمو به ويغذي جسمه بالطعام والشراب، فإذا اكتفى بواحدة تطرف، فرق كبير بين التفوق وبين التطرف، إذاً أقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، أقسم له فقال:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر: ١-٢]

لماذا يا رب هذا خاسر؟ قيل: لأن مضي الزمن وحده يستهلكه، قبل أن نقول: مؤمن وغير مؤمن، صالح أو طالح، قبل كل ذلك مضي الزمن وحده يستهلك الإنسان، فأنت بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، لذلك أقسم الله بالعصر قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر: ١-٢]

بطولة الإنسان أن يستثمر وقته فيما ينفعه

ما بعد هذه الآية هناك أربعة أشياء قال عنها الإمام الشافعي: هذه أركان النجاة:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

عرفوا الحقيقة، عرفوا الله عز وجل موجوداً وواحداً وكاملاً، عرفوا أسماءه الحسنى وصفاته العلا، عرفوا قيومته على الخلق، عرفوا وجوده، لذلك من عرف الله عرف كل شيء، ومن غابت عنه معرفة الله لم يصب شيئاً.

((ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم،

أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

[البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

أيها الأخوة الكرام؛ الإنسان رأس ماله الوقت– الزمن– هذا الزمن ينفق استهلاكاً أو استثماراً، هنا البطولة، الاستهلاك نأكل ونشرب ونسمر وننام ونستيقظ ونأكل ونشرب حتى نفاجأ بمرض خطير ينهي حياتنا، بوابة خروج، ولكن المؤمن يسعد إن عمل في الزمن الذي سينقضي عملاً ينفعه بعد انقضاء الزمن، إلا الذين آمنوا، وبحثوا عن الحقيقة، قال تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة العصر : ٣]

تحركوا وفقها:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العصر : ٣]

نصحوا، هذه الدعوة إلى الله كفرض عين، وتواصوا بالصبر في البحث عن الحقيقة، والعمل وفقها، والدعوة إلى الله، هذه السورة جامعة مانعة، كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفرقون إلا على هذه السورة.

البشر نموذجان لا ثالث لهما :

لذلك نستنتج أن الله عز وجل حينما قال:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل : ١-٤]

سبعة مليارات ومئتا مليون، كل واحد بذهنه هدف يتحرك نحوه، ولكن الله جلّ في علاه جعل هذه الحركات المتنوعة والتي لا تعد ولا تحصى في حقلين اثنين ونرجو الله أن نكون جميعاً في الحقل الأول، قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل : ٥-٦]

صدَّق أنه مخلوق للجنة، بعد هذا التصديق اتقى أن يعصي الله، وبنى حياته على العطاء، هذه الزمرة الأولى، الرد الإلهي قال تعالى:

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

[سورة الليل :٧]

أعطى واتقى وصدق بالحسنى، الترتيب معكوس لحكمة بالغة تحتاج إلى شرح، صدق بالحسنى، صدَّق أنه مخلوق للجنة، النتيجة الأولى اتقى أن يعصي الله، وبنى حياته على العطاء، يعطي من وقته، من ماله، من علمه، من جاهه، يسعده العطاء، لذلك قالوا: يقع على رأس الهرم البشري زمرتان هم الأقوياء والأنبياء، الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء عاش الناس لهم، الأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء يمدحون في حضرتهم، والأنبياء يمدحون في غيبتهم، كل البشر تبع لقوي أو نبي.

أيها الأخوة الكرام؛ البطولة أن تكون من أتباع الأنبياء، أن تسعد بالعطاء لا بالأخذ، أن تعطي من وقتك، من مالك، من جاهك، من علمك، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح، قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

[سورة الأنعام: ١٣٢]

والشيء الثاني قبل يوم القيامة حينما يشارف الإنسان على الموت لا يندم إلا على عمل صالح فاته، قال تعالى:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون : ٩٩-١٠٠]

نستنبط أن علة وجودك في الدنيا العمل الصالح.

أيها الأخوة الكرام؛ إن الذين آمنوا بحثوا عن الحقيقة، وعملوا الصالحات تحركوا وفقها، وتواصوا بالحق دعوا إليها، وتواصوا بالصبر صبروا عن البحث عنها، والعمل وفقها، والدعوة إليها.

أيها الأخوة الكرام؛ قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل : ٥-٦]

الرد الإلهي قال تعالى:

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

[سورة الليل :٧]

قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل: ٨-٩]

لأنه كذب بالحسنى– بالجنة– استغنى عن طاعة الله، بنى حياته على الأخذ، فلذلك الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، ولأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء عاشوا للناس والأقوياء عاش الناس لهم، الأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، والبطولة أن نكون جميعاً إن شاء الله من أتباع الأنبياء، حتى نسعد بقربنا من الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : مفاهيم السعادة

الدرس (٣-١) : مفهوم السعادة

الدرس (٣-٢) : السعادة و الرضا

الدرس (٣-٣) : السعادة و القناعة

الدرس (٣-٤) : السعادة و اللذة

الدرس (٣-٥) : السعادة المتناقصة

الدرس (٣-٦) : السلامة و السعادة

الدرس (٣-٧) : السعادة و طاعة الله

الدرس (٣-٨) : سرّ السعادة

الدرس (٣-١) : مفهوم السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأخت رانيا:

أيها الأخوة الأكارم، أعود وأجدد التحية لكم جميعاً عبر إذاعة الصوت الإسلامي، ويسعدني في هذا اللقاء ويشرفني أن يكون معنا ضيفنا الكريم فضيلة الدكتور العلامة محمد راتب النابلسي، فأهلاً وسهلاً به معنا مشكوراً في هذا الصباح.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور راتب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وبارك الله بكم، ونفع بكم.

الأخت رانيا:

آمين يا رب العالمين، فضيلة الدكتور الكثير من المستمعين يتواصلون الآن معنا في متابعتهم لهذا البرنامج الصباحي، وهناك العديد من المواضيع المختلفة التي في أذهاننا تمر ونقول: نختار هذا الموضوع أم هذا الموضوع لكثرتها، لكن هناك أمر مهم في حياة المسلم.

في بداية هذا اللقاء كنت أتحدث قبل قليل عن السعادة، وكيف نبحث عن السعادة؟ موضوع السعادة وأن يكون الإنسان سعيداً ومطمئناً، طمأنينة النفس شيء مهم في حياتنا وفي زخم هذه الحياة، وفي مشاكلها، وكثرة المتاعب التي فيها، نشعر وأننا في حالة من الحزن، هناك شيء في قلوبنا قد يكون عدم الطمأنينة لا ندري لماذا، هذا ما نود إن شاء الله تعالى أن نتحدث عنه، نأمل من الله أن نكون كلنا سعداء في الدنيا وفي الآخرة، كيف تكون سعادة المسلم؟ من أين يبدأ بهذه السعادة أو بالطريق لهذه السعادة؟.

حرص كل إنسان على سلامته و سعادته و استمراره :

الدكتور راتب:


حب السلامة والسعادة راسخة في فطرة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

الحقيقة الدقيقة أنه على وجه الأرض الآن بأحدث إحصاء سبعة مليارات إنسان، ما منهم واحد إلا وهو حريص على سلامته، وسعادته، واستمراره، مركب في أعماق أعماق الإنسان حاجة الإنسان إلى سلامته، من مرض، من فقر، من قهر، وحاجته إلى سعادته، وحاجته إلى دوام عمره، حريصون على سلامتنا من كل مرض، من كل مكروه، من كل قهر، وعلى سعادتنا الأسرية، والنفسية، والاجتماعية، وعلى طول بقائنا، هذه خصيصة في كل مخلوق كائناً من كان على اختلاف المكان والزمان.

إلا أنه هناك سؤال كبير، ما دام الإنسان جُبل وفطر وولف على حبّ سلامته وسعادته، لماذا الشقاء؟ الشقاء بسبب الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.

الجهل هو العدو الأول للإنسان :


الجهل العدو الأول للإنسان

الحقيقة الكبرى في هذا اللقاء الطيب أن العدو الأول للإنسان هو الجهل، أنه بالجهل يفعل ما يتمناه له عدوه.

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، بل إن أزمة أهل النار في النار أزمة جهل فقط.

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك]

إذاً المشكلة مشكلة أن نعلم، لذلك طلب العلم فرض على كل مسلم، لماذا ينبغي أن يتعلم؟ ليتعلم أسباب سلامته، وأسباب سعادته، لو انطلق الإنسان من أنانيته المفرطة ينبغي أن يتعرف إلى الله، من أنانيته المفرطة، لذلك أن نبحث عن سر وجودنا، وعن غاية وجودنا، هو أخطر شيء في حياتنا.

من عزف عن طلب العلم عطل الحاجة العليا فيه :



لابد من الرقي عن طلب الغرائز الدنيوية فقط

الإنسان حينما يعزف عن طلب العلم عطل الحاجة العليا فيه، في الإنسان حاجات عليا وحاجات دنيا، حاجاته الدنيا أن يأكل، ويشرب، وأن يقترن بامرأة، أو أن تقترن برجل، حاجاته الدنيا أن ينام فيرتاح، هذه حاجات دنيا متوافرة فينا وفي بقية المخلوقات، وهناك كائنات أخرى تأكل وتشرب، وتقترن بأنثاها، وتنام، وترتاح، فمادامت حاجاتنا كلها دنيا نحن هبطنا عن مستوى إنسانيتنا إلى مستوى لا يليق بنا، ما دامت حاجاتنا دنيا، متى يرقى الإنسان؟ متى يكبر عند الله؟ حينما يلبي حاجته العليا، الحاجة العليا هي المعرفة.

((ابن آدم اطلبنِي تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإذا فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

أنا أؤكد أن هناك جانب معرفي بالإنسان، هناك حاجة عليا أن تعرف من أنت؟ هل تصدق أيها الأخ الكريم، أيها المستمع، أيتها المستمعة الفاضلة، هل تصدق أن الإنسان هو المخلوق الأول عند الله؟.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٧٢]

الأمانة هي سر وجودنا في الأرض، ما الأمانة؟ أن الله عز وجل جعل أنفسنا أمانة عندنا.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس]

الأخت رانيا:

لماذا يضيع الإنسان هذه الأمانة؟ أنا مسلمة، طالما علمت أنني مخلوقة لعبادة الله، أي سر وجودي في هذا الكون هو العبادة والعمل في هذه الأرض، وكلنا في طريق إلى الله سبحانه وتعالى، لماذا أشقي نفسي؟.

اللذة و السعادة :



الدكتور راتب:

الإنسان حينما اختار أن يكون إنساناً:" ركب الملك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركب الإنسان من كليهما".

عنده عقل وعنده شهوة، العقل يدعوه إلى الله، إلى معرفته، إلى طاعته، إلى التقرب إليه، إلى تطهير نفسه من درن الشهوات، إلى الإقبال عليه، والشهوة تدعوه إلى اللذة فقط، أنا الآن مضطر أن أبين الفرق الدقيق والعميق بين اللذة والسعادة، نحن بحياتنا لذائذ وبحياتنا سعادة، اللذة أولاً حسية، مادية تحتاج إلى مال، تحتاج إلى أن تشتري طعاماً طيباً، تحتاج إلى متع أودعها الله فينا، تحتاج اللذة إلى الاستمتاع بالحياة، اللذة حسية، لكن خلقنا لنعرفه.

الآن عندنا سعادة، السعادة تنبع من أعماقنا، أما اللذائذ فتأتي من خارجنا، أنا أحتاج إلى منظر جميل، إلى بيت فخم، إلى طعام طيب، إلى متع أودعها الله فينا، هذه لذائذ، اللذائذ أولاً حسية، أما السعادة فنفسية، اللذائذ تتناقص، لو أن الإنسان اشترى أجمل بيت، بعد شهر البيت صار عادياً جداً، لو اقتنى أغلى مركبة، بعد فترة أصبحت مركبة عادية جداً، كل شيء بعيد عنه الإنسان قد يلمع أمامه، فإذا وصل إليه تنطفئ جذوته، هذه حقيقة مهمة.

الإنسان قبل أن ينال شهادة عليا يحلم بها، بعد نيلها أصبحت شيئاً عادياً، قبل أن يتزوج، قبل أي شيء، أي شيء فيه متع حسية، قبل هذه المتعة، المتعة كبيرة، فإذا وصلها أصبحت ضئيلة هذا شأن الدنيا، وما سمح الله للدنيا أن تمد الإنسان بسعادة مستمرة، بل متناقصة بل لذائذ مع كآبة، الإنسان إذا عصى الله يصاب بالكآبة.

السلامة والسعادة أصلهما في طاعة الله عز وجل :



لكن الله عز وجل جعل سعادتنا بالإقبال عليه، الإقبال على الله عز وجل يورث السعادة، هذه متنامية أما اللذة فمتناقصة، اللذة خارجية أما السعادة فداخلية، تنبع من الداخل، اللذائذ تأتي من الخارج تأتي من طعام طيب، من منظر جميل، من متعة معينة أودعها الله فينا، فاللذائذ متناقصة، السعادة متنامية، السعادة خارجية نفتقر إلى المال، بعضهم قال كلاماً آخر، قال:

الإنسان يحتاج من أجل اللذائذ إلى وقت، وإلى مال، أما السعادة فلا تحتاج إلى المال تحتاج إلى مبادئ أخلاقية، تحتاج إلى معرفة بالله عز وجل، فالإنسان في البدايات لا يملك المال، ويحتاج وقت فراغ، لا يوجد عنده وقت فراغ يريد أن يشتغل، فالمال والوقت مهمان جداً باللذة، أما بالسعادة بالعكس، فالمال ليس شرطاً إطلاقاً، أنت حينما تعرف الله وتقبل عليه تكون أسعد المخلوقات.

فالكلام الدقيقة أن الإنسان بين لذة مستوردة خارجة عنه، آنية، معها كآبة أحياناً، معها ملل، ما سمح للدنيا أن تمدنا بسعادة مستمرة، متناقصة، أما الإقبال عليه فلا يحتاج لا إلى مال، ولا إلى وقت، لكن يحتاج إلى أن نعرفه وأن نقبل عليه.

فلذلك ما في مخلوق على وجه الأرض من دون استثناء إلا ويبحث عن سلامته وسعادته، والسلامة والسعادة أصلهما في طاعة الله عز وجل.

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة التغابن الآية: ١٦]

النجاح و الفلاح :

لذلك العلماء فرقوا بين النجاح والفلاح، أنا قد أنجح بتحصيل مال، قد أنجح باعتلاء منصب رفيع، قد أنجح بزواج ناجح، هذه كلها نجاحات، أما الفلاح فهو نجاح في الدنيا والآخرة معاً، أن تكون نعم الآخرة متصلة بنعم الدنيا، هناك نجاحات كبرى في الأرض، هناك ملك الحديد، ملك النحاس، ملك البترول، بالعالم تقريباً هناك أشخاص معهم مليارات ممليرة، هذا نجاح، لكن يا ترى هل هم سعداء؟.


الله يعطي السكينة لأصفيائه من المؤمنين

إن الله يعطي القوة، والمال، والجمال للكثيرين من خلقه، ولكن يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

الإنسان خُلق لمعرفة الله عز وجل :

أما السكينة فشيء آخر، السكينة نسعد بها ولو فقدنا كل شيء، ونشقى بفقدها ولو ملكنا كل شيء.

فلذلك حركة الإنسان في الحياة من أجل المال حركة مسعدة، في البداية يراها مسعدة، في منتصف الرحلة يرى المال عادياً، وفي نهاية الرحلة يراه لا شيء، جميع المتع الحسية الأرضية في البدايات يراها الإنسان كل شيء، في منتصف الرحلة يراها شيئاً وليست كل شيء، أما حينما تنتهي الرحلة فيراها لا شيء، أما طاعة الله عز وجل، والإقبال عليه، فهي كل شيء.


هدفك في الحياة حده السماء

هناك تفسير علمي دقيق جداً: الإنسان خُلق لمعرفة الله، والذات الإلهية لا متناهية بكمالها، فالإنسان مصمم من أجل أن يعرف الله، فلذلك أي هدف محدود لا يسعده، هو مصمم للانهاية، فإذا اختار هدفاً محدوداً، المال محدود، المتعة محدودة، شقي بها، هذه نقطة دقيقة جداً، في أصل التصميم أنت مصمم

لمعرفة الله، والله ذات كاملة لا متناهية، بكمالها، بعظمتها، بقوتها، برحمتها، ذات لا متناهية، الإنسان بمجرد أن يبحث عن هدف محدود يشقى به، هو بحث عن هدف فوق طاقته الكبيرة، تجد المؤمن شاباً ولو كان بالتسعين، هدفه كبير، هدفه الله عز وجل، يأتي إنسان يريد الدنيا فقط، بعدما يملك المال الكثير يصبح مقرفاً، يَقرف ويُقرف، كل شيء مارسه، وكل شيء أكله، لا يوجد عنده شيء، ينتقد دائماً، مكشر دائماً، ما سعد بالمال، يأتي مؤمن بسيط لا يوجد معه مال، لكنه عرف الله عز وجل فيسعد بهذه المعرفة.

الملخص: نحن خلقنا من أجل أن نعرف الله، إذاً أُعطينا طاقة كبيرة جداً، فإذا اخترنا شيئاً آخر، اخترنا الدنيا نشقى بها، بعد حين الواحد ألِفَ الأكل والشرب، بعد حين الإنسان أَلِف كل متع الأرض، ألف كل شيء ومل منه، الإنسان ملول.

الآن فرضاً الإنسان ببدايات حياته هناك أشياء كثيرة تهمه، في خريف عمره كل شيء كان يهتم به ملّ منه، إذاً أنا متى أسعد؟ إذا تحركت وفق الهدف الذي خُلقت من أجله، أنا خلقت من أجل أن أعرف الله، هذا هو الفلاح، النجاح شيء، والفلاح شيء.

الأخت رانيا:

معرفة الله سبحانه وتعالى كيف تكون هذه المعرفة؟ هل بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تكون هذه المعرفة أم بالعمل بها؟ وكيف يكون العمل بها؟.

طرق معرفة الله عز وجل :

الدكتور راتب:

الحقيقة معرفة الله، الله عز وجل.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١٠٣]

مستحيل، ولكن العقول تصل إليه، هناك فرق.

أنا أركب مركبتي إلى شاطئ البحر، هذه المركبة توصلني إلى شاطئ البحر، ولكنني لا أستطيع أن أعبر بها البحر، أنا أصل إليه ولا أحيط به.

هذه المعرفة لها طرق ثلاث، هناك آيات الله الكونية، وهناك آياته التكوينية، وهناك آياته القرآنية، الآيات الكونية خلقه، والآيات التكوينية أفعاله، والآيات القرآنية كلامه، أنا أعرفه من خلقه.

للتوضيح: بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب عدا الشمس طبعاً، الشمس نجم ملتهب، أنا أريد نجماً آخر، بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب عندنا أربع سنوات ضوئية، ماذا تعني أربع سنوات ضوئية؟ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، في الدقيقة ضرب ستين، في الساعة ضرب ستين، في اليوم ضرب أربع و عشرين، في السنة ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، في أربع سنوات ضرب أربع، طفل صغير مع آلة حاسبة يضرب ثلاثمئة ألف بستين، بستين، بأربع و عشرين، بثلاثمئة و خمسة و ستين، تخرج المسافة، هذه بعد الأرض عن أقرب نجم ملتهب، لو عندنا مركبة سرعتها مئة، وهناك طريق لهذا النجم، متى نصل إليه؟ بعد خمسين مليون عام، حتى أقطع أربع سنوات ضوئية أحتاج إلى خمسين مليون عام، كم سنة ضوئية؟ أربع.


مجرة المرأة المسلسلة (أندروميدا) تبعد مليونا سنة ضوئية

المرأة المسلسلة تبعد عنا مليونا سنة ضوئية، بعض المجرات تبعد عنا أربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية، الله تعالى قال:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾

[سورة الواقعة]

المسافات بين النجوم.

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة]

لذلك: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا أذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطِك شيئاً ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

ومضة من ومضات الكون :

هذه ومضة من ومضات الكون، أقرب نجم ملتهب يبعد عنا أربع سنوات ضوئية يقطع الضوء في الثانية ثلاثمئة ألف كيلومتر، بالدقيقة ضرب ستين، بالساعة ضرب أربع و عشرين، باليوم ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، بالسنة ضرب أربع سنوات هذا الرقم إذا كان هناك مركبة أقودها إلى هذا النجم سرعتها مئة كيلومتر بالساعة أحتاج إلى خمسين مليون عام، متى أصل إلى نجم القطب؟ أربعة آلاف سنة كنا بأربع سنوات، قفزة واحدة أربعة آلاف سنة.

المرأة المسلسلة مجرة مليونا سنة ضوئية، أحدث مجرة الآن اكتشفت أربعة وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، افتحِ القرآن:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة]

فالإنسان حينما يعرف الله يعرفه من آياته الكونية.

التفكر طريق معرفة الله عز وجل :



هناك آياته التكوينية، التاريخ البشري يعرف ذلك، عرفت الله من نقض العزائم، ملوك جبابرة، سلاطين، أقوياء الله عز وجل انتقم منهم، وجعلهم خبراً بعد أن كانوا شيئاً مخيفاً، هذه أفعاله، وأفعاله واضحة، والخضر بقصته بالكهف واضحة جداً، وآياته الكونية، وآياته التكوينية، هذه طريق معرفته، فإذا فكر الإنسان نحن نظن التفكر حاجة استثنائية، التفكر حاجة يومية.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران]

إذاً التفكر أوسع باب ندخل منه على الله، وأقصر طريق يوصلنا إلى الله، والتفكر طريق معرفة الله عز وجل، وعبادة التفكر أرقى عبادة على الإطلاق، لأن هذه العبادة تضعنا وجهاً لوجه أمام عظمة الله عز وجل.

عظمة الأمر من عظمة الآمر :

من الأمثلة المعاصرة أو الحديثة: الإنسان يذهب إلى الجيش، بخدمة إلزامية أو بتطوع، بالجيش عريف أي سبعة، وهناك عريف أول، سبعتان، ومساعد ثمانية، و مساعد أول ثمانيتان، و ملازم على كتفه نجمتان، و ملازم أول نجمتان، ونقيب ثلاث نجمات، و مقدم أربع نجمات، بعد ذلك عقيد، ثم عميد، ثم لواء، ثم فريق، هذه مراتب الجيش.

لكن عند الله عز وجل هناك مراتب بعدد بني البشر، كل واحد له مرتبة عند الله بحسب عمله وإخلاصه، فالإنسان عندما يكون طموحاً يبحث عن سعادة أبدية، يبحث عن سلامته في الدنيا، يفكر بالله عز وجل، يتعرف به، فأصل الدين معرفة الله عز وجل.



وأنا قد يأتيني أمر من عريف سبعة يمكن ألا أنفذه، أو أنفذه بتباطؤ، أو أنفذه مع سخرية أحياناً، أما عندما يأتي أمر من لواء قائد الجيش فالأمر يختلف.

لذلك عظمة الأمر من عظمة الآمر، فالله عز وجل هو أعظم عظيم، أعطاك أمراً، فعندما تنصاع لأمر الله عز وجل أنت أسعد إنسان في الأرض، نتيجة الطاعة، دائماً أنت تطيعه بقدر معرفتك به، فكلما ازدادت المعرفة صار هناك خضوعاً لله عز وجل، خضوع، واستسلام، وطاعة، طاعة الله عز وجل قمة سعادة الإنسان، لأنه يطبق تعليمات الصانع.

عفواً، عندما أنا أقتني آلة غالية، هذه الآلة الغالية لها صانع، أية جهة ينبغي أن أتبع تعليماتها؟ الجهة الصانعة، لو عندك مثلاً كومبيوتر آي، بي، أم فرضاً، وعندك جار بقال، لو أصاب الكومبيوتر خللاً تعطيه للبقال ليصلحه لك؟ تحتاج إلى الشركة، تحتاج إلى شركة خبيرة، الله عز وجل قال:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر]

فأنت عندما توقن أن الله هو الخبير بسعادتك، قال لك: صلِّ، قال لك: غض بصرك، قال لك: أدِّ الذي عليك، قال لك: كن باراً بوالديك، قال لك: كن زوجاً صالحاً، كوني زوجة صالحة، لما الله عز وجل يكون هو الخالق، هو الخبير، أعطانا تعليمات، ونفذناها نحن أسعد الناس به.

من أحبّ الله أطاعه :



إذاً أنا بقدر معرفتي بالله أحبه، وبقدر معرفتي بالله أطيعه، لذلك من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن أعجب العجب أن تحبه ثم لا تطيعه، هي سلسلة؛ تعرفه، تحبه، تطيعه، مستحيل بل من أعجب العجب أن نعرفه ثم لا نحبه، ومن أعجب العجب أيضاً أن نحبه ثم لا نطيعه.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

الأخت رانيا:

فضيلتكم، محبتنا لله نسأله سبحانه إن شاء الله أن تكون خالصة له، لكن ما يصيبنا من مصائب، ومن كربات في هذه الدنيا، قد يبعدنا عن هذه المحبة بمعنى أحياناً بعض الناس يحصل عندها اعتراض، يحصل عندها ولو كان الأمر آنياً، ردة فعل سلبية، نحن نعلم أنه يجب علينا أن نطيع الله سبحانه وتعالى، ومن طاعة الله الرضا بقدره وبقضائه، عندما يأتي هذا القضاء أو هذا الأمر ونحن نعترض عليه ومع أننا نحب الله سبحانه وتعالى فهل هذه المحبة تكون محبة ليست صادقة أو مزيفة؟.

ما نزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة :

الدكتور راتب:

أقول لك الجواب الدقيق، لكن هذا الجواب يريح النفس كثيراً: كل شيء وقع أراده الله معنى أراده أي سمح به، لم يأمر ولم يرضَ، لو فرضنا إنساناً أخطأ فاستحق معالجة إلهية، الله عز وجل لا يريد هذه المعالجة المؤلمة للإنسان، تماماً كالأب الطبيب، حينما يرى أن ابنه مريض ويحتاج إلى استئصال الزائدة الدودية هو أب كله رحمة، لكن رحمة مع علم، يسمح بإجراء عملية جراحية له، طبعاً يخدر، يشق بطنه، تستأصل الزائدة، يخيط الجرح، وبعدئذٍ ينتهي فعل التخدير تبدأ آلام لا تحتمل، هو أب لأنه عالم يسمح بهذه العملية الجراحية، الله عز وجل قال:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة]

ما في مصيبة على وجه الأرض إلا من أجل أن نرجع إلى الله، مصيبة عشوائية ليس لها هدف، مستحيلة، هذه المصيبة العشوائية بلا هدف تتناقض مع وجود الله، ما من مصيبة على وجه الأرض إلا لعلة كبيرة جداً فينا، لذلك ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، الله عز وجل ماذا قال؟ قال:



﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ ﴾

[سورة النساء الآية: ١٤٧]

الآن عفواً، أب عادي ابنه نظيف، مرتب، علاماته كلها كاملة، متفوق بمدرسته، هل يوجد بالأرض أب يضرب هذا الابن؟ من سابع المستحيلات!

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ ﴾

معنى هذا أن علة وجودي في الأرض أن أعرفه، وأن أطيعه، وأن أشكره، فإذا عرف العبد ربه، وأطاعه، وشكره، لِمَ المصائب؟ ليس لها معنى إطلاقاً، لا يوجد مصيبة عشوائية إطلاقاً، الله عز وجل قال: أنا لا أسوق عذاباً إلا لسبب، فالبطولة أن نعرف أن الله عز وجل، و الله غني عن تعذيبنا، لكن حينما نقصر،

حينما نشرد عنه، حينما نتحرك بخلاف ما خلقنا له من الجنة، حينما نعتدي على بعضنا بعضاً، حينما يستهزئ بعضنا ببعض، تأتي المعالجة الإلهية.

ما من عثرة – إنسان وقع– ولا اختلاج عرق – اضطرب – ولا خدش عود – هناك مسمار لم ينتبه له فعمل له خدشاً بيده– ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر. هذا إيماننا.

أنواع المصائب :

المصيبة لها فلسفة بالحياة، المصائب أنواع، هناك مصائب دفع تدفعنا إلى الله، هناك تقصير تأتي مصيبة، أو يأتي شبح مصيبة، هذه المصيبة أو شبح المصيبة تسوقنا إلى الله، هذه مصائب دفع، وهناك مصائب رفع، إنسان يملك شاحنة، تحمل عشرين طناً قبل أن يحمل طناً واحداً لماذا قبل بطن واحد؟ الأجر كبير جداً، خذ عشرين طناً، هذه مصائب رفع، هناك مصائب دفع، و مصائب رفع، ومصائب كشف، هذه مصائب الكشف مصائب الأنبياء، عنده كمال يفوق حد الخيال، لا يظهر.
أما أن يذهب النبي إلى الطائف، على قدميه مشياً، ثمانون كيلومتراً ويستقبله أهل الطائف بالاستهزاء والتكذيب، بل والضرب، وأرسلوا الغلمان يضربونه بالحجارة، ويأتي ملك الجبال يقول له: يا محمد! أمرني ربي أن أكون طوع إرادتك:

((إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))

[متفق عليه عن عائشة]

هذه مصيبة، لكن مصيبة كشفت حقيقة النبي الكريم، أعلى درجة من الإيذاء والسخرية والتعذيب، بل والضرب ويتمكن أن يسحقهم بأكملهم، فقال له: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون:

((أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ))

هذه مصائب كشف للأنبياء، هناك مصائب رفع للمؤمنين، و مصائب دفع للمقصرين، هناك دفع ، ورفع، وكشف، فالمصيبة لها فلسفة، فالذي وقع أراده الله، أي سمح به، لأنه لا يليق أن يقع بملك الله ما لا يريد، ما عاد إلهاً، لا يليق بالذات الإلهية، بالكمال الإلهي لا يليق بألوهية الإله أن يقع في ملكه ما لا يريد.

الأخت رانيا:

وهذا من معرفتي بالله سبحانه وتعالى.

تعلق إرادة الله بالحكمة المطلقة :

الدكتور راتب:

هذه واحدة فكل شيء وقع أراده الله، وبالعكس وكل شيء أراده الله وقع، هذه عكس تلك أو مثل بعضهم، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، أي الذي وقع لو لم يقع لكان الله ملوماً، والذي وقع لو لم يقع لكان نقصاً في حكمة الله، كل شيء وقع أراده الله، كل شيء أراده الله وقع، إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، الله عز وجل خير مطلق، والشر المطلق لا وجود له في الكون، لأن الشر المطلق، أي الشر للشر، العمل الجراحي للخير، هناك فتح بطن، و تخدير، و شق جلد، و شق بطن، و استئصال بعمل جراحي، و خياطة جلد، و آلام أحياناً، هذا عمل، لكن الهدف منه شفاء أمر معين. إذاً نحن لا يوجد عندنا بالكون شر مطلق، لكن الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، لكن هناك شر نسبي، ظاهره مؤلم، لكن في حقيقته فيه شفاء للإنسان، فأنا حينما أفهم المصائب هكذا من أجل شفاء الإنسان:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

هذا الأدنى، الأكبر عذاب النار،

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

فالشر المطلق يتناقض مع وجود الله.

مثلاً للتقريب: طفل في الصف الخامس الابتدائي، قال لأبيه: لا أريد أن أدرس قال له: كما تريد على أول كلمة، هذا الطفل لم يداوم في اليوم الثاني و نام للساعة العاشرة، راح إلى السينما فاعتقد أنه أذكى من كل الطلاب، المجانين هم الذين يذهبون إلى المدارس ويتعذبون، عندما كبر لا يوجد عنده بيت، ولا زواج، ولا أولاد، ولا سيارة، فقير، متسول، يقول لأبيه: لماذا عندما قلت لك: أنا لا أريد أن أدرس لم تضربني؟ لماذا تركتني؟ انظري إلى الآية:

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ﴾

[سورة القصص الآية: ٤٧]

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾

[سورة طه الآية: ١٣٤]

أي أن الذي أصابنا لو لم يصيبنا لكان الله ملوماً يوم القيامة، أنا بعثت إليكم العلاج الكافي، أنتم ما استجبتم، فلمصائب لابد منها مع التقصير.

مثل الأب تماماً، إذا كانت علامات ابنه أصفاراً و لم يتكلم معه أية كلمة، بعد سنة رسب، رسب مرة ثانية، أخرجوه من المدرسة، بلا عمل، بلا شهادة، بلا دراسة، بلا زواج، عندما كبر حقد على أبيه، لماذا لم تؤدبني؟ أنا لا أعرف أنت تعرف.

لذلك:

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ﴾
﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾

لأخت رانيا:

لا إله إلا الله، فضيلتكم، السعادة الحقيقية بأيدينا نحن، بطاعة الله سبحانه وتعالى، بمعرفته.

أسئلة المستمعين عديدة منها :

الدكتور راتب:

عبدي كن لي كما أريد، ولا تعلمني بما يصلحك.

الأخت رانيا:

فضيلتكم، سوف نفتح خط الهاتف للمستمعين إذا أرادوا الاتصال، وطرح الأسئلة على فضيلتكم، رقم الهاتف هو: ٩٧٥٨٣٣٩٩، إذا كنتم تودون طرح أي سؤال على فضيلة الدكتور بإمكانكم الاتصال بنا الآن مستمعينا نحن معكم مباشرة على الهواء.

معنا أول اتصال: السلام عليكم.

السائل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بشيخنا العظيم، جاء علينا بالنور والرحمة والعز مما عنده من جبر، أولاً: أهلاً وسهلاً بك، ما هو أحسن دعاء عندكم للوقاية من الجن والشيطان في هذا الزمان؟ وشكراً لكم، وأهلاً وسهلاً بكم، ورجوعكم بالسلامة إن شاء الله إلى بلادكم.

أحسن دعاء للوقاية من الجن والشيطان في هذا الزمان :

الأخت رانيا:

فضيلة الدكتور لو سمحت نأخذ مجموعة من الأسئلة ومن ثم فضيلتكم تجيب عليها حتى لا ندع المسلمين ينتظرون كثيراً، السلام عليكم.

السائل:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أولاً: نرحب بالدكتور راتب النابلسي، ثانياً: سمعت في الإذاعة أسماء الله الحسنى، الماجد الواجد ليست من أسماء الله، و الموجود، هل ممكن لفضيلة الدكتور أن يوضح لنا النقطة هذه؟.

توضيح بعض أسماء الله الحسنى :

النقطة الثانية: لو أن الواحد يؤم الناس، ويقرأ آخر آيات سورة الحشر سمعت أن من يقرأ هذه الآيات يودعه ستين ألف ملك، هو كان إماماً، هل يودع الإمام والمأموم ستين ألف ملك أم لا؟.

هل يودع الإمام والمأموم ستين ألف ملك عند قراءة سورة الحشر أم لا؟

ثالث سؤال: فضيلة الشيخ عبد الحميد الكشك إذا كان يصلي، وكان أمامه طعام، وأكلت قطة الطعام، فقال: بسم الله، وأظهر حرب السين لتمشي القطة بطلت الصلاة، ما هي الشرعية لهذا، وجزاكم الله خيراً.

الأخت رانيا:

أنا أحاول قدر الإمكان بشكل سريع أن أودن الأسئلة التي طرحها الأخ، السلام عليكم.

السائلة:

السلام عليكم، أريد أن أسأل الشيخ، إذا أحد توفى من عائلتنا، و واحدة خافت بالليل، مع العلم أنا أصلي، لكن إذا خفنا بالليل هذا يكون هذا ضعف إيمان؟ أريد أن أسأله للشيخ؟

هل الخوف ناتج عن ضعف الإيمان ؟

السؤال الثاني: إذا المتوفية نزل معها طفل صغير هل يخفف عنها؟ أريد أن أعرف، هو طرح صغير عمره خمسة أشهر، السلام عليكم.

هل الطفل الصغير المدفون مع الإنسان الكبير يخفف عنه ؟

الأخت رانيا:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم.

السائل:

السلام عليكم، سؤال سريع بالنسبة للمحاضرة غداً، هل هي موجودة؟ أم لم يبق شيء؟.

الأخت رانيا:

لم يبقَ.

الأخت رانيا:

يسأل الأخ على بطاقات الاحتفال، حضورك يا دكتور فيه بركة كبيرة، السلام عليكم.

سؤال عن بطاقات الاحتفال :

السائل:

السلام عليكم، أولاً: نرحب بالشيخ محمد النابلسي، ونتمنى له حسن الإقامة إن شاء الله في أستراليا، شيخ، أريد أن أسأل سؤالاً كيف يكون الابتلاء نعمة أم نقمة؟ لأنه نسمع أن الابتلاء يكون في بعض الأوقات من دون ذنب، حتى في بعض الأمثلة يشدد الله سكرات الموت على بعض أحبته، حتى أحياناً لا يكون هناك ذنباً، فكيف نفرق أن الابتلاء بذنب أو بدون ذنب؟ في بعض الابتلاءات يكون هناك ذنباً، وبعض الابتلاءات تكون من دون ذنب، والله سبحانه وتعالى يحب العبد، ويكثر عليه المصائب حتى يشدد عليه سكرات الموت، فلو سمحت توضح هذه الفكرة.

الابتلاء نعمة أم نقمة ؟

الأخت رانيا:

الله يبارك فيك، السلام عليكم.

السائل:

السلام عليكم فضيلة الشيخ، الله يعلم أنني أحبك في الله، شيخ بالنسبة لموضوع أجار البيوت هنا في أستراليا صعب، فنضطر أن نشتري بيوت، وكل شاب منا يشتري بيتاً له، بعض العلماء هنا قالوا: البيت الأول لا

بأس في هذا الموضوع إن أخذ من البنك، أريد أن أفهم ما رأيك ولك خبرتك بالحياة ما رأيك في هذا الموضوع؟.

القرض الربوي لشراء البيوت :

الأخت رانيا:

أريد أن أنوه للمستمعين إن شاء الله خلال دقائق سيكون الخط مفتوحاً لأي سؤال تريدون أن تسألوه لفضيلة الدكتور و لكن بعد ذلك سأوقف الاتصالات لأنه ما شاء الله صار عندي مجموعة كبيرة حتى يكون هناك متسعاً لفضيلته حتى يجيب عليها، فالذي يحب أن يسال سؤالاً أتمنى عليه أن يتصل الآن خلال دقيقتين حتى نعطي فرصة لفضيلة الدكتور أن يجيب ويشرح لنا وإن شاء الله نستفيد جميعاً من الشرح الذي سيوافينا به.

السلام عليكم.

السائلة:

السلام عليكم، أريد أن أسأل ما حكم إقامة صلاة المرأة، السلام عليكم.

ما حكم إقامة صلاة المرأة ؟

الأخت رانيا:

السلام عليكم.

السائلة:

السلام عليكم، أختي في الله أنا أريد أن أسأل الشيخ أنا عندي أولاد، و أكثر شيء نتهم به من ناحية الأولاد، ويعرف أنه يوجد مشكلة في أستراليا، فأنا الحمد لله رب العالمين، عندما كان أولادي صغاراً أخذتهم إلى مدارس إسلامية، وحاولت أن أضع فيهم قناعات، وعلمتهم الالتزام، لكن عندي ولداً من أولادي وصل لمرحلة من الفساد حتى الكلمة لم يعد يسمعها مني، صار بعمر الرشد، أنا أعرف في هذه المرحلة أنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً، فهل أكون على صواب إذا سكت وتركته و أتركه يعيش عندي وفقط؟ أم ما هو المطلوب مني؟ بارك الله بك.

تربية الأولاد في المهجر :

الأخت رانيا:

السلام عليكم.

السائل:

أنا تكلمت من دقيقتين نسيت سؤالاً، كيف تكون لذة القرب من العبد لله، ومن الله سبحانه وتعالى للعبد؟ ليت فضيلة الدكتور يشرح لنا النقطة هذه، جزاك الله خيراً، والسلام عليكم.

كيف تكون لذة القرب من الله ؟

الأخت رانيا:

السلام عليكم.

السائلة:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أنا أريد أن أسأل سؤالاً للشيخ، هناك علماء يقولون: إن الله يري الطفل وهو في بطن أمه الدنيا التي يراها، والعهد الذي سيراه سبحان الله، الله أرسل سيدنا موسى بالبحر لفرعون، أعطاه الرحمة، وجعله يعقد الوسام، ولكن بعدها أعطاه النبوة في آخر عمره، سبحان الله! من يستطيع أن يحافظ على حق كرامة القرآن إذا أرادوا أن يعاقبوه بشيء لا يحبه الله؟ طفل مريض كيف يريدون أن يعاقبوه وهو حامل القرآن.

الأخت رانيا:

لو سمحت لم يوضح السؤال، جزء منه أن بعض العلماء يقولون: إن الطفل في بطن أمه....

السائلة:

يكلمه رب العالمين، يقول له: أرني الدنيا التي أعيشها.

هل صحيح أن الطفل يكلمه رب العالمين و يريه الدنيا التي سيعيشها ؟

الأخت رانيا:

الآن نرى فضيلة الدكتور إذا كان هذا الكلام صحيحاً أم لا؟ أهلاً وسهلاً بك.

السلام عليكم.

السائلة:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، بارك الله بكم و جزاكم كل خير، وأهلاً وسهلاً بحضرة الدكتور، أنا أحضرت من الصوت الإسلامي سي دي لك بتحريم التدخين، وأعطيته لبعض من العلية عندنا، وكلهم ملتزمون ولله الحمد الأكثرية يدخنون، قلت لهم: حرام، قالوا: لا، ليس حراماً، ولا يعرفون اللغة العربية جيداً، بارك الله فيك إذا كنت تعرف أحداً يعرف الإنكليزية جيداً، أن يترجم السي دي للإنكليزية الذي أنت عملته، أنا هذا الطلب مهم بالنسبة لي للجيل الصاعد الذي لا يعرف العربية.

ترجمة السيديات إلى اللغة الانكليزية :

الأخت رانيا:

وصلت الفكرة إن شاء الله، الوقت مرّ بسرعة سآخذ آخر اتصال معنا، مستمعينا أعتذر من كل التليفونات التي تتصل بنا، سآخذ اتصالين لأنه ما شاء الله الأسئلة كثرت، وحتى يكون هناك متسعاً للإجابة عليها، السلام عليكم.

السائلة:

وعليكم السلام، السلام عليكم دكتور، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعطينا من النور الذي معك، أريد تفسير هذه الآية حينما أقرؤها سبحان الله:

﴿ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾

[سورة التوبة الآية: ١٢٦]

أريد تفسيراً عنها إذا سمحت، جزاك الله الخير.

تفسير الآية التالية : يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ :

الأخت رانيا:

السلام عليكم.

السائلة:

السلام عليكم، أريد أن أسأل إلى تخفيف الحواجب لأنني سمعت من شيخ أن النمص من الكبائر.

السؤال عن تخفيف الحواجب :

والسؤال الثاني بالنسبة للآية:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٥٣]

تفسير الآية التالية وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ :

السؤال الثالث: أريد أن أسأل بالنسبة للحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال:

((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار))

[أخرجه الحاكم وصححه ورده الذهبي من حديث أبي ثعلبة الخشني]

أريد أن أسأل فضيلة الشيخ عن هذا الحديث أن الإسلام يدخل مع كل إنسان يسلم وبالنسبة إلى وسائل الإعلام.

هل الإسلام يدخل مع كل إنسان يسلم ؟

الدكتور راتب:

سوف يصل إلى كل بقاع الأرض، هذا معنى الحديث، وصل لمالبور، آخر مدينة بالعالم.

السائلة:

سيدخل كل بيت، قصدي عن طريق وسائل الإعلام، وأن كل العالم تسمع أن هناك إسلام؟.

الدكتور راتب:

طبعاً هناك وسائل اتصال، ونشر واسعة جداً.

الأخت رانيا:

نكتفي بهذا القدر من الاتصالات مستمعينا عذراً لكم إن شاء الله في اللقاء القادم فضيلة الدكتور أيضاً نفتح المجال أكبر حتى يتصلوا بنا.

الأخ السائل ما أفضل دعاء لوقاية للإنسان من الجن والشيطان؟.

شرط استجابة الدعاء أن يكون قلب الإنسان ملتفتاً إلى الله :

الدكتور راتب:



والله بالمناسبة الله يعلم السر وأخفى، يعلم ما أسررته، ويعلم ما أعلنته، ويعلم ما خفي عنك، ما من داع لأن ندقق باللغة، بأي لغة خاطب الله عز وجل، الله يريد قلبك، يريد قلبك المنيب، يريد رجوعك إليك، أما الصيغة فلا تقدم ولا تؤخر، للنبي أدعية فإذا اقتنى الإنسان دعاء من أدعية النبي فهذه أدعية مختارة، هذه من صياغة النبي الكريم المعصوم، فإذا لم يحفظ دعاء للنبي وقال: يا رب ارزقني، ولو تكلم باللغة العامية، الله يقبل، الله يريد القلب، الأولى أن أدعو بدعاء النبي، وهناك كتيبات كثيرة جداً، الدعاء المستجاب، لو ذهب أحدكم إلى العمرة أو إلى الحج في الطواف قال: يا رب ترزق أولادي، تبعث لابنتي زوجاً صالحاً، بأي لغة، بالعامية، بالفصحى، دعاء ورد، ما ورد، الله يريد قلبك، يريدك أن تقبل عليه، وتطلب منه، لذلك الإنسان حينما يتوجه إلى الله يكون عند الله كبيراً، إذا توجه إلى غيره يكون مشركاً، فموضوع الصيغة لا تهم، يهم أن القلب يكون ملتفتاً إلى الله عز وجل.

الأخت رانيا:

أخ سأل: سمعت أن أسماء الله الحسنى الواجد والماجد ليست من أسمائه فهل هذا صحيح؟.

الأسماء الحسنى بشكل عام واسعة جداً :

الدكتور راتب:

عندنا الأسماء تقريباً بكتاب لعالم أزهري كبير مئتان و ثلاثة و تسعون اسماً تقريباً، ما الاسم؟.

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٤٧]

إذاً الله بان، فالباني من أسماء الله، أما في بالقرآن فالأسماء عبارة عن تسعة و تسعين اسماً، هذه الله ذكرها، أما هناك أسماء كثر، هناك كتاب للشرباصي وهو عالم مصري كبير أزهري جمع مئتين و ثلاثة و تسعين اسماً، إذا أخذنا من كل فعل اسماً، فالأسماء الحسنى هي بشكل عام واسعة جداً، أما الأسماء:

((إنَّ للهِ تِسْعَةَ وتِسعِينَ اسما - من أحصاها دخل الجنة -))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

ذكرت الأسماء الحسنى ضمن طيات القرآن تسعة وتسعين اسم.

الأخت رانيا:

الأخ سأل: هل الإمام الذي يؤم إذا قرأ في صلاته آخر آيات سورة الحشر يصلي عليه ستون ألف ملك أيضاً؟.

الكتاب و ما صحّ من السنة هذا ما يهم كل إنسان :

الدكتور راتب:

والله أنا هذا الحديث ما سمعته، غير مشهور، وهناك أحاديث كثيرة ضعيفة جداً، و أحاديث موضوعة أكثر، فنحن يهمنا الكتاب وما صح من السنة، هذا الحديث ما ورد معي.

الأخت رانيا:

معنى الصلاة هو الدعاء له، أحياناً الإنسان يعمل عملاً فيه خير ويدعو له مئة ألف ملك، والعلم عند الله تعالى.

فضيلتكم، كما قال الأخ أنه في أحد الخطب لفضيلة الشيخ الكشك رحمة الله عليه كان يقول: لو كان المرء يصلي وجاءت قطة وقال: بسم الله لأن نيته هنا هو طرد هذه القطة إذاً بطلت صلاته؟

القرآن أعظم من كل شيء :

الدكتور راتب:

لا يجوز هذا الشيء إطلاقاً، مثلاً لو عنده ابن اسمه يحيى، ومشى إلى المدرسة ونسي كتابه، فقال له: يا يحيى خذ الكتاب، لا يجوز، القرآن أعظم من ذلك.

الأخت رانيا:

فضيلتكم أحياناً يكون الإنسان وهو يصلي الطفلة تلعب ولكنها تؤذي نفسها فالإنسان أصبح الآن مربوطاً.

الحركة في الصلاة غير التلفظ :

الدكتور راتب:

لا يوجد حرج أبداً.

الأخت رانيا:

لا يوجد حرج هو لن يتلفظ لأنه في الصلاة، لكن إذا بادر لأي حركة فلابأس.

الدكتور راتب:

شيء طبيعي جداً، لو ابنه اقترب من مدفأة هناك مشكلة كبيرة، يرفع صوته أحياناً يرفع صوت بشكل يلفت النظر.

الأخت رانيا:

إذا توفي شخص من العائلة، وأفراد الأسرة أصبح لديهم شعور بالخوف، نحن أطفال كان والدي رحمة الله عليه يخوفنا، جارتنا توفت وإذا عذبناه يقول: الآن ستأتي لكم فلانة الفلانية، وأحياناً الإنسان حتى لو كبر يصبح عنده هاجس وعقدة هذا الشخص، فما بالك إذا الذي مات كان من العائلة نفسها هل هذا أمر فيه؟

الابتعاد عن تخويف الأولاد :

الدكتور راتب:

هذا خطأ كبير، أنا أخوف أولادي من شيء طبيعي هذه مشكلة كبيرة، أنا أرى دائماً الأب حينما يخلق أشياء مخيفة هو من صنعه يقع بإشكال مع أولاده كبير جداً، أنا أقول: ولو أنا عاقبت ابني بمنعه من الطعام، صار الطعام ليس حاجة صار متعة، أحد أسباب السمنة أنه نحن كنا نعاقب أولادنا بالمنع من الطعام، فوجد الطعام غنيمة، وليس حاجة لها حد معين، هناك أخطاء كبيرة جداً قد ترتكب.

الأخت رانيا:

الأخت سألت بأنه أحد الأشخاص توفى بالعائلة وهي تشعر بالخوف من روحه، أو قد يأتي هل هذا ضعف في الإيمان؟.

الخوف خطأ بالتربية له آثار وبيلة جداً :

الدكتور راتب:


الخوف أمر طبيعي

لا، الخوف شيء من طبيعة الإنسان، لكن كلما حكم عقله بموضوع الخوف يخف الخوف عنه، أما إذا استسلم الإنسان فيصبح معه حالة مرضية اسمها الوساوس المتسلطة، هذا مرض نفسي شديد، يخاف من الظلام، يخاف من الليل، يخاف من قطة سوداء معينة، وهناك أنواع من الخوف ناتجة عن سوء تربيتنا، أنا أتمنى من الأب ألا يخوف ابنه من شيء غير موجود يدخله بأوهام، أوهام لا تنتهي، وأحياناً يكون هناك خطأ بالتربية له آثار وبيلة جداً، فأنا أحاول بموضوع لا المكافأة بالطعام، والعقاب من حرمانه، صار الطعام متعة، لم يعد يأكل حاجته بل صار يأكل أكثر، وهذا أحد أسباب الصحة الزائدة بالمستقبل عقوبات تلقاها وهو صغير متعلقة بالطعام.

الأخت رانيا:

الشيء بالشيء يذكر الآن بما أنك ذكرت هذا الموضوع ونحن كآباء إذا كنت أريد أن أرهب ولدي بالكلام بماذا أرهبه؟ ما الذي برأيك قد يتفاعل معه طفل بحيث أنه لا يفعل الأمر الذي يود أن يفعله طبعاً بعيداً عن الضرب، أو النهر أو شيء من ذلك؟

الترغيب و الترهيب أفضل أسلوب للتربية مع الابتعاد عن الضرب و الشتائم :

الدكتور راتب:

عندي أسلوب أن أعمل دفتراً صغيراً فكلما أخطأ ابني أضع عليه إشارة، كل خمس إشارات أو عشر هناك مشكلة، فأنا أدع التعامل تعاملاً علمياً، أن هذا العمل خطأ.



نحن عندنا ثانوية، إذا كان هناك مجموعة أخطاء عند الطالب عنده لوحة إلكترونية على صدره يطرح من نقاطه عشر نقاط، وإذا عملَ عملاً طيباً يأتيه عشر نقاط، آخر السنة معه عشرة آلاف نقطة يأخذ دراجة، يأخذ كومبيوتر، كل شيء محسوب، فأنا لابني أضع له دفتراً صغيراً، هذه غلطة يا بني يجب ألا تعيدها، أعمل له إشارات سوداء، وإشارات بيضاء أو حمراء مثلاً، هناك أشياء تفوق بها، أشياء قصر بها، فعندما يعرف أن كل غلطة سيحاسب عليها تقل إمكانيته بالشراء، أترجم النقاط إلى مال أحياناً، أترجمه إلى هدايا، أنا لا أريد الضرب والشتائم طريقة من طرق التربية إطلاقاً، لا ضرب، ولا شتائم، لكن أنا أقنعه أن هذا غلط، أبدت عليه هذه الغلطة، وأي صواب أتيت بعلامة تامة هذه لك عندي عشر نقاط، ما دام هناك تعاملاً بالنقاط وبالعلامات وبالتوجيه والنصح هذا أقوى وأرقى بكثير من الضرب والسباب.

أحياناً الإنسان يربي ابنه سنوات طويلة لا يضطر أن يسبه إطلاقاً، ولا يضربه، لأن هناك تعامل علمي بينهم، أنا أتمنى من الأب أن يوضح لأولاده الخطأ وإذا ارتكبه أول مرة لا يفعل معه شيء، لكن يسجله، والمرة الثانية يسجله عليه، الثالثة يعاقبه، والعقاب أنواع، أحياناً يحرمه من نزهة، النزهة محببة له جداً، يحرمه من شيء محبب له من دون أن يضربه ويشتمه.

الأخت رانيا:

نتابع مع فضيلتكم الأسئلة التي وردت معنا، وأخت سألت إذا نزل المولود الجديد مع المتوفاة هل يخفف عنها؟.

عدم ورود أن الطرح الصغير يخفف عن المتوفى في السنة إطلاقاً :

الدكتور راتب:

ما ورد شيء بالسنة عن هذا إطلاقاً.

الأخت رانيا:

هنا نتيجة أنه عندنا أزمة في القبور أحياناً كثيرة إذا كان هناك طرحاً، أو إذا مولود ولد عن قريب إذا أحد متوفى يضعونه معه، الناس تستبشر خيراً في الأمر.

الدكتور راتب:

أنا والله ما مرّ معني نص بذلك إطلاقاً.

الأخت رانيا:

السؤال الذي بعده هو: كيف يكون الابتلاء نعمة أم نقمة؟ وأحياناً كما ذكر الأخ أنه يأتي الابتلاء وقد لا يقوم الإنسان بذنب، وأحياناً يأتي بذنب، كيف يكون ذلك؟.

للإنسان مع الله ثلاث مراحل مرحلة التأديب ومرحلة الامتحان ومرحلة التكريم :

الدكتور راتب:

يكون ذلك أن الإنسان يكون له مع الله ثلاث مراحل، مرحلة التأديب، ومرحلة الامتحان، ومرحلة التكريم، ارتكب خطأ هناك تأديب، أي عقاب، ما ارتكب خطأ هناك امتحان، الآن لا ارتكب خطأ ولا امتحاناً هناك تكريم، فبين التأديب، والامتحان، والتكريم، هذه مراحل، إما أنها متمايزة، أو متداخلة.

أحياناً الطعام موضوع على الطاولة، والطعام طيب، والابن جائع، والطعام لوالده، يا بني: لا تأكل، قال له: حاضر بابا، امتحنه امتحاناً، كم ثقة والده؟ كم متأدب مع والده؟ لماذا لا آكل؟.

فعندنا شيء هو امتحان، لا يوجد ذنب معه، لو أنه الطالب أجاب إجابة سريعة لأستاذه، و هذه الإجابة صحيحة لعل رفيقه قالها له همساً، فيعمل له سؤالاً ثانياً أصعب، حتى يتأكد، عندنا نحن مصيبة امتحان، مصيبة تأديب، وهناك تكريم، فالإنسان بين التأديب، والامتحان، والتكريم، أحياناً تكون هذه المراحل متداخلة، أي باليوم الواحد هناك مليون مصيبة تأديب لغلطة ارتكبها، وهناك مصيبة ابتلاء، وامتحان، وتكريم، وأحياناً تكون متمايزة.

الأخت رانيا:

فضيلتكم، قد يرى البعض التكريم للإنسان المؤمن تكريم من الله سبحانه وتعالى، وقد نراه في آخرين تكريماً لهم، وقد يكون غير ذلك، بمعنى هناك بعض الناس يكونوا من الأغنياء والبعض الآخر من الفقراء، لماذا هذا الغني غنياً ولماذا هذا الفقير فقيراً؟ هل هذا الغنى تكريم له؟.

ليس عطاء الله إكراماً و لا منعه حرماناً :

الدكتور راتب:

لا أبداً ابتلاء.

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾

[سورة الفجر الآية: ١٥]

هذه مقولته، وليست صحيحة.

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا ﴾

[سورة الفجر الآية: ١٦]

" ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرماني دواء"، لا يتوهم إن لم يكن على منهج الله تماماً، وجاءه خير كبير، أن هذا تكريم، هذا يسمونه إمداداً.

﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً ﴾

[سورة مريم الآية: ٧٩]

فأنا أريد أن أعرف بالضبط العطاء الإلهي قد يكون تكريماً على أثر طاعة لله، قد يكون إمداداً كما يمد الله للذين شردوا عنه أحياناً، وهناك حرمان، حرمان تأديب، وحرمان وقاية.

الأخت رانيا:

أخ سأل عن موضوع شراء بيت، وأنا ذكرت لك سابقاً أن هذا السؤال سوف يطرح، ومن الأمور التي دائماً تطرح بالنسبة للمشايخ وللعلماء وحتى في حديثنا نحن، بعض العلماء ومنهم مجلس الإفتاء الأوربي، هم أفتوا أن البيت الأول وليس لكل المسلمين فقط للذين يسكنون في البلاد التي ليست مسلمة، أفتوا لهم بالبيت الأول، بعض العلماء يقف عند هذا الموضوع ويقول: لا، الربا ربا، وهذا الموضوع لا تساهل به، وليس بإمكانكم أخذ أي قرض.

ذكرت لك أننا هنا نعيش في أزمة سكن، وأيضاً أجارات هذا السكن، الأجار يصل إلى مبالغ عالية، من ضمن الأمور حتى أنا في متابعة لبعض الندوات والمحاضرات سمعت أحد العلماء يقول: بأنه إذا وصل أجار البيت الذي تدفعه في كل أسبوع إلى ما يوازي الدفعة التي تدفعها للبنك فيجوز لك أخذ هذا القرض لأنه هنا متساو، ولأنه يعود هنا لك، بينما الإيجار تدفعه ولن يكون لك.

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

قوي بمعنى أنه متمكن، ليس عليه ضغط من أي مالك من المنزل، أنا قلت لك صورة، لا أدري ما الإجابة عن هذا الموضوع؟.

ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه :

الدكتور راتب:

أولاً: الله عز وجل قال:

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٧٣]

في أي شيء، هناك كأس خمر، وصار معي غصة لو لم أدعمها بشربة لمت

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾

الله عز وجل سمح بالخمر للضرورة، فهذه الضرورة لست أنا أعرفها، يعرفها الله وصاحبها فقط، فالإنسان يفتي لحاله، إذا تلقى فتوى من إنسان مسموعة كلمته، يركب الفتوى مليون شخص ليس بحاجة لها، كلام دقيق، إذا كان شيخ الأزهر أفتى بهذا الموضوع يفعل هذا الشيء مليارا إنسان، أو مليونا إنسان وليسوا بحاجة إليه، أما هذا الموضوع فيترك لكل إنسان، الله يعرف حاجته، ويعرف ضرورته، فإذا كان مضطراً الله قال:

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ﴾

لا يريد بهذا العمل أن يعصي الله،

﴿ وَلَا عَادٍ ﴾

أن يعود له ثانية،

﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

هذه الآية هي الأصل، لكن لا يوجد فتوى، هناك تقوى، التقوى البعد عن كل قرض ربوي.

والنقطة الدقيقة جداً:

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

والله مستحيل وألف ألف مستحيل أن يدع الإنسان شيئاً لله خوفاً منه وألا يعوض عليه أضعافاً مضاعفة، هذا الله عز وجل، وهذا نص الحديث أروع ما يقال في هذا الموضوع:

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

والآية:

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

من يقدر الضرورة؟ صاحبها فقط، وربه العليم، أما إذا كان إنسان له مكانة كشيخ الأزهر عالم كبير يستخدمها مليون إنسان وليسوا بحاجة لها، مثلاً يكون بيته مئة متر، يريد بيتاً مساحته مئة وعشرون متراً، وقع بالربا، أما إنسان يبقى في الطريق فهذه ضرورة، إذا لم يكن له محل إطلاقاً.

الضرورة يعرفها صاحبها و الله فقط :

أنا أذكر مرة هناك بيت بطريق المطار، بيت متداع، فهدم البيت بأمر من المحافظة وأعطوا صاحبه بيتاً بتقسيط ربوي، ما عنده غير البيت، فلما هدموه له، صار مضطراً، إذا كان هناك ضرورة حقيقية يعلمها صاحبها قطعاً، ويعلمها ربه، أما لو فرضنا أخذنا فتوى من إنسان وكلامه مسموع فيأتي ألف إنسان يركبها وليسوا بحاجة إليها، أنا أذكر: "يجوز أكل مال المستأمن برضاه".

فتوى لأبي حنيفة، بقصد إضعافه، نحن عندنا بلاد الحرب، وبلاد السلم، بلاد الإسلام، و بلاد الأمان، فدولة غربية هناك تمثيل دبلوماسي بيننا معنى هذا أنها دار أمان، فقال:"يجوز أكل مال المستأمن برضاه".

بقصد إضعافه، مرة إنسان اشترى مجلة طبية بألمانيا وعليها رقم، فربح هذا الرقم أربعين ألف مارك، فبعث وسألني، قلت له: خذهم لا يوجد مانع، هم بلاد مستأمنة وبرضاهم، أما عندما نقول له: يجوز أكل مال المستأمن تذهب مليارات وتوضع ببنوك أجنبية من أجل الربح، فهنا ما أضعفناه بل قويناه، هنا عكسنا الفتوى، فهو: "يجوز أكل مال المستأمن برضاه".

بقصد إضعافه، هذه فتوى لأبي حنيفة تقريباً، فأنا عندما أكون بألمانيا طالب طب ومعي مجلة وعليها رقم وربحت أربعين ألف مارك، آخذهم، أنا بحاجة أو لست بحاجة أعطيهم لفقراء المسلمين، هذه حالة نادرة جداً، أما أنا عندما أريد أن أعطي فتوى بالتقسيط الربوي هذه والله مشكلة كبيرة جداً، أما هو صاحب البيت فيدرك ذلك، وحده يعلم إذا كان مضطراً والله وحده يعرف.

الأخت رانيا:

بارك الله فيك، أخت سألت ما حكم إقامة الصلاة للمرأة؟ هل بإمكان المرأة أن تقيم الصلاة؟.

حكم إقامة الصلاة للمرأة ألا يصل صوتها إلى الطريق العام :

الدكتور راتب:

نعم، بصوت لا يصل للطريق مع أخواتها، لا يوجد مشكلة، هي دائماً المرأة الإمامة ينبغي ألا يصل صوتها إلى الطريق العام، إذا كان البيت داخلياً لا يوجد مانع.

الأخت رانيا:

فضيلتكم، في المنزل طبعاً المرأة لديها أولاد صغار، من أي عمر يكون بإمكان الولد إقامة الصلاة؟ وهي تسقط عنها إقامة الصلاة في المنزل إذا كان أولادها صغاراً؟.

إقامة الصلاة عند الولد تبدأ من سن التمييز :



يبدأ تعليم الأطفال الصلاة في سن التمييز

الدكتور راتب:

هو سن التمييز دائماً، عندما يميز الطفل بين الخير والشر.

الأخت رانيا:

إذا كان في سن التمييز وليس متمكناً من التلاوة، أو من الصلاة بشكل صحيح، هناك بعض الأولاد بدؤوا الآن يصلون ولم يصلوا سابقاً، والأم تريد أن تجمعهم ويصلوا جماعة، هنا الأم تؤمهم.

الدكتور راتب:

والله إذا كان صلى إماماً نشجعه، أو إذا كان هناك أخطاء ندله على أخطائه.

الأخت رانيا:

الأخت التي سألت عن مشكلة الأولاد، وقالت إنها ربت أولادها تربية صالحة لكن بينهم أحد الأولاد الذي لا يستمع إلى كلامها، وعلى ما يبدو بأنه سلك طريقاً خاطئاً، هي تريد أن تقومه لكنه لا يسمع، فتقول: هل أتركه في منزلي أم أدعه؟ أم هل عليّ إثم بأنني لا أستطيع أي شيء في تقويمه؟.

حاجة التربية إلى الحكمة :

الدكتور راتب:

والله القضية ليست سهلة، القضية صعبة جداً، لكن لا يوجد حل ثان.

مرة قال لي أحدهم إن أمه تسأل كثيراً، قلت له: طلقها، قال لي: وكيف أطلقها؟! قلت له: معنى هذا أنها أمك، هذه أمك قدرك.

والابن قدر، فنحن مهما أساء يبقى ابننا، يجب أن نحافظ عليه، ننصحه، نصبر عليه، لا يوجد غير هذه الطريقة، هناك طريقة ثانية؟ إذا أخطأ ابني، وأخطأ خطأ كبيراً، ماذا أفعل به؟ أخاف أن أطرده من البيت، أطرده يزداد أكثر، هذه تحتاج إلى حكمة والله.

الأخت رانيا:

الأخ الذي سأل عن كيف تكون لذة القرب من الله سبحانه وتعالى؟.

لذة القرب من الله سبحانه وتعالى تكون بالاستقامة :

الدكتور راتب:



بالاستقامة أولاً، الإنسان حينما يستقيم ألغى العقبات بينه وبين الله، بالضبط طريق فيه صخور كبيرة على عرض الطريق، فأنا هذا الطريق غير سالك، فيه عقبات، الاستقامة أن أزيح هذه العقبات من أمامي، صار الطريق سالكاً، العمل الصالح هو الحركة على الطريق، لكن ما دام هناك حركة وعقبات تتوقف الحركة،

الحقيقة عندنا استقامة وعمل صالح، الاستقامة أن ألغي كل معصية من حياتي، صغيرة أو كبيرة، إلغاء المعاصي، أنا هذه العقبات التي تحول بيني وبين الوصول للهدف أزحتها، لا تكفي، هناك:

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر الآية: ١٠]

يجب أن أعمل عملاً صالحاً، أتحرك نحو الله عز وجل، إذاً صار عندنا عقبات هي المعاصي والآثام، وأعمال صالحة، الأعمال الصالحة ترفعني إلى الله، أما العقبات فتحول بيني وبين الله، فلابد من أن تزال هذه العقبات أولاً، وأن أتحرك باتجاه الله عز وجل بعمل صالح.

الأخت رانيا:

بارك الله بك فضيلة الدكتور ، الله يفتح عليك دائماً.

أخت سألت إن بعض العلماء قال: إن الطفل في بطن أمه يكلمه الله سبحانه وتعالى ويقول له عن قدره، أو عن مستقبله، هل هذا كلام صحيح؟.

الطفل في بطن أمه يكلمه الله سبحانه وتعالى هذا لم يرد أبداً :

الدكتور راتب:

أنا ما سمعتها إطلاقاً.

الأخت رانيا:

الأخت السائلة عن تحريم التدخين، وطلبت منك ترجمت هذه المحاضرة، فضيلتكم إن شاء الله تقومون بهذا العمل؟

التدخين و أضراره :

الدكتور راتب:

عفواً، لو أن هناك أخ يترجم أتمنى والله، لكن هذه عندكم، أنا ليس لي حقوق أبداً تترجم، وتنطبع، وأنا لا أريد شيئاً إطلاقاً، أنا كل شيء أفعله بالدعوة لوجه الله، لكن ترجمتها مهمة جداً.

أنا مرة قلت لإنسان: هل هناك إنسان بالأرض لما بدأ يدخن يقول: بسم الله، ولما انتهى يا ربي لك الحمد؟ هذا أكبر دليل هذا.

الأخت رانيا:

لكن فضيلتكم هناك مشايخ يدخنون، الآن نحن لا نقول عن مشايخنا، أو نقصر لكن في بعض العلماء يفتون بأنه مسموح.

الدكتور راتب:

عندنا دليل قوي، قال تعالى:

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٥٧]

أنا لي بالتدخين موضوعات كثيرة، أنا عضو بجمعية مكافحة التدخين في سوريا، لي موضوعات كثيرة جداً، أذكر مرة سي دي ترك أثراً مذهلاً عن التدخين، هذا لو تترجمونه للإنكليزية وتوزعونه، لأن الحقيقة الإنسان يحب سلامته وسعادته، يريه أن التدخين مدمر، مدمر لحياته حتى لأسرته، حتى لزوجته، الأب المدخن عنده مشكلة بالبيت، المشكلة أن غير المدخن يصيبه ثلاثين بالمئة من آثار التدخين، أحياناً الابن التي أمه مدخنة عنده مشكلة كبيرة جداً، القضية خطيرة جداً.

بالعكس الحقيقة هناك حالة اسمها الإدمان، إدمان التدخين خمسة و ثمانون بالمئة، مئة مدخن ينجو منهم خمسة عشر شخصاً، أما الخمر فالإدمان فيه خمسة عشر بالمئة، إذاً أصبح التدخين أصعب بكثير.

الأخت رانيا:

فضيلتكم، قرأت ببعض التقارير أن التبغ ينقع في الخمور، تقول هذا للناس يقولون: لا، أبداً.

الدكتور راتب:

هذا شيء ثابت بأن التبغ ينقع بالخمر، حتى هناك بلاد عربية فيها معامل خمر ينقع الدخان بالخمر، و بمعامل الدخان ينقع بالخمر.

الشرباصي عالم مصري، ذهب إلى أمريكا ورآها بعينه، هو بزمانه، أول شيء صار أن هناك أوعية خمر دلقت على أوراق التبغ، صدفة، فكان للدخان رواج كبير، فأصبح جزء من الصناعة، التبغ ينقع بالخمر، وهذا عالم مصري، وكتيب أنا اشتريته من معرض الكتاب ذهب بنفسه ورأى هذا الشيء بأم عينه.

الأخت رانيا:

إذاً أيها المدخنون الذين تستمعون إلينا الآن نساء ورجالاً، يجب الواحد أن يخاف من رب العالمين.

الدكتور راتب:

تعال إلى حيث النكهة، هذه نكهة الخمر.

الأخت رانيا:

الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي عافانا، وأبعدنا عنها.

فضيلتكم، تفسير للآية

﴿ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾

الفتنة امتحان للإنسان :

الدكتور راتب:

كلمة فتنة لا يوجد فيها شيء، فتنة امتحان:

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً ﴾

[سورة طه الآية: ٤٠]

فالفتنة إظهار ما في النفس، فالإنسان يفتن باليوم مئة مرة باليوم وليس بالعام، إنسان طلب منه مساعدة قال له: لا يوجد معي، هو معه، فتن ولم ينجح بالفتنة، الفتنة هي امتحان، لذلك الفتنة معناها مشترك وليس معناها محدداً، قد أفتن وأنجح بالفتنة، قد أمتحن وأنجح بالامتحان.

الأخت رانيا:

فضيلتكم، الأسئلة الأخيرة المتبقية معنا أخت سألت عن النمص، نمص الحواجب والتخفيف منها هل هذا جائز؟.

النمص جائز إذا كان وضع الحواجب غير طبيعي :

الدكتور راتب:

إذا وضعها غير طبيعي جائز، إذا كان طبيعياً غير جائز.

الأخت رانيا:

وأيضاً سألت:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾

عن هذه الآية؟.

الآية التالية أصل في تحريم الاختلاط :

الدكتور راتب:

معنى الحجاب واضحة، هذا أقوى دليل.

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٥٣]

كل كان هناك اختلاطاً إذا عندنا مشاكل، مشاكل كبيرة جداً، وهذه الآية أصل بالموضوع.

الأخت رانيا:

الحجاب هنا بمعنى أن يكون هناك ساتراً بين الاثنين؟.

في الإسلام حدّ أدنى وحدّ أقصى فالحد الأقصى أكمل والحد الأدنى مقبول :

الدكتور راتب:

والله الحجاب، سأقول لك هذه الكلمة الدقيقة: مسيلمة الكذاب قبض على صحابيين سألهما: هل تشهدان أني رسول الله؟ الأول قال: ما سمعت شيئاً، فقطع رأسه– القصة دقيقة جداً –الثاني لما سأله، قال: أشهد أنك رسول الله، ماذا قال النبي؟ قال: أما الأول فقد أعزّ وجل دين الله فأعزه الله، وأما الثاني فقد قبل رخصة الله.

هذا النص أعطانا أن في الإسلام حداً أدنى، وحداً أقصى، فالحد الأقصى أكمل، والحد الأدنى مقبول، كيف أن في الجامعة هناك مقبول، و امتياز، المقبول نجح والامتياز أرقى، هناك مجموعة قضايا بالإسلام فيها حد

أدنى مقبول، وفيها حد أقصى بطولة، الله ما طالب الكل أن يكونوا أبطالاً، قال: أما الأول فقد أعز دين الله فأعزه الله، وأما الثاني فقد قبل رخصة الله.

بالملخص: المنقبة ينبغي ألا تنتقد المحجبة، والمحجبة ينبغي ألا تنتقد المنقبة، واحدة حد أعلى، و واحدة حد أدنى، وكلاهما مقبول.

الأخت رانيا:

آخر سؤال معنا، فضيلتكم أنت أجبت عن جزء منه معنى حديث الرسول:

((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار))

[أخرجه الحاكم وصححه ورده الذهبي من حديث أبي ثعلبة الخشني]

أنا هنا عندي فقط سؤال في إجابتك للأخت السائلة عن هذا السؤال بمعنى أنه سيصل لكل بقاع الأرض، وصوله إلى كل بقاع الأرض هل هذا ينفي عن الإنسان المساءلة عند رب العالمين بالنسبة لغير المسلم؟ هو يعلم بأن هناك إسلام.

يبلغ الدين ما بلغ الليل والنهار لعلم الله أنه سيكون هناك تواصلاً بين البشر :

الدكتور راتب:

ليس هذا هو المعنى إطلاقاً، المعنى أن الله سبحانه وتعالى علم أن سيكون هناك تواصلاً بين البشر، فكان النبي خاتم الأنبياء، أنا قلت كلمة البارحة: العالم كان خمس قارات، ثم أصبح قارة، ثم أصبح بلداً، ثم أصبح مدينة، ثم أصبح قرية، ثم أصبح بيتاً، ثم أصبح مكتباً، ثم أصبح سطح مكتب، الآن العالم كله سطح مكتب، هذا الكلام:

((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار))

[أخرجه الحاكم وصححه ورده الذهبي من حديث أبي ثعلبة الخشني]

أي مدينة بالعالم هناك إذاعة إسلامية، و هناك قرآن، و صلاة، و مسجد، معنى هذا لماذا كان النبي خاتم الأنبياء؟ لأن الله علم أنه سيكون هناك تواصلاً، فأي مكان في العالم فيه مؤتمر إسلامي، وفيه إذاعة إسلامية، وفيه مسجد، وفيه صلاة، والله أنا أحياناً أستيقظ صباحاً أظن حالي في دمشق أفتح الإذاعة أسمع قرآناً، أسمع كأني قاعد بالشام، شيء طبيعي جداً، يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار لعلم الله أنه سيكون تواصل بين البشر، الآن أي خبر يقع في أي مكان، ترونه أنتم بعد دقيقة في الأخبار، كما هو، صار هناك

تواصلاً، هذا التواصل بعلم الله سابقاً، فلما كان بعلم الله أصبحت رسالة النبي خاتم الأنبياء لأن هذه الدعوة سوف تنتشر في أي مكان.

خاتمة و توديع :

الأخت رانيا:

بارك الله فيك فضيلة الدكتور، وشكراً جزيلاً على وقتك، وعلى إجابتك على أسئلة المستمعين، وإن شاء الله سيكون لدينا لقاء آخر الأسبوع القادم، أتمنى أيضاً على المستمعين إذا كانت لديهم اقتراحات بالنسبة للمواضيع التي سوف تطرح نحن نرحب بآرائكم واتصالاتكم، شكراً لكم جزيلاً.

مستمعينا شكراً لكم لمتابعتكم لهذا اللقاء، كان طبعاً ضيفنا الكريم هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الذي يقوم بزيارة لإذاعة الصوت الإسلامي، وأيضاً للمسلمين في سدني بدعوة من إذاعة الصوت الإسلامي، وهيئة الأعمال الخيرية، والذي يقام أيضاً هذا البرنامج برعايتها.

شكراً للمتابعة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٣–٢) : السعادة و الرضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، و نسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

مطالب البشر : السلامة والسعادة

أيها الإخوة الكرام، على وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان، بل إن أي إنسان من آدم إلى قيام الساعة له مطلبان ثابتان السلامة والسعادة.

أي إنسان، مؤمن أو كافر، غني أو فقير، صحيح أو مريض، مدني أو ريفي، أي إنسان يبحث عن سلامته وسعادته، ويكون الشقاء لأنه توهم طريقاً للسعادة هو طريق للشقاء أو، لذلك أزمة أهل النار في النار أزمة علم فقط والدليل:

﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك: ١٠]

الجهل سبب الشقاء

إن أيّ إنسان قد فُطِر على حب وجوده، وعلى حب سلامة وجوده، وعلى حب كمال وجوده، وعلى حب استمرار وجوده، لكن الشقاء يأتي من الجهل، والجهل هو أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.



عندما يتوهم الإنسان بجهلٍ أن المال سبب السعادة، أو أن القوة سبب السعادة، أو أن الوسامة سبب السعادة، أو أن الذكاء سبب السعادة، حينما يتوهم الإنسان السعادة في غير الطريق الذي رسمها الله عز وجل، يكون الشقاء، وأسباب الشقاء هو الجهل، لذلك قالوا: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

حينما تأتي إلى بيت من بيوت الله لتعرف حقيقة السعادة، هذا علم مصيري يتعلق بحياتك وبعد مماتك.

السعادة ليست في المادة

أيها الإخوة الكرام، السعادة معنىً لا يمكن الوصول إليه بكنوز الذهب والفضة.

منطلق هذه الخطبة أن إنساناً يركب مركبة يزيد ثمنها على عشرة ملايين ليرة، أوقفها إلى جانب جسر ؛ النهر سحيق بالنسبة للجسر، وألقى بنفسه، لماذا أنهى حياته ؟ ولماذا وقف أكبر مهندس في العالم بعد افتتاح ثاني أطول جسر في العالم بين آسيا وأوربا في استنبول، وفي أثناء قص الشريط الحريري ألقى بنفسه في البوسفور، فنزل ميتاً، لماذا ؟ لأنه بحث عن السعادة في غير مظانها.

السعادة أيها الإخوة ليست متعلقة بكنوز الذهب والفضة، لأنها أغلى من الذهب والفضة، السعادة كلؤلؤ في أعماق البحار، تحتاج إلى غواص ماهر يتقن فن صنعة اكتشاف اللؤلؤ، السعادة هي مواقف، هي كلمات، هي تطلعات، هي نظرات إلى الحياة بواقعية، هي أمل، هي إشراق.

طابع اللذة وأسبابها

السعادة في داخلك تملك أسبابها، أما اللذة فطابعها حسي، ولها أسباب ثلاثة، لا يمكن أن تملكها مجتمعة، تحتاج إلى مال، وتحتاج إلى وقت، وتحتاج إلى صحة .

ففي البدايات تملك الصحة والوقت، ولا تملك المال، وفي أواسط العمر تملك المال والصحة، ولا تملك الوقت، وفي خريف العمر تملك الوقت والمال، ولا تملك الصحة، لأنها تأتيك من الخارج، وهي متناقصة في تأثيرها، ولحكمة بالغة بألغة أرادها الله عز وجل جعل الاستمتاع في الدنيا متناقصاً، فتستمتع بالبيت الجديد أشهرًا معدودة، ثم يغدو شيئاً عادياً، تستمتع بالزواج في أول فترة، تستمتع بالمركبة في أول فترة، وقد شاءت حكمة الله أن يكون أثر اللذائذ متناقصاً، هذه الحكمة من أجل أن تبحث عن الدار الذي خلقت من أجلها.



أيها الإخوة الكرام، قال بعضهم:

دواؤك فيك وما تبصره وداؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر

* * *

كل واحد منا من دون استثناء في أي عمر، وفي أي عمل، وفي أي دخل، وفي أي قدرات بيده مفاتيح سعادته.

أيها الإخوة، هناك استفتاء أجري على حوالي ستة عشر ألف إنسان سئلوا: ماذا تعني السعادة عندك ؟ ٣٦% قالوا السعادة: تعني الحب، ٢٩% قالوا: السعادة تعني الرضا، ١٨% قالوا: السعادة هي الصحة، ٧% قالوا: السعادة هي الزواج، ٥% قالوا: السعادة هي المال، ٣% قالوا: السعادة هي الطفولة، فقط ٢% قالوا: السعادة هي السفر.

حقيقة السعادة ومظانُّها

أيها الإخوة الكرام، السعادة فيها كثير من الاكتفاء، أن تشعر أنك غني، ولو لم تملك شيئاً، الاكتفاء الذاتي، غنى النفس فيها، معنى الهدوء فيها، معنى الحزن، الحزن خلاق، ليس سبيلاً إلى الضجيج، والصخب السعادة ذوق وإحساس في داخل المرء في قلبه، في ضميره، لا يمكن أن تكون السعادة مادة، أو منصباً، أو وسامة، أو غنىً، أو ذكاءً.

أيها الإخوة الكرام، السعادة لا ترسم بالحدود والتعريفات، ربما تطرق السعادة بابنا، لكنها متنكرة، فلا نعرفها، لذلك لا نفتح لها الباب، فكم من إنسان يدعوك إلى طريق السعادة فتعتذر، لأنك مشغول، وكم من إنسان لو استجبت له لكنت أسعد الناس، تطرق هي بابك، وقد لا تستجيب لها، لأنك لا تعرفها، وربما تأتي السعادة، ويعيشها الإنسان بكل قواه العقلية والنفسية والبدنية، ولكنها لا يشعر بها، كالأطفال تماماً، ما منكم واحد إلا وأمضى سنوات في أعلى درجات السعادة، وهو لا يملك شيئاً، لا بيتاً، ولا زوجة، ولا عملاً، ولا مكانة اجتماعية، يقول: سقى الله تلك الأيام، قد نعيشها ولا نعرفها.

أيها الإخوة الكرام، إذا كبر الإنسان، وقرأ، وعقل، وسمع عن شيء اسمه السعادة يبحث عنها، أحياناً بعد فوات الأوان.

أيها الإخوة الكرام، لو كانت السعادة بالمال والذهب والفضة والدولار والرصيد لكانت الجبال والمناجم أحرى بالسعادة من الإنسان، ولو أن السعادة بالجمال والنضرة والحسن والزينة والبهاء لكانت الطواويس أحرى منا بالسعادة، ولكانت الورود و الأزاهير أجدر منا بها، ولو أن السعادة بالبطش والقوة وجهارة الصوت والصولجان لكانت الوحوش التي في الغاب أتم سعادة من الإنسان، ولو كانت السعادة هي الأخلاق الفاضلة والأقوال الرشيدة والأعمال الصالحة والجاه العظيم عند رب العالمين والعقل الراشد فإن الإنسان أحق بها.

أيها الإخوة الكرام، إن السعادة بسمة طفل طهور، لسان يلهج صادقاً بكلام طيب، أو بذكر الله عز وجل، خفقة قلب متسامح اتجاه من أساء إليك، هدية بلا منٍّ ولا أذى، كرب يكشفه ربك عنك وعن إخوانك المؤمنين، هدف نبيل يتحقق لك، أو على يديك، أو على يد غيرك، أو ساعة جهد وعناء وعرق تعقبها راحة، ويتلوها نجاح.

إن الأباطرة والأكاسرة والطغاة والمجرمين وأكابر الأثرياء والأقوياء ربما يخرجون من الدنيا، وما ذاقوا أجمل ما فيها، مساكين أهل الدنيا، دخلوا إلى الدنيا، وخرجوا منها، ولم يذوقوا طعم السعادة.

يقول بعض العلماء الكبار: " ماذا يفعل أعدائي بي ؟ بستاني في صدري، إن أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن حبسوني فحبسي خلوة، وإن قتلوني فقتلي شهادة، فماذا يفعل أعدائي بي ؟.

في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها جنة القرب، قال تعالى:

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

[سورة محمد: ٦]

أي ذاقوا نعيمها في الدنيا.

أيها الإخوة الكرام، هي خطب متتالية إن شاء الله في معنى السعادة، ولنبدأ بالسعادة والعبادة.

بنود السعادة

البند الأول: أداء الفرائض

في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))

[البخاري]

أن تؤدي الفرائض التي فرضها الله عليك، وقد قال الله عز وجل:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل: ٩٧]

ويقول إبراهيم بن الأدهم الذي كان ملكاً فزهد في الملك، وتعرف إلى الله يقول قولته: " لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف ".

البند الثاني: أداء النوافل

ونجد السعادة في النوافل

((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي))

[البخاري]



أيها الإخوة الكرام

وإذا العناية لاحظتك جفونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

*   *   *

البند الثالث: ذكْر الله عزوجل

ونجد السعادة في بند ثالث، في ذكر الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[سورة الرعد: ٢٨]

هذا كلام رب العالمين.

يقول أحد كبار العلماء وهو ابن القيم رحمه الله تعالى: " حضرت مع أستاذي بعد صلاة الفجر، فجلس يذكر الله سبحانه وتعالى حتى ارتفع النهار، وتعالت الشمس، وتوسطت، ثم التفت إلي، وقال: هذه غدوتي، لو لم أفعل ذلك لم تحملني قدماي، إنها ساعات يخلو فيها بربه فيناجيه، ويدعوه، ويستغفره، ويبتهل إليه، ويتضرع بين يديه، ويسكب دموع الندم، فيخرج وقد غسل قلبه بهذه العبادة، وتجددت حياته وروحه وخلاياه وأنسجته ".

البند الرابع: القرآن الكريم

نجد السعادة في بند رابع: في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الإسراء: ٨٢]



فالقرآن شفاء لأمراض النفوس، وضيق الصدور، وكرب القلوب، بل هو شفاء لعلل الأجساد، وأمراض الأبدان، التعليل أن الجهاز الوحيد المسؤول عن مكافحة الأمراض الإنتانية والجرثومية هو جهاز المناعة المكتسب، هذا الجهاز يقويه الحب، يقويه الأمن، يقويه الرضا، والحقد والخوف والقلق والشدة النفسية يضعفان هذا الجهاز، إذاً السعادة الإيمانية سبب لنجاة الإنسان من أكثر الأمراض الوبيلة.

البند الخامس: البِرُّ

والبند الخامس: نجد السعادة في البر بأنواعه الدليل، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

[سورة الانفطار]

يقول بعض المفسرين: " إن النعيم الذي وعد الله الأبرار هو في الدنيا وفي الآخرة ".

قال لي أحدهم مرة وأنا أصدقه: " ليس في الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني ".

ما لم تقل هذه الكلمة لم تذق طعم الإيمان، أنت مع خالق الأكوان، الله وليك، الله يدافع عنك، الله يتجلى على قلبك بالسكينة، الله يحفظك، الله يؤيدك، الله ينصرك، الله يوفقك، وتكون شقياً ؟

إذا كنت في كل حال معي فعن حمل زادي أنا في غنى

* * *

إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟ يا رب، ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

[سورة الانفطار]

والجحيم الذي أوعد الله الفجار به هو في الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى:

أيها الإخوة الكرام، المتقون في نعمة، ويقول قائلهم، ودققوا في هذا القول: " **إن كان أهل الجنة في مثلها فهم في عيش طيب** ".

يقول المتقون وهم في الدنيا، وقد امتلأت قلوبهم بالسعادة من قربهم من الله: " **إذا كان أهل الجنة في حال كهذا الحال فهم في خير** ".

البند السادس: الصلاة

أيها الإخوة الكرام، والسعادة أيضاً نجدها في الصلاة، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام

((يَا بِلَالُ، أَقِمْ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا))

[أبو داود عن سالم بن أبي الجعد]

وفي حديث آخر عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))

[النسائي عن أنس]

إنّ العبد أحياناً يلتقي بإنسان من علية القوم إيماناً وتديناً، واتصالاً وقرباً، وتألقاً، يجلس معه ساعة فيأنس به، ويسعد بقربه، فكيف إذا كنت مع خالق الأكوان ؟

البند السادس: معرفةُ الله عزوجل

ونجد السعادة أيضاً في معرفة الله، حينما ترى آثار صنعته، حينما ترى دقائق حكمته، حينما ترى لطفه، حينما ترى قوته، حينما ترى عدله، لذلك مرتبة الإحسان فوق مرتبة الإيمان، مرتبة الإحسان بنص كلام النبي عليه الصلاة والسلام: قَالَ له جبريل:

((فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))

[مسلم عم عمر بن الخطاب]

لذلك عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا))



[مسلم]

مدير شركة عملاقة كبيرة جداً جمعت من الأموال ما لا يحصى، يتمتع مديرها بالجاه والمكانة والقوة، ولكنه يشعر بشقاء مرير، ويأوي إلى الفراش، فيجلس ساعات يتقلب فيه دون أن يصل إلى النوم، وقد لفت نظره شاب عربي مسلم، القصة في بلاد بعيدة ضمن العاملين العاديين في هذه الشركة في وظيفة متوسطة، وراتب متواضع، لكن هذا الشاب دائم الإشراق والبشر، والابتسام والسرور، ويأكل بسرور، وينام بسرور، ويأتي ويذهب مطمئن البال، منشرح الصدر، لم يره يوماً من الأيام مكفهراً أو مقطباً، أحضره إلى مكتبه، وقال له: ما شأنك ؟ لماذا أنت سعيد كل هذه السعادة ؟ فقال له: إني قد عرفت ربي، وعرفت دربي، وآمنت بالله عز وجل، ولذلك استرحت، قال: هل لك أن تهديني، أو تدلني ؟ فأخذ بيده إلى أحد المراكز الإسلامية، وهناك تعرف على الإسلام، وسمع شرحاً وافياً، ثم لقن الشهادة، فشهد، وما إن نطق بها لسانه حتى انهال في البكاء، مثل هذه القصة قرأت عنها في العمرة عن مدير شركة عملاقة هناك، وعنده شاب، السؤال نفسه، أخذه إلى العمرة، وطاف حول البيت، وتوفي، وهو ساجد، وكان في قمة سعادته.

البند السابع: الأمن في القلوب وعدم الظلم

أيها الإخوة الكرام، السعادة والإيمان قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾

[سورة الأنعام: ٨٢]

لم يعتدِ على نملة، أما في قصر العدل ففيه سبعمئة دعوى كيدية، احتيال، أكل أموال الناس بالباطل، غش، اغتصاب شركات، اغتصاب وكالات، طلاق زوجات طلاقا تعسفيا، سيطرة، استمتاع بما لا يحل لك، نهب وسلب، وما شاكل ذلك، أنى تكون السعادة، أنى يكون نصر الله لنا، هذا الذي يحصل، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ٨٢]

الأمن في قلوبهم، وفي حياتهم، وفي دنياهم، وفي آخرتهم، إن المؤمنين كلما صح إيمانهم قويت قلوبهم، وتمت سعادتهم، وما أصاب الإنسان من نقص فبما كسبت أيديكم، ويعفو الله عن كثير.

البند الثامن: الرضا والعفاف والصبر

أيها الإخوة الكرام، السعادة والرضا، السعادة هي الرضا، هي عدم التطلع لما أعطى الله عز وجل الآخرين، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة طه: ١٣١]

إن كثيرين جداً عندهم ما يكفيهم، لهم بيت وزوجة وأولاد، وصحة ومركبة، لكن الذي يشقيهم أنهم يمدون أعينهم إلى ما متع به غيرهم من زهرة الحياة الدنيا، هذا الذي يشقي، وهذا منهج شيطاني، قال تعالى:

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

[سورة الأعراف: ١٢]

لمجرد أن توازن نفسك مع غيرك دخلاً بدخل، بيتاً ببيت، مركزاً بمركز، وسامة بوسامة، منصباً بمنصب، فهذا منهج الشيطان، لأن الدنيا مؤقتة لا تستأهل غير أن تكون آمناً في سِربك، معافى في جسمك، عندك قوت يومك، فقط.

حدثني شاب في هذا المسجد قبل يومين أنه لا يطمع إلا ببيت متواضع جداً، وزوجة مؤمنة طاهرة، تربي له أولاده، ودخل يكفيه قوت يومه، وفي ذهنه مشاريع وآمال لا تستطيعها أمم لخدمة هذا الدين، هكذا، كن طموحاً بالآخرة، هذه الدنيا دار من لا دار له، ولها يسعى من لا عقل له، خذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها هماً، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه، وهو لا يشعر.

والله إني أعرف إنساناً، أو سمعت عنه أمضى خمساً وثلاثين سنة في بلد بيت الله الحرام، وما صلى ركعتين، ومات في فندق في مصيف جميل باحتشاء قلبي في الخامسة والخمسين من عمرِه، وترك عدداً كبيراً من المليارات، هذه الدنيا تغر، وتضر، وتمر، وكم من إنسان أمضى ثلاث سنوات في كسوة بيته، ولم يسكنه.

إنّ الإنسان بكل إمكاناته، بكل حجمه المالي، بكل هيمنته، تتوقف سلامته على قطر شريانه التاجي، ميليمتر وربع، إذا ضاق هذا الشريان دخل في متاهات لا تنتهي، وتتوقف حياته على سيولة دمه، إذا تجمدت نقطة دم كرأس الدبوس في وعاء في الدماغ في مكان فقد سمعه، في مكان فقد بصره، في مكان فقد نطقه، في مكان فقد حركته، هذا الشلل خثره بالدماغ، الذي هدم سبعين ألف بيت فِي ثانية انتهى، لأنه في قبضة الله، كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ يقول:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي فِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي فِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

منهج الموازنة الدنيوية منهج شيطاني

أيها الإخوة الكرام، منهج الموازنة منهج شيطاني لا توازن بيتك ببيت أخوك لا نساء ولا رجال، لا توازن دخلك بدخل صديقك، لا توازن شكلك بشكل واحد آخر، لا توازن بين زوجتين، هذا رزق من الله، ليس في الإمكان أبدع مما كان، بل ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ))

[مسلم]



وازن نفسك، ادخل إلى بعض المستشفيات، أنت سليم معافى، ونعمة الصحة نعمة لا تقدر بثمن، والله لو أن الدنيا بأكملها كانت بيد إنسان، وأصابه مرض عضال يتمنى أن يعافى من هذا المرض، وأن يفقد الدنيا بأكملها، والله لو خيرتَ ملكاً وافته المنية قبل أن توافيه، هل تقبل أن تكون ضارب آلة كاتبة في قصرك، وتعافى ؟ والله ما تردد ثانية أن يقبل بذلك، فإذا كنت صحيحاً معافى، وقبل الصحة والمعافاة كنت مؤمناً تعرف سر وجودك، وغاية وجودك، ولك دخل يكفيك، فأنت ملِك.

سأل ملِك وزيره: من الملك ؟ قال: أنت، قال: لا، الملِك رجل لا نعرفه، ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، هذا هو الملِك.

هذا إنسان يطوف حول الكعبة يقول: " يا رب، هل أنت راض عني ؟، كان وراءه الإمام الشافعي، قال: يا هذا، هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال: يا سبحان الله ! كيف أرضى عن الله، وأنا أتمنى رضاه؟ قال: الإمام الشافعي: إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله ".

هل إيمانك يجعلك تصبر على قلة الدخل ؟ أو على مرض طارئ ؟ أو على زوجة متعبة ؟ أو على ابن متعب ؟ تقول: يا رب، لك الحمد.

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))

[مسلم]

أيها الإخوة الكرام، كان سعد بن أبي وقاص مستجاب الدعوة، و يدعو للناس جميعاً، قال له رجل مرة: <<يا عم، إنك تدعو للناس جميعاً، فلو دعوت الله عز وجل لنفسك أن يرد إليك بصرك . وكان قدْ فَقَدَ بصره . وكان مستجاب الدعوة ؟ فقال: يا بني، لَقضاء الله سبحانه وتعالى عندي أحب إليّ من رد بصري >>.

المؤمن يحترم قضاء الله عز وجل، المؤمن راض عن الله عزوجل.

فليتك تحلو و الحيـاة مريـرة و ليتك ترضى والأنام غضاب
و ليت الذي بيني و بينك عامر و بيني و بين العالمين خراب
إذا صح منك الوصل فالكل هين و كل الذي فوق التراب تراب
فلو شاهدت عيناك من حسننـا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
و لو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جئتنا
و لو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا
ولو نسمت من قربنا لك نسمـة لمت غريبـاً و اشتياقاً لقربنـا

* * *

أيها الإخوة الكرام، إن الإنسان يبحث عن السعادة، عن وعي أو عن غير وعي، شاء أم أبى، كل إنسان في أي مكان وزمان، من آدم إلى يوم الساعة، لكن يجب أن نعرف مظانها الصحيحة، إنها في الإيمان، إنها في أداء الفرائض، إنها في أداء النوافل، إنها في ذكر الله، إنها في الصلاة، إنها في القرآن، إنها في العمل الصالح، إنها في الصبر ، إنها بالرضا عن قضاء الله و قدره.

أيها الإخوة الكرام، للموضوع تتمة، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٣-٣) : السعادة و القناعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، و نسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه، و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

١ – السعادة واللذة:



معرفة الله تعطي معنى لكل شيء

أيها الإخوة الكرام، في الخطبة قبل الماضية بدأت موضوعاً يتعلق بالسعادة، و بينت وقتها أن اللذة شيء، وأن السعادة شيء آخر. اللذة لا تأتي إلا من أسباب خارجية و لا تتوفر جميعها في كل الأوقات، تحتاج إلى وقت و إلى مال و إلى صحة، وقد يفتقد الإنسان أحدها في كل مرحلة من مراحل حياته، واللذة تعقبها كآبة، وقد تفضي بصاحبها إلى جهنم، وبئس المصير، إن كانت فيما حرم الله عز وجل، بينما السعادة تنبع من داخل الإنسان و تتنامى، اللذة تتناقص السعادة تتنامى، وقد تتصل نعم الدنيا بنعم الآخرة، السعادة تحتاج إلى اتصال بالله عز وجل، وأريد أن أبين لكم أن بيتاً فيه كل الأدوات الكهربائية من دون استثناء لكن التيار مقطوع كل هذه الأجهزة لا قيمة لها، فإذا جاء التيار الكهربائي كان لكل جهاز عمله ونفعه وروعته.

إذا عرف الإنسان الله، واتصل به كان للزواج معنى، للعمل معنى، للصحة معنى، ولوقت الفراغ معنى، وللوسامة معنى، وللفصاحة معنى، وكل الحظوظ التي يهبها الله للإنسان لها معنى كبير، و هي أداة فعالة لبلوغ الجنة.

أيها الإخوة الكرام، تحدثت في خطبة سابقة عن السعادة والعبادة، وعن السعادة والذكر، وعن السعادة والصلاة، وعن السعادة والإيمان، وعن السعادة والرضا، أما اليوم فالحديث عن السعادة و العمل.

– ٢ – السعادة والعمل

١ – العمل عبادة بالنية الحسنة



هذا العمل الذي ترتزق منه، والذي يشغل معظم وقتك، تعيش في عملك ما يزيد على ثماني ساعات كل يوم، هذا العمل يمكن أن يكون عبادة إذا كان في الأصل مشروعاً، و سلكت به الطرق المشروعة، و ابتغيت به كفاية نفسك وأهلك، وخدمة المسلمين، وما شغلك عن فريضة، ولا عن واجب، ولا عن طلب علم، انقلب عملك إلى عبادة، لذلك عادات المؤمن عبادات، وعبادات المنافق سيئات.

أيها الإخوة الكرام، اسعد في عملك لتحقيق مراقبة الله عز وجل، هيئ لله جواباً عن كل عمل، أو عن كل موقف، أو عن كل تصرف، أو عن كلمة، أو عن صفقة، أو عن كل وصف للبضاعة، هيئ لله عز وجل الذي لا تخفى عليه خافية جواباً كي يكون عملك جزءاً من عبادتك.

٢ – العمل تواصلٌ يومي وشبكة علاقات إيمانية



أيها الإخوة الكرام، العمل فرصة كبيرة لبناء الجسور مع إخوانك الكرام، في العمل تواصل يومي يمكن أن تقيم شبكة علاقات إيمانية أخوية رائعة من خلال عملك إذا أتقنته، نصحت به المسلمين، كان السعر معتدلاً، كنت في خدمتهم، تواضعت لهم، لبيت حاجاتهم، انقلب عملك إلى عبادة، و أن تقنع بالعمل الذي تعيش منه و ترضى به.

٣ – العمل طريق إلى الجنة

وهناك قاعدة، دققوا فيها: الإنسان الذي يتأفف من عمله لا يصلح لأي عمل آخر، كل عمل فيه سلبيات، و فيه إيجابيات، فالمتشائم يرى سلبيات العمل، فيتنقل من عمل إلى عمل إلى عمل فلا يفلح، أما المؤمن، فيرى أن هذا العمل أقامه الله به، وهيأه الله له.

٤ – العمل إحسان إلى الخلق

ويمكن من خلال هذا العمل أن يصل إلى الجنة، إذاً يتقنه، ويحسن إلى خلق الله عز وجل فيغدو عمله عبادة، فأن تقنع بهذا العمل، وأن ترضى به، وأن يكون هذا العمل وفق مرضاة الله:

((إن روح القدس نفثت في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله عباد الله، وأجملوا في الطلب))

[ابن ماجه عن جابر]

التحذير من حرفة وعمل مؤذية للخَلق

إياك أن تمتهن مهنة، أو أن تحترف حرفة تبنى على مضرة الناس، أو على إلقاء الرعب في قلوب الناس، أو على ابتزاز أموالهم، أو على مصالحهم الدنيوية، أو على كرامتهم، إياك، عبدي الخير بيدي، والشر بيدي، فطوبى لمن قدرت على يديه الخير، والويل لمن قدرت على يديه الشر.

ولا تنسَ أيها الأخ الكريم أن ألصق شيء بك عملك، فإذا كان وفق منهج الله سعدت به، وإذا كان في العمل معصية، وفيه إيذاء للمسلمين، أو امتهان لكرامتهم، أو ابتزاز لأموالهم، أو إلقاء للرعب في قلوبهم فهذا العمل عدّ من المصائب الكبرى التي تنزل بالإنسان.

نظرة تفاؤل إلى الحياة



أيها الإخوة الكرام، تَفَهّم تفاصيل عملك، اندمج فيه، حقق النتائج التي تريدها تشعر بالنجاح، والنجاح يقودك إلى نجاح، انظر إلى الحياة نظرة متفائلة إيجابية، إياك والتشاؤم، إياك وكثرة الملل، وكثرة الشكوى، استثمر النجاح القليل الذي تناله، احرص على المزيد منه، وحينما تواجهك مشكلة أو إخفاق فاعتقد جازماً أن الإخفاق طريق النجاح، وأنه خطوة أولى نحو النجاح، وأنها خبرة مؤلمة تعينك على النجاح، لا تحزن، ولا تعد الإخفاق لازماً وحتمياً ومستمراً، لأنّ الذين وصلوا إلى أعلى درجات العلم كانوا في التعليم الثانوي قد حققوا درجات قليلة، فانقلبوا إلى أكبر علماء في الفيزياء، والله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد: ١١]

ابدأ من نفسك، من نفسك تنبع السعادة، إذاً من هو البطل ؟ الذي يجعل حرفته وظيفته طبه قضاءه تجارته معمله قطعةً من الجنة إذا كان وفق منهج الله وبنى حياته على العدل والإحسان والاستقامة والصدق وعامل الناس معاملة طيبة هو في عمله في عبادة.

إذاً يمكن أن يحقق عملك لك سعادة قد تغيب عن ذهنك، كلمة عمل عند معظم الناس عبء دوام طويل علاقات سيئة، من هم أعلى منك لا يتفهمونك، اسأل الله عز وجل أن يكون عملك مصدر سعادتك.

– ٣ – السعادة والمعاملة الحسنة



أيها الإخوة، السعادة والتعامل، الإحسان إلى الناس من أعظم أسباب السعادة، لهذا وصف الله عز وجل نبيه الكريم بأن قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم]

و وهناك أحاديث للنبي عليه الصلاة والسلام وكلها صحيحة في البخاري أو في مسلم أو فيهما معاً:

عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))

[أبو داود، أحمد]

((وإن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون، إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً))

[الأحاديث الصحيحة]

أيها الإخوة الكرام، يستطيع الذي يتحلى بالخلق الحسن مع من حوله أن يبلغ أعلى درجات العبادة.

أيها الإخوة الكرام، ما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن شيء إلا أعطاه،

((حتى سأله رجل أعطاه غنماً بين جبلين، وسأله رجل فأعطاه مئة من الإبل، وقال صلى الله عليه وسلم: ثم لا تجدوني بخيلاً))

[مشكاة المصابيح عن جبير بن مطعم]

الآن غيّر عملك، التعامل مع الناس، مع الجيران، مع من حولك، مع من دونك، مع من فوقك، التعامل يمكن أن يكون أحد أكبر مصادر سعادتك.

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

***

كان عليه الصلاة والسلام جواداً بوقته، وجواداً بعلمه، وجواداً بماله، وحينما تخفف من آلام الآخرين، وأن تدعو لهم، وأن لا تزدري، وأن لا تحتقر أحداً، وألا تسخر من أحد، حينما تكون طلق الوجه، حينما يكون وجهك باشاً وبريئاً وصادقاً، عندئذ يمكن أن تكون سعيداً، إذا أردت أن تكون أسعد الناس فأسعد الناس، إن أردت أن تسعد فأسعد الناس، اخرج من ذاتك لخدمة الخلق، لتخفيف آلام الناس، لحمل همومهم، لمعاونتهم، للإصغاء لهم.

أيها الإخوة الكرام، خذ العفو و ائمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، أعطِ من حرمك، اعفُ عمن ظلمك، صل من قطعك، ابذل يداك، وكف أذاك، وتعاهد من وصلته بمعروف الأمس بمعروف اليوم.

مَن هو أسْعَدُ البَشر ؟

أيها الإخوة الكرام، من هو أسعد البشر ؟ الذي يقدر ما عند الآخرين، هناك إنسان لا يحتمل أن يكون أحد أفضل منه، دائماً يحطم من حوله، يكتشف عللاً خفية ليست حقيقية، يقلل من قيمتهم، يطعن بنواياهم، أنت حينما تقدر من حولك، وتعرف قيمة من حولك، وترعى من حولك تكون أسعد من حولك.

أيها الإخوة الكرام، أنت حينما تفرح بأخ مؤمن تزوج، أو لأخ مؤمن نال شهادة عليا، أو لأخ مؤمن حقق عملاً ناجحاً فأنت أفضل منه، ولو لم تنل هذه الفضائل، لأنك أكدت إيمانك، بينما المنافق قال تعالى:

﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾

[سورة آل عمران]

فعلامة إيمانك أنك تفرح لإخوانك بما آتاهم الله من فضل.

– ٤– السعادة والقناعة

أيها الإخوة الكرام، الآن السعادة والقناعة:

إنّ الإنسان مطبوع على حب الدنيا، ولكن يجب أن يعلم علم اليقين أن السعيد ليس الذي نال كل شيء، ليس الذي نال كل ما يتمنى، ليست البطولة أن تنال كل ما تتمنى، ولكن البطولة أن تقف موقفاً كاملاً من الذي قدره الله لك، البطولة أن تقف موقفاً كاملاً من الذي قدره الله لك، وساقه إليك، وليست البطولة أن تنال كل شيء.



أيها الإخوة الكرام، الحرمان قد يكون طريق العطاء، لأنه ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، وقد يكون المنع عين العطاء، قال تعالى:

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: ٢١٦]

أيها الإخوة الكرام، علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أسرار السعادة في الدنيا:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

معنى الأمن هنا أمن الإيمان، العقيدة سليمة، والحركة صحيحة، والحرام حرام عندك والحلال حلال، فأنت آمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

والمقولة التي أرددها كثيراً: سأل ملك وزيره: مَن الملك ؟ قال: أنت، قال: لا، الملك رجل لا نعرفه، ولا يعرفنا، له بيت يأويه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، إن عرفنا جهد في استرضائنا، وإن عرفناه جهدنا في إحراجه، لذلك:



((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

عمر بن عبد العزيز رحمه الله عز وجل كان أميراً على المدينة، فأُمّر، فاشتري له ثوب خز بألف دينار، ولما جيء به إليه وضع يده عليه، وقال: ما أخشنه، ولما ولي الخلافة اشتري له ثوب بستة دراهم، ولما وضع يده عليه قال: ما

ألينه وأنعمه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، لقد اشتريت لك بالمدينة ثوباً بألف دينار، وقلت: ما أخشنه، واليوم بستة دراهم تقول: ما ألينه، قال عمر: والله ما أظن رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر يشتري ثوباً بألف دينار.

أيها الإخوة الكرام، من أراد السعادة الحقيقية فقد تكون في بيت متواضع، وفي بيت مستأجر، وفي بيت شمسه قليلة، وبدخل محدود، وببعض الأمراض في جسمه، لكنه اتصل بالله، فنزل على قلبه السكينة، والسكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء، لا تبحث عن السعادة بالمال، ولا بالصولجان، ولكن ابحث عنها بمرضاة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد]

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حراً

***

– ٥– السعادة والصحة

أيها الإخوة الكرام، والله مرة قلت لبعض الإخوة: إن ملكاً أصيب بمرض عضال، ووافته المنية، الفكرة افتراضية، لو عرض عليه أن يغدو ضارب آلة كاتبة في قصره أو موظفا بسيطا، وأن تعود له صحته، والله ما تردد ثانية، فإذا تمتع أحدكم بصحته، بقوته، بسمعه، ببصره فهو في أعلى مرتبة في الحياة الدنيا، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ))

[البخاري عن ابن عباس]



أعرف رجلا أرباحه فلكية يوم كانت العملة الصعبة بأقل مبلغ، بثلاث ليرات، كانت أرباحه بالملايين، كشر عن وجهه، وقال: الحياة لا تعاش هنا، لا أرباح كافية، فلما جاءه مرض صعب قال لي: يكفي الإنسان ألف ليرة في الشهر على أن يمتعه الله بصحته، هذا الذي يتمتع بصحته، قلبه يعمل بانتظام، بضغط دمه، بكليتيه، بكبده، بدماغه، لو أكل أخشن

الطعام فهو أسعد الناس، وحينما يأتي مرض عضال يجعل حياة الإنسان جحيماً، لذلك ما من دعاء أكثر منه النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي))

[أبو داود عن ابن عمر]

اعرف ماذا عندك، ولا تنظر إلى ما ينقصك، وعلامة ذكائك وتوفيقك وعقلك الكبير وسعادتك أن تعرف ما منحك الله إياه، منحك الصحة، أنت لست ملاحقاً، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، لست متهماً، ليس هناك فضيحة في بيتك، لك بيت وأولاد وزوجة، لك سمعة طيبة، كل هذه نعم لا يعرفها إلا من فقدها، لذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٧]

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفي كل خير))

[مسلم عن أبي هريرة]

الأخذ بأسباب وقوانين صحة الجسم



أيها الإخوة الكرام، إنّ الإنسان إذا وهبه الله الصحة فليتجمل، وليعتنِ بصحته، وليعتنِ بأجهزته، وليعلم أن جزءاً من عبادته أن تحترم القوانين التي تحكم جسمك، جزء من عبادتك لله أن تحترم القوانين التي قننها الله عز وجل، وهي جزء من حياتك، أما هذا الذي لا يعبأ بتعليمات الأطباء، ويسخر منها، ويقول: كُل وتوكل على الله، سمّ ولا تخشَ شيئاً، هذا كلام لا ينطوي على علم إطلاقاً، خذ بأسباب الصحة.

أيها الإخوة الكرام، لما أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يساوي نفسه مع بقية أصحابه قال: أنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، ولما جاء دوره بالمشي وتوسلا صاحباه أن يبقى راكباً، قال: ما أنتما بأقوى مني على السير.

كان عليه الصلاة والسلام ذا صحة قوية، ولياقة جسمية عالية، وكان يرى كما علمنا أن هذا الجسم له عليك حق، أن تعتني به، إنه قوام حياتك، ووعاء عملك، وزادك إلى الله، والعناية بالجسم لا تطيل العمر، لكنها تجعل هذا العمر كله أن تعيشه حياة نشيطة.

– ٦ – السعادة والعادة

أيها الإخوة الكرام، السعادة والعادة، للسعادة عادات هي قوامها وسندها، ولكن ثمة عادات تطغى على الإنسان وتحرفه عن السعادة، فينبغي أن نتعود عادات تتنامى مع الأيام، لتكون قوام سعادتنا.

عادات ينبغي الأخذ بها

١ – علم صناعة القادة


السنوات السبع الأولى هي التي تصنع الإنسان

بالمناسبة حقيقة أقولها لكم: هناك علم الآن علم اسمه علم صناعة القادة، الأمة فرضاً مليار و ثلاثمئة مليون، لو زاد العدد إلى مليار وخمسمئة مليون، وهي في جهل وضعف وتفرق، كل هذه الملايين المملينة لا قيمة لها، لكن قد يأتي قادة عظماء كما جاء صلاح الدين الأيوبي، وكما جاء القادة الإسلاميون الكبار، وقد حققوا قفزات نوعية لأمتهم، هؤلاء القادة متى يصنعون ؟ من السنة الأولى حتى السابعة، هذا يعني أن ابنك ماذا تتمنى أن يكون، بأية عقلية، بأي مبدأ، بأي عادات، بأي قيم حتى في شؤون صحته، ونظافته، وترتيب ملابسه، وعاداته بأخلاقه، هذا كله يتكون في السنوات السبع الأولى، لذلك من أهمل أولاده في هذه السنوات الخطيرة يصعب عليه جداً أن يلقنه شيئاً جديداً بعد هذه السنين.

٢ – عوِّدْ نفسَك التميُّز



أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، عود نفسك التميز، وأقول لكم هذه الكلمة: إن لم نتفوق في دنيانا الآن فلا يحترم ديننا، الآن قيمة الإنسان تفوقه في عمله، فإن تفوقنا يحترم هذا الدين العظيم، أما إذا تخلفنا، وأهملنا، وقصرنا، ولم نتقن أعمالنا، وكنا عبئاً على من حولنا، واستوردنا كل شيء، هؤلاء الأقوياء والأذكياء والأغنياء لا يحترمون هؤلاء المسلمين المقصرين، لذلك من أفضل العادات أن تتعود التميز، كن أباً مثالياً، كوني زوجة مثالية، كن مدرساً ناجحاً، كن مهندساً بارعاً، كن طبيباً حاذقاً، التفوق يعطي راحة نفسية كبيرة جداً، وقد قال الله عز وجل:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

[سورة الأنبياء: ٩٠]

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾

[سورة الواقعة]

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))

[الجامع الصغير عن عائشة]

إذاً: العادات الأساسية: كن متميزاً في بيتك، وفي عملك، وفي مواعيدك، وفي لغتك، وفي إتقان جهدك.

٣ – حدِّد الأهداف



حدد الأهداف، أؤكد لكم أن ثلاثة بالمئة فقط يعرفون أهدافهم، وما لم يكن لك هدف بعيد بالتعبير المعاصر استراتيجي، وتختار له الوسائل الفعالة فأنت رقم لا معنى له في خطة عدوك، لذلك حدد الأهداف

٤ – ترتيب الأولويات

شيء آخر، رتب الأولويات في حياتك، أولويات اكتبها، اجعل هذه في المقدمة، اعمل في الأهم، وأخر المهم، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾

[سورة النساء: ١٠٣]

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

[سورة الأنفال: ٦٠]

يقول عمر رضي الله عنه: >> إن لله عملاً في الليل لا يقبله بالنهار، وإن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل <<.

التميز الأولويات التركيز، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون]

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا))

[أبو داود، أحمد]

٥ – إدارة الوقت



أيها الإخوة الكرام، إدارة الوقت، الوقت هو أنت هو أثمن شيء تملكه، هو رأسمالك الوحيد، الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، ولن تجد في العالم كله لا قيمة للوقت عند أمة كالأمم المتخلفة، كالدول النامية، لذلك قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر]

٦ – جهاد النفس والهوى:

من العادات التي تجعلك متفوقاً جهاد النفس والهوى يقول بعض السلف الصالح: تكلفت قيام الليل عشرين سنة ثم استمتعت بقيام الليل عشرين سنة أخرى. قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

[سورة العنكبوت: ٦٩]

٧ – البراعة في العلاقات الاجتماعية

أيها الإخوة الكرام، من العادات الراقية البراعة في العلاقات الاجتماعية، يمكن أن يكون كل من حولك صديقاً لك، يمكن أن تصنع من الأعداء أصدقاء، وكان النبي بارعاً في هذا، صنع من أعدائه الألداء أصدقاء، جاءكم عكرمة مسلماً، من هو أبوه ؟ فرعون عصر النبوة.

((جاءكم عكرمة مسلماً، فإياكم أن تسبوا أباه، فإن سبّ الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت))

[ورد في الأثر]


العلاقة الإيجابية مع الناس من سمات المتفوق

يا عمير، ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال: جئت أفدي ابني، قال: وهذه السيف التي على عاتقك ؟ قال: قاتلها الله من سيوف، وهل نفعتنا يوم بدر ؟ فقال e: ألم تقل لصفوان كذا و كذا ؟ فوقف، وقال: أشهد أنك رسول الله.

كان عليه الصلاة و السلام بارعاً في تحويل الأعداء إلى أصدقاء، و هناك أناس بارعون جداً في تحويل الأصدقاء إلى أعداء، لذلك العلاقة الإيجابية مع الناس هذه من سمات الإنسان المتفوق.

لذلك أحبّ الآخرين، تبسم لهم، وسع صدرك و قلبك لهمومهم و آلامهم:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

يا من كانت الرحمة مهجته و العدل شريعته و الحب فطرته و السمو حرفته و مشكلات الناس عبادته، إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي، الراحمون يرحمهم الله:

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة آل عمران]

٨ – كن إيجابيًّا

العادة التالية: كن إيجابياً.

الآن هناك حالة أصابت العالم الإسلامي، وما أبشعها من حالة، سماها بعضهم جلد الذات، حيثما جلس المسلمون يتحدثون عن ضعفهم، وعن تخلفهم، وعن جهلهم، لا يوجد ولا ميزة ؟ وازن بين الإيجابيات والسلبيات، والله حينما غادرت أستراليا ودعني رئيس الجالية، وبكى، وقال لي: أبلغ إخوتنا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا، قلت: و لمَ ؟ قال: لأنك في الشام وأنت مغمض العينين ابنك مسلم، أما نحن هنا، ونحن في أعلى درجات اليقظة احتمال أن يأتي الابن ملحداً بالمئة خمسون، وأن يأتي على أذنه حلقة،

وتعني شيئاً سيئاً جداً بالمئة خمسون، على أذنه اليمنى تعني شيئاً سيئاً، وعلى أذنه اليسرى شيئاً أسوأ، وعلى الأذنين معاً أسوأ و أسوأ بالمئة خمسون.



هناك تماسك أسري، هناك بقية رحمة، بقية مروءة، هناك بقية أدب، هناك طلب علم، هناك مساجد مفتوحة، وسوف ترون في الخطبة الثانية نعمة لا يعلمها إلا من فقدها. أيها الإخوة الكرام، العادة التي ينبغي أن تكون هي جهاد النفس، و بعدها التفكير الإيجابي، حاول أن تكون إيجابياً، لا أن تكون سلبياً، حاول أن تنظر إلى مزايا الناس، لا إلى أخطائهم، إلى مزايا حرفتك، لا إلى مساوئها، الإنسان المتفائل مؤمن، و المتفائل ذكي، و الذكاء هو التكيف، فحاول أن تتكيف مع بيتك، و مع زوجتك، و مع أولادك، و مع عملك، ومع القدر الذي نزل بك. أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٣-٤) : السعادة و اللذة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس التاسع عشر من دروس العقيدة والإعجاز، لكن قبل أن نبدأ بموضوع الدرس سنذكركم بهيكلية هذه الموضوعات.

هيكلة موضوعات الإعجاز:

في أول درس أكدت لكم أن علة وجود الإنسان أن يعبد الله، والعبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، إذاً: علة وجودنا أن نعبده، وما أمرنا أن نعبده إلا بعد أن أعطانا مقومات هذه العبادة، وأول مقوم من مقومات العبادة هذا الكون الذي ينطق بوجود الله ووحدانيته وكماله، وهو الثابت الأول، هو قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي. وقد وقفنا وقفات متأنية عند الكون، والمقوم الثاني هو العقل، وهو مناط التكليف، وكيف أن في العقل مبادئ ثلاثة، مبدأ السببية، مبدأ الغائية، مبدأ عدم التناقض، وأن العقل مهمته قبل النقل التأكد من صحة النقل، ومهمته بعد النقل فهم النقل، ولا يمكن أن يكون العقل حَكماً على النقل، وأمضينا دروساً عدة في موضوع العقل.

ثم انتقلنا إلى الفطرة، وكيف أن الإنسان فطر فطرة سليمة، هذه الفطرة متطابقة تطابقاً تاماً مع منهج الله، فالعقل مقياس علمي، والفطرة مقياس نفسي، والكون دليل حسي.

ثم انتقلنا إلى الشهوة، وبينت لكم أنها القوة المحركة، وهي حيادية، يمكن أن تكون سُلّماً نرقى بها، أو دركات نهوي بها، وبينت في دروس عدة الفرق بين الفطرة والصبغة، وكيف أن الإنسان المؤمن يتمتع بالعدالة والضبط، وكيف أن الإنسان إذا سلك طريق شهوته يتعرض لمراحل علاجية من الله عز وجل، أولها الهدى البياني، ثم التأديب التربوي، ثم الإكرام الاستدراجي، ثم القصم، ولازلنا في موضوع الشهوة.

اليوم أريد أن أبين لكم فرقاً دقيقاً بين اللذة والسعادة، والبون شاسع بينهما.

الفرق بين اللذة والسعادة:

١ – طابعُ اللذة حسيٌّ:

أيها الأخوة، اللذة حسية طابعها حسي تحتاج إلى مادة، اللذة تحتاج إلى طعام تأكله، تحتاج إلى منظر جميل تمتع عينيك به، تحتاج إلى مأوى واسع دافئ، تحتاج إلى مركبة تركبها، تحتاج إلى زوجة تتزوجها، تحتاج إلى مال تنفقه، فاللذائذ طبيعتها حسية، لا تأتي من الداخل، بل تأتي من الخارج، تحتاج إلى بيت، إلى مال، إلى أثاث في البيت، إلى طعام، إلى شراب، إلى زوجة، إلى شراب... والزوجة تحتاج إلى زوج فهناك تكافؤ.

٢ – اللذة إمدادُها منقطع:

لكن سبحان الله ! لحكمة بالغة أرادها الله لم يشأ ربنا جل جلاله أن تمدك اللذة بإمداد مستمر، بل إمداد متناقص، فكل لذة لها فورة، وبعدئذٍ تصبح شيئاً مألوفاً تفقد بريقها، لذلك هؤلاء الذين نجحوا في الحياة بعد أن نجحوا شعروا بالفراغ، لأن في النفس فراغاً لا يملؤه المال، ولا المرأة، ولا المنصب، ولا مباهج الحياة.
لا بد من توضيح هذه الحقيقة، أنت أيها الإنسان، أنت مهيأ لمعرفة الله، فطبيعة نفسك لا نهائية، الخطر الكبير أن تختار هدفاً محدوداً، قبل أن تصل إليه أنت تحلم به، فإذا وصلت إليه، وأحطتَ به شعرت بفراغ لا يوصف، لأنك اخترت المحدود، وأنت مهيأ للامحدود، اخترت شيئاً يموت، وأنت مهيأ للإله عظيم حي باق على الدوام.

أنا أقول للشباب: الشيء الذي لم تصلوا إليه يبدو لكم كبيرا جداً، ويبدو متألقاً، فإذا وصلتم إليه خبا بريقه، وصغر حجمه، ويمكن في مرحلة ما أن تقول:



هو لا شيء، فاللذائذ لا يمكن أن تمدك بمتعة مستمرة، بل بمتعة متناقصة، هذا إذا كانت في الحلال، فإذا كانت في الحرام فبعد المتعة كآبة، وشعور بالذنب، واختلال توازن، واحتقار للذات.

أنا أتحدث عن لذة بحثت عنها ضمن الحلال فتملّ، الدنيا تغر، ومعنى تغر أنها قد تبدو لك بحجم أكبر من حجمها بكثير.

كنت أروي هذه القصة كثيرا: شاب يعمل في محل تجاري، وهو ذو دعابة، فكان يكنس المحل، ويضع المخلّفات في علبة فخمة، ويغلف هذه العلبة بورق هدايا غالٍ، ويضع شريطا أحمر، وكأن هذه العلبة فيها قطعة ألماس غالية جداً، يضعها على طرف المحل التجاري، يمر إنسان فيظنها ألماسا، يأخذها، ويمضي سريعاً، فيتبعه صاحب المحل، بعد مئتي متر يفك الشريط أولاً، وبعد مئتي متر أخر يفك الورق، وفي مئتي متر الثالثة يفتح العلبة، فإذا فيها قمامة المحل، فيلعن، ويسب، وما إلى ذلك، هذه خيبة الأمل التي حصلت له والله سوف تحصل لكل إنسان أحب الدنيا، وجاءه ملَكُ الموت.

﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) ﴾

(سورة الفجر)

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

(سورة المؤمنون)

الدنيا تغر، وتضر، وتمر، الدنيا زائلة، وقد جاء في كلام سيدنا علي: << يا دنيا غُرّي غيري، طلقتك بالثلاث، غرّي غيري >>، ليس معنى كلامي أن تدع الدنيا، ادرس، أسس عملا، تزوج، الزواج سنة، معنى كلامي ألا تغتر بها، ألا تظنها نهاية الآمال، ألا تظنها محطة الرحال، هي عارية مستردة. والله هناك حديث أيها الإخوة يقصم الظهر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ؟ أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ؟ أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ؟ أَوْ الدَّجَّالَ ؟ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))

[أخرجه الترمذي]

هذا كلام علمي، فهل من واحد منا وأنا معكم يمكن أن يستيقظ كل يوم كاليوم السابق ؟ مستحيل، هناك بوابة خروج في المطارات، أنت تخرج من هذه البوابة، الله عز وجل عنده بوابات، فالورم بوابة، الجلطة بوابة، الاحتشاء بوابة، خثرة بالدماغ بوابة، فشل كلوي بوابة، تشمع كبد بوابة، حادث سير بوابة الخروج.

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا

. كاد الفقر أن يكون كفراً .

أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ؟ أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ؟ أَوْ الدَّجَّالَ

. الذي يأتي إلى بلاد المسلمين من أجل الحرية والديمقراطية، وينهب الثروات، ويقتل الناس .

فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))

هذه هي الدنيا فدقق فيها، ربما بلغت أعلى منصب في العالم، ثم ماذا ؟ موت، الموت ينهي كل شيء، ربما جمعت أكبر ثروة في الأرض، ثم ماذا ؟ الموت، ربما استمتعت بكل مباهج الحياة، ثم ماذا ؟ الموت، ربما طفتَ أركان الدنيا، ثم ماذا ؟ الموت، لذلك الموت ينهي قوة القوي، وضعف الضعيف، وصحة الصحيح، ومرض المريض، وغنى الغني، وفقر الفقير، ووسامة الوسيم، ودمامة الدميم، الموت ينهي كل شيء.
هناك طرفة ثانية أرويها دائماً عن رجل من أهل البادية له أرض شمالي جدة، فلما توسعت جدة كثيراً اقتربت من أرضه، فارتفع سعرها، نزل صاحب هذه الأرض، وباع الأرض لمكتب عقاري خبيث جداً، اشتراها بربع قيمتها، وأنشأ على هذه الأرض بناء من اثني عشر طابقاً، أصحاب المكتب العقاري شركاء ثلاثة، الأول وقع من أعلى البناء فدقت عنقه، والثاني دهسته سيارة، فانتبه الثالث، وبحث عن صاحب الأرض ستة أشهر، وعثر عليه، ونقده ثلاثة أضعاف حصته، فقال له هذا البدوي: أنت أدركت أمرَ نفسِك.

أيها الإخوة الكرام،

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ؟ أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ؟ أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ؟ أَوْ الدَّجَّالَ ؟ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة].

إذاً: اللذائذ لا يمكن أن تمدك بمتعة مستمرة، بل بمتعة متناقصة، فإن كانت هذه المتعة في معصية يعقبها كآبة ومرض نفسي:

﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) ﴾

(سورة الزمر)

محبوس بالشقاء النفسي، محبوس بالكآبة، محبوس بالضيق، محبوس بالإحباط، محبوس بالتفاهة، أما المؤمنون:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ (٥) ﴾

(سورة البقرة)

الهدى يرفعهم، المهتدون على، والضالون في، في كآبة، أو في سجن، ارتكب جريمة، إما في كآبة، أو في مرض نفسي، أو في سجن، أما المؤمنون:

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ (٥) ﴾

(سورة البقرة)

الهدى رفعهم إلى أعلى عليين.

أيها الإخوة، هناك شيء دقيق جداً، أن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، و لكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، هذه السكينة صلة بالله، الشعور بالأمن الشعور وبالرضى، والتوفيق والتأييد والنصر، فاللذة إن كانت في مباح كانت متناقصة، وتمل منها، وإن كانت في معصية أعقبتها كآبة، وتحتاج إلى شيء خارجي، إلى مال.

اللذة تحتاج إلى شيء خارجي:

بالمناسبة، قال بعض علماء النفس: تحتاج اللذة إلى شروط ثلاثة، تحتاج إلى وقت، وإلى مال، وإلى صحة، سبحان الله ! في بدايات الحياة الوقت موجود، والصحة متوافرة، لكن المال غير متوفر، يقول لك: شاب منتوف ما عنده شيء، وفي وسط الحياة استلم عملا وصار عنده مال، وصحة، لكن ليسس عنده وقت، كل يوم دوامه في المحل حتى يضبط أمره.

أقسم لي بالله رجلٌ عنده معمل نسيج، قال: والله ثلاثين سنة ما غادرت دمشق إلا إلى اللاذقية لتسلم سيارة، مرة واحدة في حياتي، الأيام كلها قابعٌ في المحل التجاري، فهناك مال وصحة، لكن الوقت مفقود، ثم تقدم في السن فسلّم التجارة لأولاده، الآن هناك مال ووقت، لكن الصحة مفقودة، في جسمه خمسون علة، أسيد أوريك، وشحوم ثلاثية، والتهاب مفاصل، وديسك في الظهر، شيء لا يحتمل، ترى كل واحد الآن معه من الأدوية الشيء الكثير، قبل الأكل، وبعد الأكل، على الريق، هذه يسبقها شيء، هذه بعد شيء، بعد ذلك يأتي النعي.

أيها الإخوة الكرام، هكذا هذه اللذة، تحتاج إلى مال، وإلى صحة، وإلى وقت، وهي خارجية، وطابعها حسي، ومتناقصة، وإن كانت في معصية تعقبها كآبة.

٣ – السعادة تنبع من الداخل:

أما السعادة فتنبع من الداخل، فلستَ بحاجة إلى شيء، بحاجة إلى أن تستقيم على أمر الله، بحاجة أن تتصل بالله، بحاجة أن تذكر الله، بحاجة أن تصلي، بحاجة أن تقوم الليل، بحاجة أن تقرأ القرآن الكريم ، بحاجة أن تغض بصرك عن محارم الله، بحاجة أن تضبط لسانك، لا تحتاج إلى مال، ولا إلى صحة، ولا إلى وقت، تحتاج إلى إنابة.



والله أيها الإخوة، إن لم تقل: أنا أسعد من كل الناس إلا أن يكون أحد أتقى مني، ففي الإيمان خلل، أنت متصل مع الله، وتقلق، متصل مع الله، وتخاف، متصل مع الله، وتذل، متصل مع الله، وتيأس، متصل مع الله، وتشعر بالضعف، هذا مستحيل.

السعادة تنبع من الداخل، وهي متاحة لنا جميعاً، ليس متاحا لنا جميعاً أن نسكن في بيت فخم جداً، بيت بأربعمئة متر، ثمنه ثمانون مليونًا، هذا ليس متاحا، والمركبة الفارهة ليست متاحة، لكن متاح لنا جميعاً أن نكون في قمة السعادة.

بالإيمان أنت أسعد الناس ولو فقدَ الدنيا:



والله الذي لا إله إلا هو يمكن أن تصل إلى قمة السعادة وأنت في السجن، وأغني ما أقول، ولا أبالغ.

إذا كنت في كل حال معـي فعن حملي زادي أنا في غنى

***

فليتك تحلو والحـياة مريرة و ليتك ترضى و الأنام غضاب

وليت الذي بيني و بينك عامر و بيني و بين العالمين خراب

***

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

و لو نسمت من قربنا لك نسمة لمتّ غريباً واشتيـاقاً لأجلنا

***

سعادة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو في النار:

السكينة والسعادة والتألق وجدها إبراهيم في النار:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾

(سورة الأنبياء).

سعادة أهل الكهف في كهفهم:

السعادة والسكينة والتألق وجدها أهل الكهف في الكهف.

سعادة النبي عليه الصلاة والسلام وهو في غار ثور:

السعادة والسكينة والتألق وجدها النبي عليه الصلاة والسلام في غار ثور، يا رسول الله لقد رأونا قال:

((يَا أَبا بَكْرٍ مَا ظَنّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا ؟))

[متفق عليه]

والله أيها الإخوة الكرام، لو أذاقنا الله طعم القرب منه لنسينا الدنيا وما فيها، من عرف الله زهد فيما سواه.

السعادة عند ماشطة بنت فرعون:

ماشطة بنت فرعون،

((و هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا، قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ))

[أحمد]

النبي عليه الصلاة والسلام في أثناء العروج:

((لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ مَرَّتْ بِهِ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ))

قال يا جبريل ما هذه الرائحة ؟ قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون.

أيها الإخوة الكرام، ابحث عن الأبد، هذه الدنيا تضر وتغر وتمر، ألا ترى جنازة في الطريق ؟ انتهت جميع المتع، والرجل يُحمَل إلى القبر، فإما أن يكون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، هذه السعادة معك، ما تحتاج إلى مال، لا تحتاج إلى مركبة فارهة، لا تحتاج إلى بيت، لا تحتاج إلى مركز مرموق، لا تحتاج إلى امرأة جميلة، تحتاج إلى اتصال بالله.

لذلك أيها الإخوة، السعادة تنبع من الداخل.

٤ – السعادة متنامية تعقبها راحة نفسية:

السعادة متنامية لا متناقصة، السعادة تعقبها راحة نفسية، وتوازن، واستقرار، وثقة، وتفاؤل، ويقين، ونفس متألقة، لأنها اتصلت بالله، لذلك الآية الدقيقة، دققوا معي:

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ﴾

(سورة البقرة الآية: ١٦٥)

أية قوة ؟ لماذا أكل المال الحرام ؟ من أجل أن يتزوج امرأة جميلة جداً، مهرها كبير، طلباتها كبيرة، تريد بيتا فخما، إذاً: أكل المال الحرام من أجلها.

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ﴾

(سورة البقرة الآية: ١٦٥)

قوة الجمال التي سبَتْك هي مسحة من جمال الله، شهوتك للمال الذي أغراك هو عطاء من الله، الله عز وجل عنده الجمال، وعنده الكمال، وعنده النوال، ونحن جميعاً نحب الجمال والكمال والنوال.

إذاً: أيها الإخوة، السعادة متنامية، والله الذي لا إله إلا هو خط المؤمن البياني خط صاعد صعوداً مستمراً، والموت نقطة على هذا الخط، والصعود مستمر، فإذا عرفت فأنت في سعادة متنامية، وكلما كشف لك من كمال الله شيء تقول: الله أكبر، أكبر مما كنت أظن، أكبر مما كنت أعرف، هذه هي السعادة، السعادة قد تكون في كوخ صغير، قد تكون مع مرض عضال.

والله أيها الإخوة، حدثني طبيب عن قصة من أندر القصص، قال: جاءنا مريض مصاب بمرض خبيث منتشر في أحشائه، هذا الورم الخبيث في الأحشاء له آلام لا يحتملها بشر، قال: كلما دخل عليه إنسان عائد يراه مبتسماً، يقول: اشهد أنني راض عن الله، يا رب، لك الحمد، تماسكه عجيب.

الحقيقة أنني قرأت مرة بحثا حلت عندي مشكلة، لماذا المرض نفسه يؤلم إنسانًا إلى درجة أنه يتكلم كلام الكفر من شدة الألم، وإنسان آخر ألمه واحد بالمئة والمرض نفسه ؟ العلماء قالوا كلاما غير مقنع، قالوا:

هناك عتبة للألم، أنت غرفتك لها عتبة، أمام الباب قطعة مرتفعة من الرخام، فهناك عتبة مرتفعة تعني آلاما كثيرة، لكن لا ألم في عتبة منخفضة، هذا كلام الأطباء، لكن بعد هذا ثبت أن طريق الآلام عليه بوابات، طريق الآلام يبدأ من الأعصاب المحيطة للنخاع الشوكي للمخيخ إلى المخ إلى القشرة، هذا الطريق عليه بوابات، هذه البوابات إذا فتحت كانت الآلام مئة ضعف، وإذا أغلقت كانت الآلام واحدا في المئة، المقال مترجم، ويغلب على ظني أن كاتب المقال لا يعرف الله، قال: تتحكم في هذه البوابات الحالة النفسية للمريض، فإذا كان المريضُ مؤمنا بالله فالبوابات مغلقة، فيصل الألم بسيطا جداً معقولا.

هذا المريض كلما دخل عليه عائد يعوده يقول: اشهد أنني راض عن الله، يا رب لك الحمد، يقول لي الطبيب: إذا قرع الجرس يتهافت الممرضون على خدمته، والأطباء يأتون فوراً، وفي بهذه الغرفة نور، وجذب، وروحانية، إنسان معه ورم خبيث منتشر ولا يصيح، بل يقول: يا رب، لك الحمد، قال لي: جلس سبعة أيام، ثم توفي، لكن مات بحالة حلوة جميلة، مات بحالة راقية جداً، قال لي: لحكمة بالغة جاء إلى هذا الغرفة إنسان مريض بالمرض نفسه، ورم خبيث في الأحشاء، قال لي: ما من نبي إلا سبّه، يا لطيف، يكفر كفرا، يصيح، يشتم، يقذف بالسباب كل من رآه، فإذا قرع الجرس لا يأتيه أحد، الغرفة مظلمة مخيفة، غرفة كفر، غرفة سخط، مع أن المرض نفسه.

أيها الإخوة، السعادة تنبع من الداخل، ولا تحتاج إلى شيء مادي، قد تكون أسعد الناس في كوخ. والله مرة كنت في مؤتمر إسلامي في المغرب في أكبر فندق في الدار البيضاء، عند الفجر سمعت قرآناً يُتلى، والله أبكاني، نظرت من الشرفة فإذا عامل الحدائق يصلي الفجر في وقته، وله صوت حسن، قلت: يا رب، لعل هذا العامل أقرب إليك من كل أعضاء المؤتمر، المؤتمر إسلامي، الصلة بالله لها ثمن، ثمنها أن تكون محباً لله، أن تكون مستقيماً على أمره.

الشهوة إذا كانت هدفا كانت ألمًا:

تعلقوا بالسعادة أيها الإخوة، هناك فيلسوف من مصر يقول: مبدأ اللذة إذا كان هدفاً أصبح مبدأ ألم. أنت تتصور إنسانا دخله مليون في الشهر، ومعه كآبة، وينتحر بعد ذلك، أعلى نسب الانتحار في العالم في أغنى البلاد في العالم، الذي صمم ثاني أطول جسر في العالم يعبره ثلاثمئة ألف سيارة مهندس ياباني، في أثناء قص الشريط ألقى بنفسه في البوسفور، ذهبوا إلى غرفته، فكتب على ورقة: " ذقتُ كل شيء في الحياة فلم أجد لها طعماً، فأردت أن أذوق طعم الموت ".

الحياة ليس فيها شيء، أكاد أقول لكم: سافرت كثيراً شرقاً وغرباً، وجدت صفة مشتركة في العالم الشرقي والغربي، إنسان بلا هدف، هو غني ما عنده مشكلة، ولأن ما عنده مشكلة فهذه أكبر مشكلة، حياة مملة، ألِف كل شيء، أكل، شرب، شاهد أفلام، وبعد هذا ؟

والله أيها الإخوة، هؤلاء الذي ينجحون في حياتهم المادية يأتي وقت لا يحتمِلون ولا يُحتمَلون، فهم في مللٍ، وضجرٍ، وسأمٍ.

أيها الإخوة، الحقيقة أن الإنسان إذا لم يعرف الله عز وجل يصبح مبدأ الشهوة عنده مبدأ ألمٍ، لماذا ؟ لأنه بلا منهج، وسوف يعتدي، وحينما تعتدي، عندك زوجة، وإذا لم تكن لك زوجة كانت لك عشيقة، هذه العشيقة فتاة كان من الممكن أن تكون أمًّا عندها أولاد، عندها أصهار، هي أمٌّ محترمة، زوجة محترمة، أفسدها هذا الشاب، فنقلها من امرأة شريفة إلى امرأة ساقطة، عنده ضمير، عنده فطرة سليمة، هذه الفطرة تعذبه، فلذلك أي إنسان يتفلت من منهج الله يعاني من أمراض نفسية، أولها الكآبة، ثانيها اختلال التوازن.

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤) ﴾

(سورة المؤمنون)

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

(سورة طه)

المصائب نتائج حتمية للمعاصي:



ذكرت شيئًا: المصائب في الدنيا ليست عقاباً، وليست انتقاماً، وليست تشفياً، بل هي نتائج علمية للمعاصي والآثام، وكما أن المركبة علة صنعها السير، فلا بد لها من مكبح يتناقض مع علة سيرها، والمكبح ضروري، هو أخطر ما في المركبة، مع أنها صنعت من أجل أن تسير، والمكبح يتناقض مع علة سيرها، لهذا لما يختار الإنسان الشهوة المحرمة فأمامه سلسلة معالجات تحدثنا عنها في درس سابق، منها الهدى البياني، والتأديب التربوي، والإكرام الاستدراجي، والقصم.

٥ – متعة الشهوة زائلة والمسؤولية باقيةٌ، والمجاهدة في الطاعة زائلة والتكريم باقٍ:

أيها الإخوة الكرام، المتع في المعاصي زائلة والمسؤولية باقية، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً. الآن المجاهدة في الطاعات زائلة لا تستمر، بل تنتهي، والتكريم باق، المتعة آنية وزائلة والمسؤولية باقية، والمجاهدة في الطاعة زائلة ومنقضية والتكريم هو الباقي.

لكن أدق كلام أن في أنفسنا جميعاً فراغا لا يمكن أن يملأ إلا بمعرفة الله، المال لا يملؤه، ولا المنصب، ولا اللذة، ولا المتعة، هذا الذي نسعى إليه كي نملأ فراغ الإيمان.

مرة كنت في بلد في أمريكا، وفي مدينة إلى جانب مدينة إقامتي اسمها توليدوا اتصلوا بي وطلبوا زيارة، أول سنة اعتذرت، والثانية اعتذرت، والثالثة اعتذرت، الرابعة ذهبت، بعد أن انتهت المحاضرة والله الذي لا إله إلا هو قال لي أخ: أنا أخو فلان، وفلان صديقي، قال: تعرف كم مسافة قطعتُ وقدتُ مركبتي كي أستمع لهذه المحاضرة ؟ قلت له: كم ؟ قال ستمئة ميلا، أي ألف كيلو متر، هناك تصحر، إنسان يقود مركبته ألف كيلو متر ليستمع إلى محاضرة، نحن في الشام دروس، خطب، ندوات من فضل الله، العلم ثمين جداً، أنت حينما تعرف الله فقد وصلت إلى كل شيء، وإذا غابت عنك حقيقة الإيمان فما وصلت إلى شيء. مرة أخيرة، يا رب، ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٣-٥) : السعادة المتناقصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الواعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الإنسان كائن متحرك :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس التاسع والأربعين من دروس سورة التوبة، ومع قوله تعالى:

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

أيها الأخوة الكرام، الإنسان كائن متحرك، ما الذي يحركه؟ حاجته إلى الطعام والشراب، حفاظاً على وجوده كفرد، وما الذي يحركه؟ حفاظه على بقاء النوع عن طريق الزواج، وما الذي يحركه؟ حفاظه على بقاء الذكر عن طريق التفوق، فحاجته إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده كفرد، وحاجته إلى طرف آخر - إلى الزواج- حفاظاً على بقاء النوع، وحاجته إلى بقاء ذكره حفاظاً على مكانته، هذه الدوافع الثلاث تحركه فهو كائن متحرك.

الناس رجلان لا ثالث لهما :

أما هذه الحركة فإن كانت وفق منهج الله سلم وسعد في الدنيا والآخرة، وإن كانت هذه الحركة بخلاف منهج الله شقي وهلك في الدنيا والآخرة، هذه حقيقة دقيقة جداً، تؤكدها آيات كثيرة في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل]



صدق أنه مخلوق للجنة، فاتقى أن يعصي الله، وبنى حياته على العطاء كثمن للجنة:

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

[سورة الليل]

صدق بالدنيا وكفر بالآخرة فاستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ، لن تجد نموذجاً ثالثاً، هذا التقسيم القرآني لبني البشر على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعراقهم، وأنسابهم، وطوائفهم.

الله عز وجل منح البشر حظوظاً متباينة وزعها توزيع ابتلاء :

قال تعالى:

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً ﴾

أي الله عز وجل حينما منح الحظوظ للبشر، هذه الحظوظ أي نصيبه من الوسامة، نصيبه من الجمال، نصيبه من الغنى، نصيبه من القوة، نصيبه من التفوق العقلي، هذه الحظوظ الذي يمنحها الله لبني البشر النقطة الدقيقة فيها أنها تمنح في الحياة الدنيا ابتلاءً، توزع الحظوظ على البشر ابتلاءً، أي أنت ممتحن فيما أعطاك الله، أعطاك مالاً أنت ممتحن في هذا المال، أعطاك قوة أنت ممتحن بهذه القوة، أعطاك جاهاً أنت ممتحن بهذا الجاه، فكل شيء أعطاك الله إياه من دون استثناء مادة امتحانك مع الله.

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنون]

علة وجودك في الدنيا الابتلاء لأن الإنسان حينما:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب الآية:٧٢]

لما قبل حمل الأمانة:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

[سورة الجاثية الآية:١٣]

جاء به إلى الدنيا كي يتعرف إلى الله، وكي يتقرب إليه، ليكون هذا التعرف والتقرب ثمناً لجنة ربه، هذه الحكمة التي أرادها الله من مجيئنا إلى الدنيا.

الامتحان علة وجود الإنسان في الحياة الدنيا :

الإنسان في الدنيا حينما يغادرها يندم على شيء واحد هو العمل الصالح، يؤكد هذا قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنون]

إذاً الله عز وجل منح البشر حظوظاً متباينة، هذه الحظوظ المتباينة التي وزعها الله على بني البشر وزعها توزيع ابتلاء، أي امتحان.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

[سورة الملك الآية:٢]

أنت ممتحن بمالك، ممتحن بصحتك، ممتحن بزوجتك، ممتحن بأولادك، ممتحن بقوتك، ممتحن بضعفك، ممتحن بغناك، ممتحن بفقرك، علة وجودك في الدنيا الابتلاء، أي الامتحان.

الموت ينهي كل شيء :

الله عز وجل في الآية التاسعة والستين من سورة التوبة يقول:

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً ﴾

لذلك الموت ينهي قوة القوي، ينهي ضعف الضعيف، ينهي غنى الغني، ينهي فقر الفقير، ينهي وسامة الوسيم، ينهي دمامة الدميم، كل هذه الحظوظ في الدنيا سوف تنتهي، لكن الله سبحانه وتعالى امتحنك بها، فماذا تفعل؟ الآية الكريمة:



﴿ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الأعراف]

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ ﴾

ومع ذلك أهلكهم الله، لأن:

كل مخـلوق يموت ولا يبقـى إلا ذو الـعزة والـجبروت

***

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

***

كل ابن أنثى و إن طـالت سلامته يوماً على آلـة حدباء محمولُ

فإذا حملت إلـى القبور جنازة فاعلم بأنـك بعـدها محمولُ

***

إذاً من أدق أدق تعريفات الإنسان التي ذكرها الإمام الحسن البصري أن الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، فأنت بضعة أيام إما أن تكون في طاعة أو في معصية، إما أن تكون في قرب من الله أو في بعد عنه، أما أن تكون مع الخيرين، أو مع الشريرين، الدنيا ساعة اجعلها طاعة، والنفس طماعة عودها القناعة، هؤلاء الأقوياء جاء الموت فأخرجهم من الدنيا، هؤلاء الأغنياء جاء الموت فأخرجهم من الدنيا، إذاً:

كل مخـلوق يموت ولا يبقى إلا ذو الـعزة والـجبروت

***

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

***

بطولة المؤمن أن يعيش المستقبل :

أيها الأخوة الكرام،

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ﴾

سيدنا عمر بن عبد العزيز فيما يروى عنه أنه كان إذا دخل مقر عمله كل يوم يتلو هذه الآية:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

[سورة الشعراء]

والآية بليغة جداً:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً ﴾

وجاء الموت أنهى قوتهم، كانوا أغنياء جاء الموت ألغى غناهم، كانوا متماسكين جاء الموت فرق هذا التماسك.

إذاً البطولة الآن لا أن تعيش حاضرك، ولا أن تعيش ماضيك، لكن البطولة أن تعيش مستقبلك، ومعظم الناس يعيشون ماضيهم أو يعيشون حاضرهم، أما المستقبل فلا يفكرون فيه، مع أن أخطر زمن بالنسبة للإنسان هو المستقبل، لماذا؟ لأن في المستقبل مغادرة الدنيا، المغادرة تعني من قصر إلى قبر، من غنى إلى قبر، من مكانة اجتماعية إلى قبر، هذا النقلة المخيفة من دنيا عريضة إلى قبر لا يزيد عن أمتار، فلذلك البطولة في المؤمن أنه يعيش المستقبل ويعيش هذه اللحظة.

مرة طالب حقق الدرجة الأولى على بلد بأكمله، فأجروا معه لقاء صحفياً فسأله: ما سرّ هذا التفوق؟ قال: لحظة الامتحان لم تغادر ذهني ولا ثانية، وأنا أقول: والمؤمن الموفق لحظة مغادرة الدنيا لا تفارق ذهنه إطلاقاً.

الموت ينهي كل شيء ويبقى العمل الذي يحاسب الإنسان عليه :

ماذا أقول لله إذا سألني عن هذا السؤال؟

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجر]

هذا المال ممَ اكتسبته؟ فيمَ أنفقته؟ هذا العلم ماذا عملت به؟ هذا الزوجة لِمَ طلقتها؟ هذه الشراكة لِمَ عقدتها؟ هذه الرحلة لِمَ قمت بها؟ هناك سؤال دقيق جداً، فلذلك الله عز وجل يبين لنا ولو كنت قوياً،

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً ﴾

ولو كنت غنياً، ولو كنت عظيماً، ولو كنت ذا شأن، الموت ينهي كل شيء، الموت ينهي قوة القوي، وغنى الغني، وحكمة الحكيم، ينهي كل شيء ويبقى العمل الذي تحاسب عليه.

قال:

﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً ﴾

كما قال الله عز وجل:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة الكهف الآية:٤٦]

زينة، لكن الآية الدقيقة جداً:

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾

[سورة الكهف الآية:٤٦]

في قوله تعالى:

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ ﴾

عرف المال والبنون، كيف عرف المال والبنون؟ بأنهما زائلان، فلذلك الإنسان مهما علا شأنه، مهما تمتنت علاقته بما حوله، هذه العلاقة سوف تنتهي عند الموت، فالذي تحبه إما أن تفارقه أو أن يفارقك، الذي تحرص عليه إما أن تفارقه أو يفارقك.

الحياة الدنيا محدودة تنتهي بالموت بينما الحياة الأبدية لا نهاية لها :

﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ﴾

الخلاق هنا حظوظ من الدنيا، إنسان وسيم، إنسان قوي، إنسان غني، إنسان بمنصب رفيع، هذا الخلاق يعني الحظوظ من الدنيا،

﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ ﴾



لكن الفرق كبير كبير بين حياة محدودة وبين حياة متصلة، الحياة الدنيا محدودة تنتهي بالموت، بينما الحياة الأبدية لا نهاية لها، ولا بد من تعريف قريب لهذا الأبد الذي جاء ذكره في القرآن الكريم كثيراً، الأبد لو تصورنا رقم واحد في الأرض وأصفاراً، إلى أين؟ إلى مسافة معروفة، إلى الشمس، كل ميلي صفر، أول ثلاثة أصفار ألف، ثاني ثلاثة أصفار مليون، ثالث ثلاثة أصفار ألف مليون، رابع ثلاثة أصفار مليون مليون، لو تابعنا الأصفار إلى الشمس ما هذا الرقم؟ أكبر رقم تتصوره، وليكن واحد في الأرض وأصفار إلى الشمس، وبين الأرض والشمس مئة و ستة و خمسون مليون كيلو متر، وكل ميلي صفر، هذا الرقم إذا نسب إلى اللانهاية فهو صفر، فالدنيا بكل ما فيها من أموال، من متع، ومن مباهج الدنيا إذا نسبت إلى الآخرة فهي صفر، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث قال:

((ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخيط غرس في البحر من مائه))

[الطبراني عن المستورد بن شداد]

اركب البحر أمسك إبرة، مخيط، اغمسه في ماء البحر وانظر بمَ يرجع؟ المحيط الهادي في بعض الأماكن العمق فيه يقدر باثني عشر ألف متر- هذا خليج مريانا- فهذه البحار الخمس، المحيطات، الهادي، والأطلسي، والمتوسط، والشمالي، والجنوبي، وبحر العرب لو غمست في أحد البحار إبرة ونزعتها بمَ ترجع من ماء البحر؟ هذا الذي أخذته من مياه البحر هو نسبة الدنيا إلى الآخرة، فلذلك الله عز وجل يذكر هؤلاء:

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً ﴾

فالبطولة ليس وضعك في الدنيا، البطولة ما تنتهي إليه حياتك في الدنيا، إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو إلى نار لا ينفد عذابها.

حينما رأى النبي جنازة قال:

((مستريح، أو مُسْتَرَاح منه، فقالوا: يا رسول الله ما المستريحُ وما المستَراح منه؟ فقال: العبد المؤمنُ يستريح من نَصَب الدنيا، والعبد الفاجرُ يستريح منه العبادُ والبلادُ والشجر والدواب))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك عن أبي قتادة]

فبين أن تكون مستريحاً من الموت وبين أن يكون الإنسان مستراحاً منه عند الموت؟ فهذا الذي شرد عن الله كان قوياً، أو كان غنياً، أو كان ذا شأنٍ في المجتمع فلما جاء الموت أنهى كل هذه الخصائص.

اللذة و السعادة :

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا ﴾

فرق كبير بين اللذة والسعادة، فرق كبير جداً، قالوا: اللذة حسية، أن تأكل طعاماً طيباً، أن تسكن في بيت واسع، أن تطل من هذا البيت على مناظر خلابة، أو تكون لك زوجة جميلة، فاللذائذ حسية، معنى اللذائذ حسية أي تحتاج إلى أشياء ثلاث، تحتاج إلى وقت، وإلى مال، وإلى شباب– قوة–، ولحكمة أرادها الله عز وجل دائماً هذه الأشياء الثلاث تفتقد واحداً منها، ففي بداية الحياة الصحة جيدة، والوقت موجود لكن لا يوجد مال، إذاً لم تتحقق شروط اللذائذ أو مباهج الدنيا، في منتصف الحياة الصحة موجودة، واللذائذ موجودة لكن لا يوجد وقت، مشغول بأعماله، في خريف العمر هناك وقت، ومال لكن لا يوجد صحة، لحكمة بالغة بالغةٍ الإنسان إذا شرد عن الله أسباب اللذائذ يفتقد واحداً منها دائماً، أما إذا عرف الله فهو يعيش لا باللذائذ ولكن في سعادة، السعادة تنبع من الداخل، أما اللذائذ فتأتي من الخارج، السعادة تحتاج إلى اتصال بالله، أما اللذائذ فتحتاج إلى أموال، السعادة تحتاج إلى اتصال بالله بأي عمر كنت، أما اللذائذ فتحتاج إلى مال بعمر معين، لذلك الفرق كبير جداً بين اللذائذ وبين السعادة، السعادة تنبع من الداخل، ولا حدود لمستوياتها، فالله عز وجل حينما:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٧٢]

هذا الإنسان مصمم إن صحّ التعبير تصميماً لا نهائياً، هو مصمم بمعرفة الله، والقرب منه، مصمم لجنة عرضها السموات والأرض، لذلك هذا الإنسان لا يملأ نفسه إلا معرفة الله عز وجل، أما إذا اختار هدفاً مادياً فهذا الهدف هو أكبر منه بكثير، إذا اختار هدفاً مادياً سرعان ما يمل منه ويتركه، هذه حقيقة ثابتة اسأل الأغنياء ملوا من المال، اسأل الأقوياء ملوا من مناصبهم، اسأل كل فئة في الأرض، طبيعة هذه الحياة الدنيا

ما سمح الله لها أن تمد الإنسان بسعادة مستمرة، بل بسعادة متناقصة، وإذا كان هناك معصية مع السعادة المتناقصة فهناك كآبة، كآبة المعصية، ما سمح الله للدنيا أن تمدك بسعادة مستمرة، بل بسعادة متناقصة، الإنسان لو اشترى بيتاً واسعاً جداً أسبوع شهر يتمتع به تماماً لكن بعد حين أصبح شيئاً عادياً، لو اقتنى مركبة بعد حين أصبحت شيئاً عادياً، إذاً الآية الدقيقة:

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً ﴾

القوة قوة منصب أحياناً، والأموال، والأولاد زينة الحياة الدنيا.

من كان رأسماله كله في الدنيا فالموت ينهي له كل ما يملك :

﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ﴾

فاستمتع استمتاعاً كاملاً، يا ترى هذه المتعة إلى متى؟ إلى الموت؟ إلى مغادرة الدنيا؟ لكن المؤمن خطه البياني صاعد صعوداً منتظماً، ويبقى صاعداً حتى إذا مات، وما الموت إلا نقطة على هذا الخط الصاعد، بينما أهل الدنيا قد يكون خطه البياني صاعداً أيضاً صعوداً حاداً، لكن بعد هذا الصعود الحاد هناك هبوط مريع، هو الموت ، الموت ينهي كل شيء، فالإنسان إذا كان كل رأسماله في الدنيا فالموت ينهي كل ما يملك، إذا كانت كل مكتسباته وخصائصه ورأسماله في الدنيا الدنيا زائلة، أما المؤمن فسار في طريق الحق، فخطه البياني صاعد صعوداً مستمراً، لذلك:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾

خضتم في الدنيا، في أعمالها، في أموالها، في مباهجها، في لذائذها، في مسراتها،

﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾

إحباط العمل :

أيها الأخوة الكرام، الخطورة الكبيرة جداً أن يحبط العمل، ما معنى أن يحبط العمل؟



إحباط العمل أن ينحط العمل، بدل الزواج الزنا، بدل الكسب المشروع الكسب الغير مشروع، ما من شيء أودعه الله فيك، بل ما من شهوة أودعها الله فيك إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، بالإسلام لا يوجد حرمان، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، فحينما يستمتع الإنسان بشيء محرم الموت ينهي هذه المتعة، ويبقى وزرها، وحينما يجهد الإنسان في طاعة الله، ويأتي الموت، الموت أنهى هذا الجهد الكبير، وبقيت السعادة التي وعده الله بها.

﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾

المعنى الأول لإحباط العمل أنه أصبح عملاً منحطاً بخلاف منهج الله، أصبح عملاً عدوانياً، بنيت مجدك على أنقاض الآخرين، بنيت عزك على ذلهم، بنيت قوتك على ضعفهم، بنيت غناك على فقرهم، هذا نوع من أنواع إحباط العمل، والشيء الثاني حتى لو كان عملاً عظيماً بمقاييس الأرض لأن صاحبه أراد العز، والمال، والجاه ليس غير، هذا العمل محبط أيضاً، لأنه فقد قيمته الأخروية، فالعمل يحبط مرتين، مرة إذا أصبح عملاً سيئاً بمقاييس الشرع، ومرة إذا كان هذا العمل لغير الله.

العمل يقبل عند الله بشرطين؛ الإخلاص و الصواب :

لذلك حينما قال الله عز وجل:

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾

[سورة النحل الآية: ١٩]

متى يرضى الله عن العمل؟ قال بعض العلماء: إذا كان خالصاً وصواباً، صواباً ما وافق السنة، وخالصاً ما ابتغي به وجه الله، فالعمل يقبل عند الله بشرطين، إذا كان خالصاً وإذا كان صواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً إذا وافق السنة، فأي عمل يخالف منهج الله عز وجل لو ابتغيت به وجه الله لا يقبل، وأي عمل ولو كان عظيماً إن لم تبتغِ به وجه الله لا يقبل، فهذه قاعدة دقيقة جداً استنبطت من قوله تعالى:

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾

والله يرضى عن العمل إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً إذا وافق السنة.

الخسارة الحقيقية خسارة الآخرة :

﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾



ما الخسارة؟ إذا الإنسان فقد رأسماله فهو خاسر، والخسارة لا تعرف الألم الذي تورثه إلا من ذاقها، الخسارة مؤلمه جداً، قد يخسر الإنسان رأسماله، قد يخسر مكانته، قد يخسر منصبه، قد يخسر زوجته، قد يخسر أولاده، لكن الخسارة الحقيقية:

﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة الشورى الآية: ٤٥]

حينما تشعر أن الله عز وجل خلقك لجنة عرضها السموات والأرض، وأنت جئت إلى الدنيا، ولهوت بالدنيا، ولم تعبأ لمنهج الله لك، ثم جاء ملك الموت، فإذا أنت بعيد عن منهج الله، وعن أسباب دخول الجنة، هذه الخسارة الحقيقية، لذلك ورد في بعض الآثار النبوية:

((إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى وأنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب))

[أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله]

عذاب الندم عذاب لا يحتمل، إذاً:

﴿ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

الفلاح و النجاح :

دائماً وأبداً ينبغي أن تحكم مقاييس ربنا جلّ جلاله، الله قال:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾

[سورة الأعلى]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾

[سورة الأعلى]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة المؤمنون]

فأنت إذا فتحت القرآن على قد أفلح هي بضعة آيات، والفلاح كما تعلمون ليس كالنجاح، نجاح محدود، نجاح في كسب المال، نجاح في تسلم منصب رفيع، نجاح في الزواج، لكن الفلاح نجاح في الدنيا ونجاح في الآخرة، نجاح في العلة التي خلقت من أجلها، هذا هو الفلاح، لذلك الفالحون والمفلحون في القرآن لها معان دقيقة جداً.

بطولة المؤمن أنه يتعظ بغيره :

الآن الله عز وجل يقول:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[سورة التوبة]

الإنسان أحياناً يقرأ آية في أمر هذا الأمر يقتضي أن تأتمر، يقرأ آية فيها نهي هذا الأمر يقتضي أن تنتهي، تقرأ آية ذكر من آيات الله هذه الآية تقتضي أن تتفكر في خلق السموات والأرض، ولكن لو قرأت عن أمة سابقة أهلكها الله تتعظ، لذلك بطولة المؤمن أنه يتعظ بغيره، أما غير المؤمن فلا يتعظ إلا بنفسه. بالمناسبة: أحياناً حينما تتعظ قد تكون هذه المعصية لم تبقِ لك ما تتعظ فيه، ما كل معصية بإمكانك أن تخرج منها، فلذلك من بدأ حياته بداية محرقة كانت له نهاية مشرقة.

الله عز وجل ضرب قوم عاد مثلاً على الإنسان أن يتعظ منه :

أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل ضرب على هؤلاء المفسدين في الأرض، هؤلاء الطغاة قوم عاد، الله عز وجل قال:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

[سورة الفجر]



عاد تفوقت في كل المواطن، تفوقت في شتى المجالات،

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

تفوقت في شتى المجالات، هناك آية ثانية:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ ﴾

[سورة الشعراء]

تفوق عمراني.

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾

[سورة الشعراء]

تفوق صناعي.

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾

[سورة الشعراء]

تفوق عسكري، وهناك تفوق علمي.

﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾

[سورة العنكبوت]

تفوق عمراني:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ ﴾

تفوق صناعي:

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾

تفوق عسكري،

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾

وهناك شيء آخر فيه عجرفة:

﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

[سورة فصلت الآية:١٥]

ومع هذا التفوق في شتى المجالات، في المجال العلمي، والعمراني، والصناعي، والعسكري كان هناك غطرسة، واستعلاء، وكبر،

﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

بطولة الإنسان أن يتعظ فيما يأتي في القرآن الكريم من قصص :

شيء آخر: هؤلاء القوم قوم عاد ماذا فعلوا؟ قال:

﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

[سورة الفجر]

وكأن هؤلاء القوم كانوا نموذجاً للأمم الطاغية الباغية التي استعلت، وطغت، وبغت، ونسيت ربها جل جلاله. فيقول الله عز وجل مذكراً:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

لذلك الإنسان أحياناً يغتني فيطغى، والآية الكريمة:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾

[سورة العلق]

حينما يتوهم الإنسان أنه غني، وأن هذا المال تنحل به كل المشكلات، ونسي الله عز وجل، أنا أقول من هو الغبي؟ الغبي من لم يدخل الله في حساباته، قال بعضهم: عرفت الله من نقض العزائم، فهؤلاء قوم عاد طغوا

في البلاد، أكثروا فيها الفساد، تفوقوا بعلمهم، تفوقوا ببنائهم، تفوقوا بصناعتهم، تفوقوا بقوتهم العسكرية، طغوا في البلاد، أكثروا فيها الفساد، فالله عز وجل

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

فالبطولة أن تتعظ فيما يأتي في القرآن الكريم من قصص.

الدنيا لمن يتقنها ويحسن إدارتها أما الآخرة فخاصة بالمؤمنين :

شيء آخر، والنقطة الدقيقة جداً أن الله عز وجل، الدنيا يعطيك بالربوبية كل حاجاتك بصرف النظر عن إيمانك، أي الإنسان، يأكل، ويشرب، ويتزوج، ويسافر، ويتاجر، ويربح، ويستمتع بالحياة، هذا منهج من مناهج الله عز وجل، فالدنيا من ينالها؟ القوي أحياناً، أو الذي أتقنها، لكن الآخرة لعباده المؤمنين، فالدنيا يمكن أن ينالها القوي، بل لحكمة أرادها الله أن الذي أتقن الدنيا ينالها، لذلك إن الله أحياناً ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة، هذا كلام دقيق جداً، الدنيا لمن يتقنها، الدنيا لمن يحسن إدارتها، ينالها، أما الآخرة فوعد صادق خاصة بالمؤمنين.

فلذلك قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

بمعنى أن الله سبحانه وتعالى رحمة منه يرسل الرسل والأنبياء ليبينوا لهؤلاء الذين شردوا عن الله عز وجل منهجهم الصحيح، فمن يتعظ له الجنة، ومن يتجاهل هذه الرسالات له عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة. لذلك عطاء الربوبية لكل البشر، مؤمنهم وكافرهم، أما عطاء الإلوهية فللمؤمنين وحدهم، أي المؤمن وحده هو الذي ينال الآخرة بأعلى درجاتها.

مثلاً الأهرامات في مصر، حدثني أخ كريم قرأ عنها الكثير، قال: هناك نافذة في الأهرام، زاوية هذه النافذة مدروسة دراسة مذهلة، بحيث أن الشمس تعبر خلال هذه النافذة في العام كله يوم واحد، يوم موت فرعون، لا يوجد الآن إمكانية أن تصمم نافذة بزاوية معينة، بحيث في يوم واحد فقط الشمس تعبرها إلى داخل الهرم، فهؤلاء الذين كانوا قبلنا كانوا أقوياء جداً، ومع ذلك أهلكهم الله عز وجل، لذلك:

﴿ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل :

أيها الأخوة الكرام، البطولة لا أن تعيش حاضرك، أن تعيش المستقبل، والمستقبل في مغادرة الدنيا، وكل هذه الآيات التي قرأت في هذا اللقاء الطيب من أجل أن تتجه إلى الآخرة، والآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك عادل، والآخرة فيها أبد، والأبد مهما شرح يصعب أن يوضع في مفهوم بين يدي الناس، الأبد يعني ما لا نهاية، وأكبر رقم على وجه الأرض إذا نسب للانهاية كان صفراً.

أيها الأخوة الكرام، الآيات التي قرئت في هذا اللقاء الطيب

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ ﴾

أي بالحظوظ التي وهبكم الله إياها.

﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾

خضتم في وحل الدنيا

﴿ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾

العمل فقد قيمته إن كان للدنيا، وفقد قيمته إن كان سيئاً، الإحباط نوعان إما أن العمل يخسر الثواب الذي وعد الله به، أو أن يكون منحطاً فعلاً.

﴿ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

وكلمة:

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾

هذا نفي الشأن وهو من أشد أنواع النفي في القرآن الكريم، أي مستحيل وألف ألف ألف مستحيل لا يظلمهم، ولا يرضى أن يظلمهم، ولا يمكن أن يظلمهم، فكل أنواع الأفعال التي تنفى بهذه الصيغة أفعال قطعية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٣-٦) : السلامة و السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

للإنسان مطلبان أساسيان السلامة و السعادة :

أيها الأخوة الأكارم؛ بادئ ذي بدء ما من واحد من بني البشر على وجه الأرض من أي ملة و مذهب من آدم إلى يوم القيامة إلا و له مطلبان أساسيان: السلامة و السعادة، أن يسلم و أن يسعد، كيف يسلم الإنسان؟

الإنسان أعقد آلة صنعها الله عز وجل، و لهذه الآلة صانع، و لهذا الصانع تعليمات استعمال، فالدين بشكل أو بآخر أو بشكل مختصر هو تعليمات الصانع، والإنسان حينما ينطلق من حبه لذاته، لأن الإنسان يحب ذاته، و وجوده، و يحب سلامة وجوده، و يحب كمال وجوده، و يحب استمرار وجوده، هذه فطرة ثابتة، انطلاقاً من هذا الحب لذاته عليه أن يتبع تعليمات الصانع، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

[سورة فصلت :٤٦]

القضية أعمق من أن الإنسان يظن الدين تنفيذاً، تكليفاً، أي حينما تركب سيارة، و معك حمولة تقدر بعشرة أطنان، و تعبر جسراً، كتب على طرف الجسر: الحمولة القصوى خمسة طن و أنت معك عشرة، هل تخاف من المخالفة أم تخاف من السقوط؟ المخالفة ليس لها قيمة أمام السقوط، فالذي يبحث عن شرطي يؤاخذه، انظر الأمر أخطر من ذلك، الإنسان لو رأى تياراً كهربائياً ثمانية آلاف فولط، ذو توتر عال، و مكتوب: ممنوع الاقتراب، هل يخاف إن اقترب أن يكتب له مخالفة أم يخاف إن اقترب أن يصبح فحماً؟ القضية أخطر، قضية وجود، و سلامة وجود، و كمال وجود، و استمرار وجود، فالإنسان له مطلبان ثابتان؛ السلامة و السعادة، و انطلاقاً من حبه لذاته، و لوجوده، و سلامة وجوده، و كمال وجوده، و استمرار وجوده، يبحث عن منهج صحيح، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر :١٤]

الذي يوجد عنده جهاز كومبيوتر فيه عطب لا يمكن أن يسأل البقال عن التصليح إطلاقاً، يبحث عن خبير من الوكالة، من الشركة الصانعة، فالقضية قضية أن نصل إلى السلامة و السعادة، و هذا متاح لكل إنسان بشرط أن يستخدم في حدود، الإنسان أيها الأخوة له وجودان؛ له وجود إنساني و له وجود حيواني، إذا أكل و شرب و نام و تزوج و عمل و أنتج و استمتع هذا كله وجود حيواني، أما إذا عرف الله عز وجل، و عرف سرّ وجوده، و غاية وجوده، فهذا وجود إنساني، فما لم تتعلم؛ و ما لم تطلب العلم؛ و ما لم تتعرف إلى الله عز وجل فالوجود حيواني و ليس وجوداً إنسانياً.

العبادة علة وجود الإنسان في الدنيا :


سلامة الإنسان باتباع منهج الخالق عز وجل

أيها الأخوة؛ الإنسان متى يسعد؟ يسعد إذا عرف سرّ وجوده، الدليل لو أن أحدنا سافر إلى بلد، و نام بالفندق و استيقظ إلى أين يتجه؟ تناول طعام الإفطار إلى أين يتجه؟ يقول لك: إلى أين؟ اسأله: أنت لماذا جئت إلى هنا؟ إن جاء إلى هذا البلد تاجراً يذهب إلى المحلات التجارية، إلى المعارض و المؤسسات، إن جاء سائحاً يذهب إلى المقاصف و المتنزهات، إن جاء طالب علم يذهب إلى المعاهد و الجامعات، متى تصح حركة الإنسان؟ إذا عرف سرّ مجيئه إلى هذا البلد، وسع الموضوع، نحن في الأرض لماذا نحن هنا؟ ما هو سرّ وجودنا؟ قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات :٥٦]

سرّ وجودك على وجه الأرض أو علة وجودك أن تعبد الله، ما العبادة؟ العبادة طاعة ممزوجة بمحبة قلبية، لو ألغيت الحب من الطاعة ليست عبادة إنها إكراه، لكن أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، سرّ وجودنا أن نعبد الله، لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات :٥٦]

والإنسان إذا عبد الله حقق غاية وجوده، قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾

[سورة النساء :١٤٧]

أي أنتم إن شكرتم وآمنتم حققتم علة وجودكم، فلماذا العذاب؟ لماذا المعالجة؟ الله عز وجل سخر هذا الكون تسخير تعريف وتسخير تكريم، كل ما في الكون يدلك على الله، هذا تسخير التعريف، وتسخير التكريم تنتفع به، مثلاً العسل ثمين جداً، هذا مسخر للإنسان، كيلو العسل يحتاج إلى طيران بمقدار أربعمئة ألف كيلو متر، لو كلفت نحلة واحدة أن تصنع كيلو عسل لاحتاجت أن تطير أربعمئة ألف كيلو متر، أي ما يعادل عشر دورات حول الأرض، هذا العسل له منافع للجسم كثيرة جداً، وفيه شفاء للنفس، لكن منافعه التعريفية أبلغ، يجب أن تعرف الله من خلال النحل وصنع العسل، فإن عطلت الناحية التعريفية وانتفعت بالعسل هذا شأن العالم الغربي الانتفاع، لكن شأن الإنسان الكامل أن يتعرف إلى الله من خلال خلقه، فإذا وصل إلى الله من خلال آية النحل والعسل فقد حقق المراد من خلق هذه الحشرة النافعة، وهذا الشراب اللذيذ.

معرفة الله و التفاني في طاعته :

أيها الأخوة الكرام؛ من أجل أن تعبد الله لابد من أن تعرفه، وكيف تعرفه؟ الإنسان يتعرف إلى الأشياء بالحواس الخمس، هذه المعرفة الحسية، لكن الله لا تدركه الأبصار، لابد من أن نعرفه، من أن نرى آثاره، الصنعة تدل على الصانع، والخلق يدل على الخالق، والنظام يدل على المنظم، والتسيير يدل على المسير، فما لم نعرف الله عز وجل لا نستطيع أن نلتزم بأمره، قلت قبل قليل هي طاعة طوعية مسبوقة بمعرفة يقينية.

الإنسان إذا عرف الخالق ثم عرف الأمر تفانى في طاعة الآمر، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر تفنن في التفلت من الأمر، فكل إنسان يبحث عن طريقة للخلاص من تنفيذ أمر الخالق معرفته بالله ضعيفة، إن عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في التفلت من هذا الأمر، وإن عرفنا الآمر ثم عرفنا الأمر تفانينا في طاعته، إذاً لابد من معرفة الله لذلك قالوا: هناك علم به، وهناك علم بأمره، وهناك علم بخلقه، العلم بخلقه جامعات العالم بالفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والطب، والهندسة، وعلم التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، هذه معرفة بخلقه، والمعرفة بأمره كليات الشريعة بالعالم، الأمر والنهي، والحلال والحرام، والطلاق، والزواج...، لكن نحن بحاجة إلى أن نعرفه، معرفة خلقه وأمره يحتاجان إلى مدارسة، إلى مدرس ناجح، إلى

كتاب، إلى فكر، إلى ذاكرة، إلى تمحيص، إلى متابعة، إلى بحث، إلى درس، إن عرفت أمره هذا شيء، وإن عرفت خلقه هذا شيء آخر، لكن الشيء المقصود أن تعرفه، وكيف تعرفه؟ أحد العلماء يقول: جاهد تشاهد، معرفة أمره ومعرفة خلقه يحتاجان إلى مدارسة، لكن معرفة الله عز وجل تحتاج إلى مجاهدة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة العنكبوت : ٦٩]

الإنسان إذا جاهد نفسه وهواه وصل إلى ربه ومبتغاه، إذاً المطلب الأساسي السلامة والسعادة، طريق السلامة والسعادة أن نعرف الله، وأن نعرف الآمر قبل أن نعرف الأمر، فإذا عرفنا الآمر وطبقنا الأمر اتصلنا به، والاتصال بالله سرّ الدين، لا خير في دين لا صلاة فيه، الصلاة عماد الدين، من أقامها أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين.

جسم الإنسان آية من آيات الله الدالة على عظمته :



أيها الأخوة؛ قلنا: العبادة طاعة طوعية، مسبوقة بمعرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، يستنبط من هذا التعريف أن في الدين كليات ثلاث، كلية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية، المعرفية لا بد من أن نعرف الله، والطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، قبل يومين ألقيت درساً في دمشق عن حاسة الشم، في قلب الفم عشرون مليون نهاية عصبية، كل نهاية عصبية لها سبعة أهداب، محاطة بمادة مخاطية مذيبة حساسة، تأتي الرائحة تتفاعل مع هذه المستقبلات تفاعلاً كيميائياً ينتج عنه شكل هندسي، شكل مفتاح، مستطيل، مربع... هذا الشكل ينتقل إلى الدماغ إلى ذاكرة الشميات، ويوجد في الدماغ سعة لعشرة آلاف رائحة، هذه الرائحة التي على شكل مفتاح أو شكل مستطيل تعرض على الذاكرة الشمية واحدة واحدة كما يفعل الحاسوب تماماً، فإذا توافق الشكلان تقول: هذه رائحة ياسمين، هذا الشم شيء مذهل.

يوجد في العين مئة وثلاثون مليون عصية ومخروط لانتقاء أدق الصور، وأدق الألوان، العين السليمة تفرق بين درجتين من ثمانمئة ألف درجة للون الواحد، لو درجنا اللون الأخضر إلى ثمانمئة ألف درجة العين السليمة تفرق بين درجتين، والعينان من أجل أن تعرف البعد الثالث، ترى الشيء مجسماً، أما بعين واحدة فترى طولاً وعرضاً أي ترى بعدين فقط، أما بالعينين فترى بعداً ثالثاً، قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾

[سورة البلد :٨]

الإنسان أحياناً يقف وقفات تأملية دقيقة، الشعر لا يوجد فيه أعصاب حس، لو الشعر يوجد به أعصاب حس نحتاج إلى عملية جراحية للحلاقة، الأظافر لو كان بها أعصاب حس لاحتجنا إلى عمل جراحي لقص الأظافر، لحكمة بالغة، لكن يوجد أعصاب حس في مخ العظم لأنه لو كان هناك كسر للوقاية الأولى أن تبقيها على حالها، لو لم يكن هناك عصب حسي في مخ العظم لتفاقم الكسر، لو دقق الإنسان في خلقه، الإنسان أحياناً يسمع صوتاً يدخل إلى الأذنين، لماذا أذنان؟ من أجل أن تعرف جهة الصوت، الصوت يقطع في الثانية ثلاثمئة وثلاثين متراً، فإذا كان الصوت في هذه الجهة يدخل الأذن الأولى قبل الثانية بواحد على ألف وستمئة وعشرين جزءاً من الثانية، يوجد في الدماغ جهاز يحسب تفاضل الصوتين، يعرف جهة الصوت ويعطي أمراً إلى الجهة الثانية، قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾

[سورة البلد :٨]

الإنسان بين جنبيه جسم فيه آيات لا يعلمها إلا الله، كلما فكر في خلق الله ازداد تعظيماً له، وكلما عظم الأمر عندك سهلت عليك طاعته.

أصل الدين معرفة الله :

كما قلت قبل قليل: الإنسان إذا عرف الآمر وعرف الأمر تفانى في طاعته، أما إذا عرف الأمر ولم يعرف الآمر فيبحث عن الفتوى، ويريد فتوى يغطي بها كل تقصيره، ولكل معصية فتوى، العبرة بالتقوى لا بالفتوى، بل إن هناك ما هو أبلغ من ذلك، لو استطعت أن تنتزع من فم النبي عليه الصلاة والسلام فتوى ولم تكن محقاً لن تنجو من عذاب الله، والدليل:

((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلا يَأْخُذْهَا))

[متفق عليه عن أم سلمة]

النبي الكريم سيد الخلق وحبيب الحق يحكم لك، و لكن إن لم تكن محقاً لن تنجو من عذاب الله، العبرة أن تتصل بالله، وتطبق شرعه بإخلاص وصدق.

يوجد في الإسلام كلية معرفية أساسها معرفة الله عن طريق معرفة آياته، مشكلة الدعوات الإسلامية أن فيها نقصاً خطيراً، يوجد معرفة جيدة جداً بأمر الله، أما بالخالق فالمعرفة ضعيفة، فسهل على الإنسان أن يتفلت، وسهل أن يتحرك حركة غير صحيحة، أما أنت إذا تلقيت أمراً من أعلى جهة فتنفذه بحذافيره، وكلما الجهة تدنت في نظرك صار التنفيذ ضعيفاً إلى درجة أنك لا تفعل شيئاً.

العبادة فيها كلية معرفية، هي طاعة طوعية أساسها معرفة يقينية، وقضية التفكر في خلق السموات والأرض شيء مهم جداً، لماذا ثلث القرآن آيات كونية؟ قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران :١٩٠-١٩١]

الذي لا يفكر في آيات الكون يعطل ثلث القرآن، لأنك إذا فكرت في هذه الآيات عرفت الواحد الديان. يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: " أصل الدين معرفته، إن عرفنا الله عرفنا كل شيء، ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء".

يوجد في الحياة حقيقة واحدة هي الله، أي شيء يقربك منها فهو العمل الطيب، وأي شيء يبعدك عنها فهو العمل الخبيث، فالإنسان عندما يعرف هدفه تنتهي مشكلاته، لأن من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها.

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري، أهل مودتي، أهل شكري، أهل زيادتي أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

آيات الله عز وجل صارخة و تدل على عظمته :



أيها الأخوة؛ يوجد أشياء في آيات الله الدالة على عظمته مذهلة، كالطفل الصغير يولد لتوه من علمه مص ثدي أمه؟ علمونا في الجامعة منعكس المص، لولا هذا المنعكس لما كنا في هذا المكان، لما وجدت على وجه الأرض إنساناً، الطفل حينما يولد يضع شفتيه على حلمة ثدي أمه ويحكم الإغلاق ويسحب الهواء، تفضل علم هذا الطفل، هل يستطيع أب في الأرض أن يعلم ابنه الذي ولد لتوه كيف يمص ثدي أمه؟ آيات الله عز وجل صارخة تدل على عظمته، وكلما تفكرت في الكون ازددت طاعة لله عز وجل، والآيات لا تعد ولا تحصى، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، ولا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت.

تمتع المؤمن بالأمن و السكينة و الكافر بالتشاؤم و السوداوية :

إذاً هذه الطاعة الطوعية التي أساسها المعرفة اليقينية تفضي إلى سعادة أبدية، فيا أيها الأخوة الكرام أنت حينما تقرأ كلام الله هذا كلام خالق الكون، لو جمعت كتب أهل الأرض ضعها كلها في كفة وضع هذا الكتاب في كفة ثانية، السبب؟ لقول النبي الكريم:

((مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي وَذِكْرِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ السَّائِلِينَ وَفَضْلُ كَلامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ))

[الدارمي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

المسافة بين القرآن الكريم وبين أي كتاب آخر لا على التعيين هي المسافة بين الله والبشر، فهذا القرآن الكريم حق مئة بالمئة جاء عن طريق الوحي، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه:١٢٤]

إذا وجدت في الأرض إنساناً سعيداً ولا يذكر الله عز وجل هذه القضية تحتاج إلى مراجعة، لكن شخصاً سأل سؤالاً قال: ما بال الأغنياء والأقوياء كل شيء بيدهم ؟ فقالوا: معيشتهم الضنك ضيق القلب.

قبل أن أحضر إلى بلدكم لنا أخ كريم في دمشق متخصص بمساعدة الفقراء والمحتاجين، أقسم بالله أنه دخل على رجل من كبار أغنياء دمشق حجمه المالي يزيد على بضعة آلاف من الملايين، شكا له الضيق والتشاؤم، وأنه متضايق من أهله وأولاده، فقال لي هذا الأخ: كدت أن أبرك من شدة الهم الذي ركبني من كلامه، وقال: ذهبت إلى محلي التجاري فرأيت امرأة محجبة تطلب منه مساعدة ألف ليرة في الشهر فقال لها: أين بيتك؟ قالت له: في داريا، طبعاً هناك جمعية خيرية ذهبوا إلى البيت، بيت تحت الدرج– كوخ – لها زوج، ولها أولاد، وهي سعيدة جداً، وهي ينقصها أجرة البيت فقط، قال لي: سمعت من ثنائها على الله عز وجل الشيء الكثير، وشعرت أن هذا البيت فيه سعادة، فلما أمرت لها بألفين قالت: لا، ألف واحدة تكفيني، فقال لي: بيوم واحد دخلت على شخص يملك بضعة آلاف من الملايين وهو في تعاسة ما بعدها تعاسة، وانتقلت إلى أسرة تسكن تحت درج، ويبدو أنه يوجد التزام وطاعة لله عز وجل، وشعرت أن في هذا البيت سعادة عظيمة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه:١٢٤]

بالمقابل قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل:٩٧]

لذلك قال بعضهم: إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

المؤمن يتمتع بالسكينة، يوجد عنده سكينة وطمأنينة وسعادة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم، ويوجد عند غير المؤمن من الضيق والتشاؤم والسوداوية ما يكفي لإشقاء أهل بلد بأكملهم، لأن الله عز وجل قال:



﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة :١٨]

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة القلم :٣٥]

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

[سورة القصص : ٦١]

الموازنات دقيقة، دققوا قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية :٢١]

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء و في الآخرة توزيع جزاء :

أخواننا الكرام؛ أقول كلاماً خطيراً ودقيقاً: أن يستوي المحسن مع المسيء، أن يستوي المستقيم مع المنحرف، أن يستوي الرحيم مع القاسي، أن يستوي المخلص مع الخائن، أن يستوي الملتزم بمنهج الله مع المتفلت بمنهج الله، أن يستوي هذان وهذان، هذا يتناقض لا مع عدل الله ولكن مع وجوده.

أنت إما أن تؤمن أن لهذا الكون إلهاً عادلاً وإما أن تؤمن بالعبثية، قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة المؤمنون :١١٥]

أحدهم دخل مسرحاً وبدأ التمثيل، إنسان قتل إنساناً وأرخي الستار، لم يخرج أحد من المسرحية، ينتظرون النتائج، نحن الآن في الفصل الأول، وهناك يوم قيامة تسوى به الحسابات، الدنيا فيها قوي وضعيف، فيها فقير وصحيح، فيها غني وفقير، فيها إنسان ذكي جداً وإنسان أقل ذكاء، وإذا لم يكن هناك آخرة فستنشأ فكرة مخيفة، ينشأ ظلم شديد، لكن يوجد يوم آخر تسوى فيه الحسابات، الحظوظ وزعت في الدنيا توزيع ابتلاء، وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، قال تعالى:

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾

[سورة الإسراء : ٢١]

توازن بين معلم في قرية وبين أستاذ جامعة، توازن بين جندي وبين رئيس أركان، توازن بين ممرض وطبيب، كيف أن الدنيا مفعمة بالدرجات المتفاوتة، قال تعالى:

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

مرتبة الدنيا مؤقتة ولا تعني شيئاً، قد تعني العكس، إن الله أعطى الملك لمن لا يحب، أعطاه لفرعون، وأعطى المال لمن لا يحب، أعطاه لقارون، ولكن الجنة لا يعطيها إلا لمن يحب، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

الناس رجلان لا ثالث لهما :

الآن الإنسان إذا كان عطاؤه من نوع عطاء قارون وفرعون ليس هذا مدعاة إلى الفخر، وليس هذا وسام شرف، أما إذا كان عطاؤه كما قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة القصص :١٤]

ابحث عن نصيبك من الله، من نوع نصيب الأنبياء أم من نوع نصيب الأقوياء؟ أنت في سعادة إذا كان نصيبك من نوع نصيب الأنبياء، أما إذا كان نصيبك من الله من نوع نصيب الأقوياء والأغنياء فهذا ليس وسام شرف، لأن الحقيقة الناس رجلان، وأنت ترى الناس على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم وأعراقهم وانتماءاتهم في النهاية رجلان:

إنسان عرف الله، واتصل به، فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، وسعد بقربه، الثاني غفل عن الله، انقطع عنه، تفلت من منهجه، أساء إلى خلقه، شقي في الدنيا والآخرة، ولن تجد إنساناً ثالثاً، هذه حقيقة ثابتة قال عليه الصلاة والسلام:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ قَالَ اللَّهُ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾))

[الترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ]

ولن تجد تقسيماً ثالثاً، يوجد مليون تقسيم، العبرة أن تكون مع الله، قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة المؤمنون : ١١٥]

العبادة معرفة و سلوك و جمال :

الجزء الثاني هو الالتزام، في العبادة يوجد معرفة، وسلوك، وجمال، الجانب المعرفي لابد من أن تعرف الله، طلب العلم فريضة على كل مسلم، بالمناسبة كلكم يعلم أيها الأخوة أن الإنسان إذا أدى زكاة ماله حفظ الله له بقية ماله أليس كذلك؟ حصنوا أموالكم بالزكاة، وإذا صلى أدى العبادة أي اقتطع من وقته وقتاً لعبادة الله، لطلب العلم، مجيئكم إلى هذا المسجد هذا جزء من أوقاتكم والوقت ثمين، والوقت أصل في كسب المال، أصل في الراحة والاسترخاء والاستجمام، فحينما تقتطع من وقتك وقتاً لطلب العلم، ومعرفة الله، ومعرفة أساسيات الحياة، أنت أديت زكاة وقتك، كما أن الذي يؤدي زكاة ماله يحفظ الله له بقية ماله، الذي يؤدي زكاة وقته لأداء العبادات، وحضور الجمع والجماعات ومجالس العلم، يحفظ الله له بقية وقته من التلف، والله عز وجل قادر أن يتلف لك ساعات طويلة لأسباب تافهة.

الشيء الثاني الله عز وجل يبارك لك في وقتك، بمعنى أنه يمكنك من أن تفعل الشيء الكبير في الوقت القصير.

الجانب الثالث من العبادة هي الناحية الجمالية، لا تصدق أنه يوجد إنسان مؤمن لا يمتلئ قلبه سعادة، والله عز وجل هو أصل الجمال، أعطى بعض مخلوقاته شيئاً من الجمال، أعطى بعض الأماكن جمالاً طبيعياً، أعطى بعض الأشخاص جمالاً طبيعياً، أعطى الفواكه طعماً طيباً، وكل شيء تحبه هو مسحة من جمال الله عز وجل، إنك إن اتصلت مع الفرع شعرت بما يسمى لذة، فكيف إذا اتصلت بالأصل.

فلو شاهدت عيناك من حسننـــا   الذي رأوه لما وليـــت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا   خلعت عنك ثياب العجب وجئتنـــا
ولو ذقت من طعم المحبـــة ذرة   عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـــا
ولو نسمت من قربنا لك نسمـة   لمـت غريباً واشتيـــاقاً لقربنـــا
فما حبنا سهل وكل من ادعـــى   سهولته قلنا له قـد جهلتنـــــا
فأيسر ما في الحب للصب قتله   وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنـا

* * *

يروى أن شاباً له شيخ فقال له: يا بني إن لكل سيئة عقاباً، هذا الشاب زلت قدمه وقع في مخالفة، ووقع في الحجاب عن الله عز وجل وهو ينتظر أن يعاقبه الله، انتظر يوماً يومين ثلاثة، صحته سليمة، وأولاده، وكل شيء، وبساعة مناجاة قال: يارب لقد عصيتك ولم تعاقبني، فوقع في قلبه أن ياعبدي لقد عاقبتك ولم تدر ألم أحرمك لذة مناجاتي؟

من ذاق طعم القرب من الله زهد فيما سواه :

أخواننا الكرام ذاقوا كل شيء، إنسان ذاق المال، ذاق الزواج، الاستقرار، المركبة، لكن الإنسان لو ذاق طعم القرب من الله عز وجل لزهد فيما سواه، الإنسان يحب الأرقى، يحب الأدوم، خط الإنسان المسلم البياني صاعد صعوداً منتظماً وثابتاً، حتى الموت نقطة على هذا الخط، لكن خط الكافر البياني صاعد صعوداً حاداً ومعه سقوط مريع، فشتان بين خط بياني صاعد صعوداً منتظماً إلى ما شاء الله حتى لو مات الإنسان و بين خط صاعد صعوداً حاداً ومعه سقوط مريع، لأن الله عز وجل قال:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[سورة آل عمران :١٨٥]

النفس تذوق الموت ولا تموت هي خالدة.

سعي ضعيف العقل لسنوات محدودة :

موضوع الأبد كثير من الناس يتجاهلونه، مرة كنت في مسجد في دمشق في جامع العثمان، أمامي كتاب قدرت طوله بخمسة وعشرين سنتمتراً، قلت لهم: لو أن واحداً في طرف الكتاب وكل ميلمتر صفر، ما هذا الرقم؟ أمامي مدخل المسجد، قلت لهم: لو أن الواحد عندي والأصفار لمدخل المسجد كم هذا الرقم؟ ثم خطر في بالي لو الأصفار لساحة شمدين كم هذا الرقم؟ لحمص، لحماة، لحلب، لموسكو، للقطب، عدنا في الطرف الآخر القطب الجنوبي، إلى دمشق، أي واحد وأربعون ألف كيلو متر أصفاراً أمامه كم هذا الرقم؟ واحد في الأرض وأصفار للشمس، مئة وستة وخمسون مليون كيلومتر، وكل ميلمتر صفر كم هذا الرقم؟ هذا الرقم إذا وضع صورة والمخرج لا نهاية قيمته صفر، الأبد هو اللانهاية، فالإنسان كم هو ضعيف العقل حينما يسعى لمحدود، لحياة، ولسنوات عديدة.



الحسن البصري سئل ما الإنسان؟ قال: هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

إذا كانت أرضنا تبعد عن أقرب نجم ملتهب غير المجموعة الشمسية، طبعاً القمر ثانية ضوئية، والمجموعة الشمسية بأكملها ثلاث عشرة ساعة ضوئية، الشمس ثماني دقائق ضوئية، أقرب نجم ملتهب للمجموعة الشمسية بعده عنا أربع سنوات ضوئية، كلكم يعلم أن الضوء يسير ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية، في الدقيقة ضرب ستين، في الساعة ضرب ستين، في اليوم ضرب أربع وعشرين، في السنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، بأربع سنوات ضرب أربع، هذا الرقم الكبير نقسمه على مئة...كم تتصورون أقرب نجم ملتهب حتى نصل إليه بمركبة أرضية؟ خمسون مليون عام بالسيارة، قبل سنة ونصف، CNN أذاعت خبراً أنه يوجد مركبة وضعوا عليها مرصداً عملاقاً رصدت أبعد مجرة حتى الآن، ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية، إذاً أربع سنوات ضوئية تحتاج إلى خمسين مليون عام، فثلاثمئة بليون سنة ضوئية... ماذا قال الله عز وجل:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

[سورة الواقعة : ٧٥]

هذا الإله يعصى؟ هذا الإله ألا يطلب وده؟ هذا الإله هل يتفلت من أمره؟ هذا الإله ينسى؟ قال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾

[سورة الإسراء : ٤٤]

من تطابقت حركته مع هدفه سلم و سعد في الدنيا و الآخرة :

المعرفة اليقينية مع الطاعة الطوعية إلى سعادة أبدية، إن لم تقل والله ليس في الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني يكون هناك ضعف في الإيمان، أنت اتصلت مع الإله العظيم وتشقى؟ إنسان عرف خالقه، وعرف منهج خالقه، وأطاع الله في كل شيء، نحن في الدنيا إذا إنسان انتمى إلى جماعة قوية له مليون ميزة، أنت تنتمي إلى الله، تنتمي إلى خالق الأكوان، تنتمي إلى خالق الأرض والسموات، القضية قضية مصير أبدي، نلخص هذه الكلمة القصيرة أن الإنسان إذا عرف سرّ وجوده وغاية وجوده صح عمله، الآن إذا انطبقت حركته مع هدفه سعد، مثلاً:

إنسان عليه فحص وهو في السنة الأخيرة سنة التخرج، وهي سنة أساسية يبنى على نجاحه مستقبل كبير، وظيفة عالية، ودخل كبير، أصدقاؤه أخذوه قبل الامتحان إلى مكان جميل، أجمل مكان، وأجمل منظر، وأجمل طعام، لماذا يشعر بانقباض شديد؟ لأن هذا الوقت ليس وقت نزهة، بل وقت دراسة، فإذا جاءت

حركتك اليومية خلاف هدفك تنقبض، لو أن هذا الطالب جلس في غرفة مظلمة وقرأ الكتاب المقرر وفهمه يشعر براحة، عندنا سرّ الآن، ما هي السعادة؟ أن تأتي الحركة متوافقة مع الهدف.

محل تجاري إذا لم يكن هناك بيع وشراء، يوجد راحة، وسرور، وقهوة، وشاي، ولكن لا يوجد بيع يشعر صاحبه بالضيق، أما لو كان البيع شديداً فمهما كان متعباً يوجد سعادة.

فأنت أولاً لن تصح حركتك إلا إذا عرفت سرّ وجودك، ولن تسعد إلا إذا جاءت هذه الحركة متوافقة مع هدفك، وأنت في الأرض من أجل أن تعرف الله، وأن تطيعه، وأن تسعد بقربه، وإذا كنت تعتقد أنه يمكن لإنسان أن يسعد بعيداً عن الله فهذا أكبر خطأ يرتكبه الإنسان في عقيدته، لأنه قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[سورة طه:١٢٤]

الإيمان النظري هو مشكلة المسلمين الأولى :

بقي علينا أن نعرف أن الله سبحانه وتعالى لو عرفته معرفة نظرية ولم تتحرك نحوه ما فعلت شيئاً، الآن الشمس ساطعة فرضاً، أنا أقول لك: الشمس ساطعة، ما فعلت شيئاً، ولو أنكرت سطوعها لاتهمت في عقلي.



الإيمان المجرد النظري هو مشكلة المسلمين، ثقافته إسلامية جيدة، وعواطفه إسلامية، ومشاعره إسلامية، ولكن لا يوجد حركة، حركة نحو الله، بذل، عطاء، انضباط، مشاعر إسلامية، فصار الإسلام فولكلوراً، طقوساً، عادات، مشاعر، لكن لا يوجد انضباط، بالانضباط تقطف ثمار الدين، ممكن لأي علم أن ينتفع الناس به ولا يعنيهم سلوكك، أما إذا كنت داعية إلى الله عز وجل لا يمكن أن تقبل إلا إذا كان السلوك موافقاً للعقيدة، فيا أيها الأخوة الكرام العبرة أن نكتشف سرّ وجودنا، وغاية وجودنا، والعبرة أن نحقق وجودنا الإنساني بمعرفة الله عز وجل، ومن دون معرفة الله لنا وجود حيواني ولكنه راق، إنسان يسكن أفخر بيت، ويأكل ويلبس أجمل الثياب، هذا وجود حيواني لكنه راق، والدليل ماذا قال الله عز وجل:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة الأعراف :١٧٦]

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الجمعة :٥]

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

[سورة الأعراف :١٧٩]

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾

[سورة المدثر :٥٠]

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

[سورة المنافقون :٤]

الكافر وصف أنه كالحمار، وكالكلب، وكالحمر، وكالخشب المسندة، هذا الوجود الحيواني، أما حينما أطلب العلم، وأسعى إليه، ألتزم هذا الوجود الإنساني، أرجو الله تعالى أن ينفعنا بهذه المحاضرة، وأنا مستعد لأجيب عن أي سؤال.

أسئلة و أجوبة :

واجب كل مسلم من حيث الدعوة :

س: ما هو واجب كل مسلم من حيث الدعوة؟

ج: أنا أعدّ هذا السؤال من أخطر الأسئلة، أولاً: هل تصدقون أن الدعوة إلى الله فرض عين، لماذا تصلي؟ لأن الصلاة فرض عين، والدعوة إلى الله فرض عين، والدليل قال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

أية خسارة والعصر مطلق الزمن، والإنسان أي إنسان في أي عصر ومصر الزمن يستهلكه، أنت بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة، الدعوة إلى الله فرض عين لأن الله يقول:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

يوجد أربعة أركان للنجاة، ربع هذه الأركان التواصي بالحق، بالتواصي بالحق تنمو دوائر الحق، وإذا لم نفعل ذلك نمت دوائر الباطل وأنهت الحق، فقضية نكون أو لا نكون، قضية وجود، فأنت إذا لم تتواص بالحق ضاقت دوائر الحق وغلبتها دوائر الباطل، العبرة ألا ينفرد الباطل بالساحة، لو كان المسجد صغيراً ويوجد فيه حق، والحق ينمو وينمو، بنموه يحافظ على وجوده، الدعوة إلى الله فرض عين، لكن في حدود ما تعلم ومع من تعرف، في حدود ما تعلم سمعت شرح آية تأثرت تأثراً بالغاً به، سمعت حديثاً صحيحاً، سمعت حكماً فقهياً، سمعت موقفاً بطولياً لصحابي جليل، هذه سمعتها، وتفاعلت معها، وتأثرت بها، عليك أن تبلغها للناس، عليك بخاصة أهلك، أقرباؤك، جيرانك، أصدقاؤك، أصحابك، هؤلاء فقط، فالدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف، أما فرض الكفاية فقد قال تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة آل عمران :١٠٤]

هذا فرض الكفاية التبحر، معرفة أدق التفاصيل، معرفة الأدلة التفصيلية، الرد على كل الشبهات، هذه يتقنها الخبراء في الدعوة، الاختصاصيون في الدعوة، هذه فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، أما كل مسلم فمكلف أن يكون داعية إلى الله في حدود ما يعلم ومع من يعرف، دليل ثالث قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف : ١٠٨]

دقق الآن إن لم تدع على بصيرة لست متبعاً لرسول الله، ومن لم يتبع رسول الله لا يحب الله، والدليل قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة آل عمران : ٣١]

كلام خطير؛ إن كنت تحب الله يجب أن تتبع رسول الله، النبي يأمرك، فالدعوة إلى الله فرض عين، من لوازم الدعوة إلى الله أن تدعو نفسك أولاً أن تطلب العلم، طلب العلم فرض عين، ثم نقل العلم فرض عين، يقول عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

[البخاري والترمذي عن ابن عمرو]

والآن لا يوجد طريق إلا أن تطلب العلم بلقاءاتك اليومية، لا يوجد أحد من الحاضرين وأنا معكم إلا وله لقاءات في أسرته، مع أصدقائه، ومع جيرانه، في سفره... في كل لقاء احرص أن تنقل الحق الذي سمعته من رجل موثوق إلى الآخرين، فالدعوة واجب على كل مسلم، وهي فرض عين على كل مسلم، لكن لم نكلفك فوق طاقتك، لو حضرت خطبة الجمعة فقط وأخذت منها شيئاً ثميناً وسجلته .



يوجد أسبوع كلما التقيت مع صديق في سفر، في لقاء، في حفلة، انقل هذه الآية للآخرين، هذا في مجال عامة المسلمين، أما الدعوة إلى الله التي هي فرض كفاية فتحتاج إلى وقت كثير، وإلى متابعة، وإلى تعمق وتبحر، وأنت كمسلم يكفيك أن تنتقي خطيباً تثق بعلمه وإخلاصه وورعه، وأن تأخذ منه بعض الحق، وأن تنقله للناس، في أي لقاء، وأي مجلس لم يذكر الله فيه قام أصحابه عن أنتن من جيفة حمار، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً))

[أبو داود عن أبي هريرة]

الدنيا تفرق أيها الأخوة والله يجمع، أما ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

و عود نفسك في أي لقاء أن تقول آية، حديثاً، حكماً فقهياً، والناس يستأنسون تَسعد وتُسعد.

الإسلام بالتعامل لا بالمساجد :

س: هل على الإنسان أن يقضي أيامه بالعبادة؟

ج: من قال لك إن العبادة صلاة فقط، عملك المهني، حرفتك اليومية؛ طبيب، مهندس، مدرّس، تاجر، صاحب خدمة عامة، عملك اليومي إذا كان في الأصل مشروعاً، وسلكت به الطرق المشروعة، وأردت منه كفاية نفسك وخدمة المسلمين، ولم يشغلك عن طلب علم ولا عن أداء واجب، هذا العمل اليومي ينقلب إلى عبادة، مفهوم العبادة عند الناس صوم وصلاة، هذه عبادة شعائرية، والعبادات التعاملية حرفتك عبادة لله، وأنت في أسرة، والمجتمع الإسلامي أسرة، وأنت أحد أفراد الأسرة تكسب قوت يومك، فالعبادة متنوعة، إكرام الضيف عبادة، إدخال الفرح على الأهل عبادة، إتقان عملك عبادة، تربية الأولاد عبادة، والدين عبادة شعائرية، اسمحوا لي بمثل بسيط:

العبادة التعاملية كالعام الدراسي تسعة أشهر، والشعائرية ثلاث ساعات الفحص، تصور طالباً لم يقرأ ولا كلمة، ولا حضر أي درس، وذهب إلى الامتحان، معه ستة أقلام، و معه سندويش، ومعه أسبرين، ولم يقرأ شيئاً، ليس لها معنى هذه الثلاث ساعات، فإذا الإنسان لم يكن مستقيماً، ولم يكن ملتزماً بالعبادة التعاملية، العبادة الشعائرية لا معنى لها إطلاقاً، من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً، هذه أخطر شيء في الدين، إذا الدين اعتبرته صلاة وصوماً، جعلته طقوساً، سيدنا جعفر صحابي جليل لما سأله النجاشي عن الإسلام قال له:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده، ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

هذا الإسلام، الإسلام قيم أخلاقية، لهذا قال النبي الكريم:

((بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))

[البخاري وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر]



دققوا في هذا الكلام بني الإسلام على خمس، الإسلام شيء آخر، الإسلام بناء أخلاقي دعائمه هذه العبادات، فهذه العبادات لا معنى لها إطلاقاً من دون عبادة تعاملية، الشعائرية هي ثلاث ساعات الامتحان ضعوها في أذهانكم، والتعاملية تسعة أشهر العام الدراسي، فإذا الإنسان لم يدرس ولم يطالع ويلخص الدروس ويذاكر، الامتحان ليس له معنى إطلاقاً، هذا معنى قول بعض العارفين بالله: ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام.

سيدنا ابن عباس كان معتكفاً رأى رجلاً حزيناً فقال له: مالي أراك حزيناً؟ قال له: ديون ركبتني، قال له: لمن؟ قال: لفلان، قال له: أتحب أن أكلمه لك؟ فقال: إذا شئت، فخرج، فقال له رجل: يا بن عباس أنسيت أنك معتكف؟ قال: لا والله، ولكن سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب، ودمعت عيناه:" والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في هذا المسجد."

نحن نريد عبادة تعاملية، والصحابة فتحوا العالم بالتعامل وليس بالشعائر، الشعائر نتيجة، الشعائر وقت لقبض الثمن، عند الشركات الضخمة مندوبو مبيعات يأتي الساعة الثامنة والنصف ويتلقى التعليمات، و يأتي مساءً ويقدم تقريراً، أين كان أثناء النهار؟ يدور في المحلات، فالمسلم في المسجد يتلقى التعليمات ويصلي ويتلقى الجائزة، وإسلامه في عيادته، وفي مكتبه، والإسلام ليس في المساجد، بل في التعامل.

الزكاة للمسلمين و الصدقة للمسلمين و غيرهم :

س: هل التبرع إلى المستشفيات التابعة لإذاعات الديانة المسيحية غير مستحب علماً أن التبرع نظرياً يعود إلى المستشفى؟

ج: طبعاً من الصدقة لا يوجد مانع، قال تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾

[سورة الإنسان : ٨]

والأسير ليس مسلماً، من الصدقات لا يوجد مانع، أما الزكاة فيجب أن تكون للمسلمين حصراً، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم حصراً يمكن أن تساعد أي إنسان، بالعكس إذا إنسان غير مسلم ساعدته ومال إليك هذا عمل عظيم جداً، الحقيقة يوجد آية ذكرتها اليوم لأحد أخواننا الكرام قال تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[سورة الممتحنة :٥]

الآية دقيقة جداً، إذا الكافر رأى المسلم يكذب، يحتال، يعتد بكفره ويحتقر إسلامه، أنت لن تكون مسلماً حقاً إلا إذا كنت كاملاً، الكافر إذا رأى المسلم مقصراً في عمله، وكان هناك خلاف في مواعيده، وتقصير في عمله، وتدليس، وكذب، يحتقر إسلامه ويعتد بكفره، أنت فتنت الكافر، ورأى كفره أحسن من إسلامه، أما إذا وجد المسلم عظيماً، ومستقيماً، وصادقاً، وأميناً، ومتقناً لعمله، ومتفوقاً، يخضع، وعندما تقصر أمام الكافر يتشبث بكفره، ويرفض أن يكون مثلك مسلماً، كل إنسان يعامل الكافر معاملة سيئة هو يفعل شيئاً خطيراً، قال له: أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك، كل واحد منكم سفير للمسلمين، والله أيها الأخوة لو كان كل المسلمين في بلاد الغرب مطبقين تماماً لكان الوضع غير الوضع الحالي، يجدون إنساناً مقصراً غير متقن، يعتدون بإتقانهم ، وبضبط مواعيدهم، وإتقان صنعتهم، كل إنسان يقصر يقنع الكافر أنه على حق، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[سورة الممتحنة : ٥]

إذا كان العمل إنسانياً من الصدقة فلا يوجد مانع.

نصيحة للمسلمين ليزداد تعلقهم بربهم جلّ جلاله :

س: في غمرة الحياة المادية المعاصرة هنا في بلاد الغرب، ماذا تنصحون المسلمين لكي يزداد تعلقهم بربهم جلّ جلاله؟

ج: الإنسان إذا لم يتوازن تأخذه الدنيا وينتهي، الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، والنفس طماعة عودها القناعة، أنا سوف أضرب مثلاً بسيطاً من دمشق، هذا المثل يوجد عندنا قديماً باص للمهاجرين يقف في المرجة تماماً، في أيام الصيف الحارة، أنا إذا صعدت إلى هذا الباص يوجد شمس، ويوجد ظل، على اليمين شمس وعلى اليسار ظل، أنا أجلس في الشمس، الباص يقف في جهة الغرب، وسوف يدور حول ساحة المرجة خلال

دقيقة واحدة وسوف تعكس الآية، هذا مثل بسيط جداً، وأكثر الركاب يجلسون في الظل ويتهموني بعقلي، وبعد دقيقة واحدة تنعكس الآية وأتمتع بالظل إلى آخر الخط.

هذه القصة في الآخرة والدنيا، فكل إنسان أعطى نفسه هواها في الدنيا لم يكن ذكياً، وكل إنسان عرف ربه، وضبط المنهج خلال عدد من السنوات نال الدنيا و الآخرة، أما الأبد فمخيف، فكل إنسان يقنع بسنوات معدودة ويضحي بالأبد يتهم في عقله، لابد من تنظيم الوقت، إن لله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، وإن لله عملاً في النهار لا يقبله في الليل، ممكن أي شيء يأخذك ويلهيك قال تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾

[سورة الفرقان :٦٣]

ما معنى هوناً؟ النبي كان يسرع، كان إذا مشى كأنه ينحط من صبب، وتقول السيدة عائشة:" رحم الله عمراً ما رأيت أزهد منه، كان إذا مشى أسرع، وإذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وإذا قال أسمع".



ما معنى يمشون على الأرض هوناً؟ أي لا يسمحون للدنيا أن تأخذهم، لا يسمحون لمشكلة أن تسحقهم، لا يسمحون لمشكلات الأسرة أن تنهي وجودهم، يوجد إنسان مغمور بالهموم، المؤمن له وقت، مع الله لابد من هذا الوقت، وقت للتأمل، وقت لذكر الله، وقت للعبادة، لابد من التوازن، ومن السهل جداً أن تنغمس في شيء وتنصرف كلياً وتهمل كل شيء كلياً، الأخ الكريم صاحب هذه الورقة، في غمرة الحياة المادية المعاصرة... ماذا تنصحون المسلمين؟ أن تنظموا الوقت بحيث أن لله وقتاً لا يعتدى عليه أبداً، وقلت قبل قليل: هناك زكاة للوقت، ومن أدى زكاة الوقت حفظ الله له بقية وقته، الوقت الباقي شهد الله هم في مساجدهم والله في حوائجهم، الله عز وجل قادر في أي لحظة أن يتلف لك مئة ساعة، أحياناً ابنه يسخن إلتهاب سحايا، تصوير، وتصوير طبقي محوري، وتحليل، وأموال، وبعد هذا يشفى، كذا مئة ألف وكذا مئة ساعة حتى شفي، الله قادر أن يتلف لك مئات الساعات ولأتفه الأسباب، فمن أدى عبادة الله عز وجل وطلب العلم فقد أدى زكاة وقته، وأنصح الأخ الكريم السائل – وهو غيور على دينه – أن يوازن بين الدين والدنيا، أما الدنيا المشروعة فهي جزء من الدين، ونحن لا يوجد عندنا ازدواجية، بصراحة إذا أدخلت على أولادك السرور فأنت في عبادة، إذا أحسنت إلى زوجتك فأنت في عبادة، إذا أتقنت عملك فأنت في عبادة، والضابط لذلك ألا تشغلك الدنيا عن ذكر الله، قال تعالى:

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

[سورة النور : ٣٧]

كيفية شحن المسلم إيمانه و تقوية عقيدته في بلاد الغرب :

س: كيف نعمل على شحن إيماننا وتقوية عقيدتنا وصلتنا بالله في هذا البلد؟

ج: أنا مرة جاءتني هدية، مصباح يشحن بالكهرباء، عندما أنسى أن أشحنه يخف ضوءه، وعندما أشحنه يتألق، وكل واحد منا يحتاج إلى شحن وأنا معكم عندما نشحن نتألق، إذا أحدكم أهمل لقاء، أهمل درساً، أهمل خطبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))

[الدارمي عَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ]

يجب ألا تقصر بشحن نفسك، عندك شحن يومي الصلوات الخمس، عندك شحن أسبوعي، والشحن اليومي يكفي للصلاة الثانية، من الصبح إلى الظهر، ومن الظهر إلى العصر، والأسبوعي يحتاج إلى جمعة، ويكفي أسبوعاً، والشحن السنوي رمضان لبقية العام، والشحن في العمر مرة الحج، فكل عبادة لها مستوى عبادة يتناسب مع الفترة بين العبادتين.

الردّ على ضعاف النفوس بأن العدالة الإلهية افتراضية :

س: كيف يكون الرد على ضعاف النفوس، الذين يقولون: إن العدالة الإلهية افتراضية وغير مثبتة وخاصة عند وجود عذاب بعض الشعوب مثل الشعب العراقي؟

ج: الحقيقة أن الله عز وجل له طرائق في معرفته، أسلم طريق أن تعرفه من خلقه، الشمس، والقمر، والنجوم، وخلق الإنسان، والطعام والشراب، قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾

[سورة الطارق: ٥]

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

[سورة عبس : ٢٤]

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس :١٠١]

طريق معرفة الله من خلال خلقه طريق آمن، أما من خلال أفعاله فلا تستطيع أن ترى العدل في أفعاله إلا في حالة واحدة أن يكون لك علم كعلمه وهذا مستحيل، لذلك معرفة الله من خلال أفعاله طريق فيه ألغام كثيرة جداً، وفهمنا قاصر.

أنا أذكر قصة ذكرها أحد الأشخاص أن رجلاً له محل تجاري في أحد الأسواق نزل إلى السوق ليفتح محله التجاري، سمع شجاراً بين شخصين، ومن ثم إطلاق نار، فمدّ رأسه فجاءت رصاصة في عموده الفقري فأصبح مشلولاً، استوقفني رجل في الطريق وقال لي: أين عدل الله؟ ماذا فعل هذا؟ جاء ليكسب رزق أولاده وليس له علاقة بالموضوع، وهذه القصة منذ اثني عشر سنة وهي قديمة، فقلت له: أنا لا أعلم التفاصيل، وأنا أعرف أن الله عادل، والله أيها الأخوة بعد عشرين يوماً عندي تلميذ قال لي: أنا أسكن في حي الميدان، ويوجد لنا جار أكل مال أولاد أخيه وهم أيتام، واحتكموا إلى الشيخ حسين خطاب – رحمه الله– فقال لهم: يا بني هذا عمكم لا تشكوه للقضاء واشكوه إلى الله، قال لي: في اليوم التالي عنده محل في سوق مدحت باشا سمع إطلاق رصاص فمدّ رأسه فشلّ هو نفسه.

أنت ممكن أن تسمع ألف قصة وتسمع آخر فصل فيها، أنت غير مؤهل لتعطي فيها حكماً، أما إن عرفتها من أول فصل فسترى عدلاً ما بعده عدل، عدل مطلق، الله عز وجل قال:

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾

[سورة النساء : ٤٩]

كل تمرة بين فلقتي النواة خيط هو الفتيل، أمسك النواة وضعها على طرف لسانك لها نتوء مؤنف هو النقير، قال تعالى:

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾

[سورة النساء :١٢٤]

القطمير غشاء رقيق، لا قطمير و لا فتيل و لا نقير و لا ظلم اليوم، قال تعالى:

﴿فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة العنكبوت :٤٠]

الله نفى عنه الظلم بمئة آية ألا تكفي هذه؟ إذا لم تكف هذه الآيات أنت لست مؤمناً بالله، أما أن تعرفه بأفعاله فهذا شيء فوق طاقة البشر، والله عز وجل مطلق وأنت حادث، طفل رأى طفلاً يضرب من قبل أبيه، يقول: هذا ظالم، أما الكبير فيقول: هذا أب يربي ابنه، أنت لا تعرف الله من خلال أفعاله، الكون سهل جداً، والطريق إلى الله عن طريق أفعاله، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

[سورة القصص :٤-٥]

هذا شيء فوق مستوى البشر، أفعال الله عز وجل تحتاج إلى التسليم، لكن كل إنسان سلم إلى الله في أفعاله يكرمه الله بكشف حكمة هذا الشيء، أنت إذا أمرك الله بشيء وإن لم تفهم حكمته فالله عز وجل يكشف لك عن حكمته.

يوجد ظلم ظاهري، ولكن بصراحة الشر المطلق ليس له وجود في الكون، والشر المطلق يتناقض مع وجود الله، وأنت مخير بين شيئين؛ إما أن تؤمن بوجود الله، أو بالشر المطلق، وشر مطلق لا يوجد ولكن يوجد شر نسبي، فتح البطن واستئصال الزائدة شر، ولكن هذا شر نسبي لابد منه، أما فتح بطن بلا سبب فهذا شيء مطلق، كل أفعال الله شر نسبي بالنسبة لنا، أما عند الله فخير مطلق، والدليل قال تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة آل عمران :٢]

دور الإنسان المسلم تجاه الأخ المسلم الذي يحتال ويختلس :

س: ما دور الإنسان المسلم تجاه الأخ المسلم الذي يحتال ويختلس؟

ج: دور النصح، أنت طبيب إذا جاءك مريض معه مرض جلدي مزعج هل تحقد عليه؟ لا، ترثى لحاله، إذا لك أخ انحرف تنصحه، لا تتخلى عنه، سيدنا عمر له صديق شرب


المسلم يأخذ دور الناصح ولا يتخلى عن أخيه المخطئ

الخمر وانحرف انحرافاً شديداً، أرسل له كتاباً: أما بعد فأحمد الله إليك، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، بكى وبكى حتى تاب، وقال: هكذا اصنعوا مع أخيكم إذا ضلّ، لا تكونوا عوناً للشيطان عليه، وكونوا عوناً له على الشيطان، فإذا أخ اختلس ننصحه ولا نتخلى عنه، لا أدعه مع الشيطان بل أجعله معي، أغفر له، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الشورى : ٤٠]

إذا غلب على يقينك أن عفوك يصلحه يجب أن تعفو عنه حتى نتقوى، وكل إنسان له ساعة ضعف.

صلاة الجمعة لا تسقط بأي حال من الأحوال :

س: هل تسقط صلاة الجمعة في هذا البلد ما دام المقيمون فيه غير مسلمين؟

ج: لا أنتم مسلمون، ثلاثة أشخاص تنعقد بهم صلاة الجمعة، وأنتم شكلتم مجتمعاً مسلماً، والأرض أرض الله، والبلاد بلاد الله، ونحن إذا كنا مئتين فهذه نعمة كثيرة جداً، ثلاثمئة، ألف.اً

بالمناسبة يا أخوان الإسلام خمسة أركان، الشهادة تؤدى مرة واحدة، والصوم يسقط عن المريض وعن المسافر، والزكاة تسقط عن الفقير، والحج عن المريض والفقير، أما الفرض الذي لا يسقط بحال فهو الصلاة، تؤدى ولو بالإيماء، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قدمت شيئاً مما عليّ في هذا اللقاء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٣-٧) : السعادة و طاعة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

السلامة و السعادة لا يحققهما أي إنسان إلا بطاعة الله :

أيها الأخوة الكرام؛ من الثابت أن لأي إنسان على وجه الأرض مطلبين ثابتين، أي إنسان من أي دين، من أية ملة، من أي عصر، من أي مصر، من أي عرق, عنده مطلبان ثابتان, السلامة والسعادة, السلامة سلبية، السعادة إيجابية, أن ينجو من مصائب الدنيا، وأن يسعد فيها, فإذا آمن باليوم الآخر سعد يوم القيامة. من الثابت أن الإنسان لا يستحق رحمة الله التي منها السلامة والسعادة إلا بطاعته:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[سورة الحجرات : ١٣]

وأن هذه الطاعة لا تكون إلا بمعرفته، وأن معرفة الله شيء ومعرفة أمره شيء آخر، أمر الله معروف عند كل الناس، ولكن معظمهم لا يطبقونه, فإذا كان الأمر بين يدي الناس من منَ الناس لا يعرف أن الزنا حرام؟ وأن السرقة حرام؟ وأن اغتصاب أموال الناس بالباطل حرام؟ وأن الغيبة حرام؟ هذه أشياء بديهيات عند الناس ومع ذلك يقعون فيها حتى قمة رؤوسهم, أين الخلل؟ الأمر معروف ولو على مستوى العالم الإسلامي, ضمن العالم الإسلامي الزنا حرام, وإن كان الزنا حرام بالفطرة.

الحقيقة أيها الأخوة أن الإنسان وإن طلب السلامة والسعادة لا يستطيع أن يحققها إلا بطاعة الله, لأن طاعة الله في الحقيقة تعليمات الصانع, أنت آلة تعليمات الصانع أجدر أن تطاع، وأنت لن تستطيع أن تطبق تعليمات الصانع إلا إذا عرفته, كيف تعرفه؟ ثلث القرآن الكريم تقريباً يتحدث عن آيات كونية, لن تعرفه إلا من خلال آياته, المعرفة الحسية مستحيل:

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

[سورة الأنعام: ١٠٣]

بقيت المعرفة العقلية.

التفكر في خلق السموات والأرض أعلى عبادة على الإطلاق :



في الجنة إذا الله عز وجل أكرم الإنسان المؤمن بالجنة يرى ربه رأي العين كما يرى القمر ليلة البدر, حديثنا في الدنيا, معرفة الله بالحواس مستحيلة, ما بقي من معرفة الله إلا عن طريق العقل، ووسائل العقل الآيات، فما حكمة الله عز وجل حينما يقول:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾

[سورة الروم: ٢٠]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾

[سورة الروم: ٢١]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم: ٢٢]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾

[سورة الروم: ٢٣]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا ﴾

[سورة الروم: ٢٤]

العلماء قالوا: إن أعلى عبادة على الإطلاق التفكر في خلق السموات والأرض, لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾

[سورة الزمر: ٦٧]

وفي سورة القدر:

﴿ لَيلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

[سورة القدر: ٣]

أي أن تعبد الله ثمانين عاماً عبادة جوفاء لا تستطيع أن تلحق بواحد فكر في آيات الله، وقدره حق قدره، وأطاعه، وأحبه, إذاً وأنت تقرأ القرآن الكريم إذا وقفت على آية من آيات الأكوان ماذا عليك أن تعمل؟ عليك أن تفكر , والآيات بين أيدينا, ترى بعينك كيف أن الدجاجة تأكل كل شيء, تنتج بيضاً يعد غذاءً كاملاً، أربعة عشر فيتاميناً, معادن، بروتين، مواد دهنية, حموض أمينية, شيء لا يصدق, البقرة تأكل الحشيش أمامك من

دون تعقيدات, طبعاً بالتعقيدات يوجد أمور دقيقة جداً, الغدة الثديية في البقرة يجري فوقها شبكة أوعية دقيقة جداً، وهذه الخلية الثديية تأخذ من الدم مكونات الحليب، الله عز وجل ذكر هذا:

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾

[سورة النحل: ٦٦]

الدم معروف كريات حمراء, بيضاء, مواد معينة, معادن, أشياء أخرى، ويوجد حمض البول مخلفات الاستقلاب, هذه الخلية وكأنها عاقلة تأخذ

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾

مكونات الحليب، وقد قال العلماء حتى هذه الساعة لا أحد يدري كيف تعمل هذه الخلية, كيف تنتقي من الدم ما يناسبها, الفرث هنا المخلفات السائلة, عندنا مخلفات صلبة, وغازية، وسائلة, فالآية تشير إلى المخلفات السائلة:

﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾

[سورة النحل: ٦٦]

أنت أمام هذه البقرة التي تأكل الحشيش وتعطيك الحليب.

الطفل الصغير كان في الأصل حويناً, ثم صار طفلاً يأكل، ويضحك, ويتكلم، بدماغه يوجد أربعة عشر مليار خلية سمراء هي الخلايا القشرية, في الشبكيَّة مئة وثلاثون مليون عصيَّة ومخروط، في معدته خمسة وثلاثون مليون عصارة هاضمة, أمعاؤه الدقيقة تتجدد كل ثمان وأربعين ساعة, شيء لا يصدق, الكبد يقوم بآلاف الوظائف، وكل خلية في الكبد تقوم بكل هذه الوظائف مجتمعة, الطفل أمامك, البقرة أمامك, النبات أمامك, تجد خمسة غرام من بذر البندورة تزرعها في بيت بلاستيكي تعطي مجموعاً خضرياً بالأطنان, البيت يعطي اثني عشر طناً من البندورة, أساسها خمسة غرام, تصميم من؟ الآيات المحيطة بنا من كل جانب, النبات آية ، خلق الإنسان آية, خلق الحيوان آية, الصوص وهو في البيضة ينمو له نتوء مؤنف على منقاره, يكسر بهذا النتوء قشرة البيضة, فإذا



خرج هذا النتوء ضمر وعاد إلى ما كان عليه, يد من؟ هذه الآيات الكونية من أجل أن تكون عنوانات لموضوعات التفكر, ويجب أن تعتقد أن أرقى عبادة أن تتفكر في خلق السموات والأرض.

جلست إلى المائدة يوجد كأس ماء, في دول النفط كل متر ماء يكلف خمسة عشر ريال تحلية, أنت تأخذ المياه من صنبور من نبع مساحته من دمشق إلى حمص ونصف لبنان فوق هذا النبع, ويمتد قريباً من البادية, هذا الحوض الجنوبي من نبع الفيجة من جعله ماء عذباً صافياً سائغاً للشاربين؟ الله عز وجل, كأس الماء آية، ابنك آية, التفاحة آية, كل شيء حولك آية, فلذلك المطلب الأساسي السلامة والسعادة، ولن تكون إلا بطاعة الله عز وجل، وطاعة الله معناها تطبيق تعليمات الصانع, وطاعة الله لن تكون إلا إذا عرفته، ومعرفته أساسها التفكر بخلق السموات والأرض، قال تعالى:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: ٦]

حاجة الإنسان إلى صديق مؤمن يعينه على طاعة الله :

النقطة الثانية:

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾

[سورة الروم: ٦٠]

أي أهل الدنيا مقياسهم غير سليم, مقياس مادي فقط, إذا التقى بك وأنت رجل مؤمن، مستقيم، وعدك الله بالجنة التي عرضها السموات والأرض, يسألك عن دخلك، فإن رآه قليلاً استخف بك على علمك, فالإنسان إذا التقى مع أهل الدنيا المعرضين يتألم:

((إن كنتِ تريدين الإسراعَ واللُّحوقَ بي فَلْيَكْفِكِ من الدنيا كزاد الرَّاكب, وإِيَّاك ومُجالسةَ الأغنياء , ولا تَسْتَخْلِقي ثَوبا حتى تُرَقِّعيهِ))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

يقول سيدنا عمر: من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط, طبعاً غير المؤمنين:

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾

[سورة الروم: ٦٠]

والآية تكملها آية ثانية:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾

[سورة هود: ٢٨]

مثلاً شخص عنده مكدوس يلزمه قطرميز – وهو مثل مضحك– خيرناه بين قطرميز وبين كأس ثمنه ألف ليرة من الكريستال وبين قطعة ألماس ثمنها مليون ليرة, إذا كان جاهلاً يا أخي أريد القطرميز, اختيارك للقطرميز وهناك ألماسة أمامك معنى هذا أنك جاهل, لو أنه اختار الألماس, خذ القطرميز هذا أكبر, الإنسان الذي يستخف هو الجاهل, المؤمن عندما اختار الله عز وجل كان أعقل إنسان، وأذكى إنسان، لأن أي اختيار آخر ينتهي عند الموت, اختار قصراً, اختار أجمل مركبة, أجمل امرأة, أعلى منصب, أكبر حجم مالي, يأتي الموت يسوي كل شيء, الموت ينهي غنى الغني, ينهي فقر الفقير, ينهي ضعف الضعيف, ينهي وسامة الوسيم, ينهي دمامة الدميم, ينهي ذكاء الذكي, كله على الأرض, أكبر إنسان عندما يموت يدفن في الأرض, فلذلك الاستخفاف, إذا الإنسان استخف به لعل الاستخفاف عقبة بينه وبين الإيمان, لا تعبأ باستخفاف الجهلة, هؤلاء الذين عرفوا الدنيا ولم يعرفوا الله عز وجل, اهتماماتهم أرضية:

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾

[سورة الروم: ٦٠]

والإنسان عندما يعيش مع المؤمنين يتنامى إيمانه, إذا عاش مع أهل الدنيا يتناقص إيمانه, المؤمنون يقدرون فيك الإيمان, الورع, معرفة الله عز وجل, أما أهل الدنيا فلا يقدرون فيك إلا المال والقوة, فالإنسان:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة الكهف الآية: ٢٨]

أنا أقول لأخواننا, إذا أخ اصطلح مع الله عز وجل أول نصيحة وأخطرها: طقم الأصدقاء الجهلة الدنيويين يجب أن تتخلى عنهم, إذا حافظت عليه يسحبونك إليهم, تحتاج إلى أصدقاء جدد, صديق مؤمن يعينك على طاعة الله, يذكرك إذا نسيت, يصوبك إذا انحرفت, ينصحك إذا ضللت, تحتاج إلى مؤمن، لا بد من أن تكون مع المؤمنين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

كونوا معهم, أحد أسباب النجاة أن تكون مع المؤمنين, أن تكون في جماعة الحق، اجلس مع المؤمنين، لك مورد علمي, منهج تنهل منهم, لك أخ تستنصحه, إنسان تثق بعلمه تستفتيه, تثق بإخلاصه تسأله، لا تكن لوحدك:

((وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ))

[أحمد والترمذي عن عمر]

((وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ, فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ, وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ))

[الترمذي عن ابن عمر]

((إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ, يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ, فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ, وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ))

[أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

((يد الله مع الجماعة))

[رواه الحكيم وابن جرير عن ابن عمر]

الفرح يكون بطاعة الله و بفهم كلامه :



الشيء الثاني في هذا اللقاء: الإنسان أحياناً يفرح, المشكلة ما الذي يفرحك؟ حدثني أخ ذهب إلى بلد غربي لينال الدكتوراه, اختار موضوعاً عن الفضاء، والموضوع بالرياضيات، بدأ بالأطروحة معادلات معقدة، أربع سنوات يجب أن يصل إلى الصفر، في تعادل المعادلة ما وصل إلى الصفر، إذا لم يصل إلى الصفر ممكن أن يلغى موضوع أطروحته، يأخذ موضوعاً جديداً أربع سنوات ثانية, بعد الاستعانة بالله وبذل جهد مضاعف وصل إلى النتيجة التي أرادها, طبعاً بهذه العملية فاق أستاذه, قال: دخل على قلبه من الفرح ما لا يقدر بثمن, ما هذا الفرح؟ شخص جمع فكانت النتيجة صفراً، معنى صار أنه حصل على دكتوراه بالرياضيات, وألغى إقامته في أمريكا, وجاء إلى بلده, و تعين بالجامعة, و صار له دخل, إلى آخره.

إنسان يبيع شيئاً فبيع معه ففرح, هذه غير هذه, ليس كل فرح فرحاً, أحياناً إنسان يفرح بطاعة الله, أحياناً يفرح برضوان الله, يفرح بفهم كتاب الله, معنى هذا أنك ستستقيم على أمر الله, تدخل الجنة, النقطة الدقيقة قل لي ما الذي يفرحك؟ أحياناً يبيع بيعة يفرح, يقول لك: انتهينا منها ألبسناها لشخص, هذا الفرح ليس له قيمة, يفرح إذا عزم لمكان, لمطعم يأخذ العقل، أكلت ومشيت، لست تملك المطعم, وليس لك علاقة بدخله ولا بأرباحه, هذا فرح سخيف, قل لي ما الذي يفرحك أقل لك من أنت, الله عز وجل قال:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾

[سورة يونس: ٥٨]

افرح بطاعة الله, بفهم كلام الله, أن لكم بالله صلة, لست ظالماً, لست آكلاً مالاً حراماً, لست معتدياً على امرأة, ليس زانياً ولا شارب خمر, عملك طيب، عملك معطاء, فالإنسان عندما يكون عمله طيباً و لم يقع بالكبائر, الصغائر تحل بالتوبة، الاستغفار من رمضان إلى رمضان, فلذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((والله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد, ومن العقيم الوالد, ومن الضال والواجد " فمن تاب إلــى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه))

[رواه أبو العباس الهمذاني مرسلاً]

الله عز وجل في عليائه يفرح لعبده إذا تاب:

((إذا رجع العبد إلى الله, نادى منادٍ في السموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله))

[ورد في الأثر]

((لَلّهُ أشدُّ فْرَحاً بتوبةِ عبده حين يَتُوبُ إليه من أحدِكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ فَانْفَلَتْتْ منه....))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أيقن بالموت ثم ردّ بعيره فأيقن بالنجاة:

((لَلّهُ أشدُّ فْرَحاً بتوبةِ عبده حين يَتُوبُ إليه من أحدِكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ فَانْفَلَتْتْ منه...))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله :

يقول النبي عليه الصلاة والسلام وهذا حديث خطير جداً:" إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله".

معنى هذا أنك ما وحدت, البارحة قلت: إن الإسلام ما ركز على الإيمان بالخالق, ركز على التوحيد، لأن الإيمان بالخالق ضرورة فطرية, حتى لو سألت عابد الصنم من خلق السموات والأرض؟ يقول: الله, فالعبرة ليست أن تقول أن الله خلق الكون, أن تراه فعالاً، أن ترى أن الأمر كله بيده, إن رأيت الأمر كله بيده أطعته, فالإنسان عندما يسخط الله ليرضي إنساناً, هذا من ضعف توحيده, وأن تحمدهم على رزق الله عز وجل, الله رزقك, يقول: هذا اللحم من فضلك, اتق الله, وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله عز وجل, إن أرضيتهم بسخط الله, هذا من ضعف الإيمان، إن ذممتهم على ما لم يؤتك الله من ضعف الإيمان, إن مدحتهم على فضل الله من ضعف الإيمان, إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهة كاره, وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط, إذا الإنسان رضي بنصيبه من الله, كل واحد له نصيب من الله، كل واحد أعطاه قواماً معيناً, أولاداً، زوجة, هكذا قدرك, هذا اختيار الله لك, الإنسان زوجته وأولاده قدره, رزقه قدره, فالمؤمن رضاه بما أعطاه الله أحد أسباب سعادته, والمنافق والكافر دائماً ساخط على الله, يقول لك: ما أعطاني, ينسى، لو تعطلت كليته لأصبحت حياته جحيماً, لو اختل عقله لكان محله في المستشفى, هو عمّر البيت وزينه، من يتوسط لدخوله المستشفى؟ أولاده, عقلك أكبر نعمة.



إنسان يمشي وجد شخصاً مجنوناً في الطريق, ما فائدة المجنون في الطريق؟ له فائدة، أحياناً الإنسان يغفل عن نعمة الله عز وجل, لا يعرفها، إذا وجد مجنوناً يعرف حقيقة نعمة العقل, أحياناً يولد مئة ألف طفل سليم يأتي طفل واحد معه ثقب بوتال, ما فائدة ذلك؟ له فائدة تربوية, عندما يولد الطفل سليماً هذه قضية ليست سهلة, ثقب بين الأذينين إذا لم يغلق مشكلة، عملية باهظة التكاليف, أحياناً الاستثناء من القاعدة له هدف تربوي, ليلفت الله عز وجل النظر إليه.

كل البقر مذلل تأتي واحدة متوحشة، يكون ثمنها سبعين ألفاً، يطلق عليها صاحبها النار, مرض توحش البقر مفيد من أجل أن تعرف تذليل البقر, يخاف من عقرب, أما البقرة فلا يخاف منها، مذللة, طفل يقود جملاً, أما الحية فيخاف منها الإنسان, الغنم مذلل أما الضبع فغير مذلل.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: " بئس العبد المحتكر إن أرخص الله عز وجل حزن، وإن أغلاها فرح" إذا الله عز وجل ضاعف إنتاج فاكهة معينة, يقول: لا أستطيع أن أبيعها لأن إنتاجها وفير, بئس العبد المحتكر إن أرخص الله عز وجل حزن، وإن أغلاها فرح.

فرح الله عز وجل بالعبد إذا عرفه وأقبل عليه :

يوجد حديثان لطيفان:" إن في الجنة داراً يقال لها دار الفرح، لا يدخلها إلا من فرح الصبيان", وهناك رواية ثانية لهذا الحديث:" لا يدخلها إلا من فرح يتامى المؤمنين" وهذا رمضان شهر الجبر، شهر الصدقة، شهر الإكرام, الإنسان يتفقد أقرباءه, له أخت زوجها ضعيف الحال, أخت زوجها متوفى, يتفقدهم.

((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِئة ضِعْفٍ, قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: إلا الصَّوْمَ, فَإِنَّهُ لِي, وَأَنَا أَجْزِي بِهِ, يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي, لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ, فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ, وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ))

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

رمضان الذي صامه وقامه, الصيام بالنهار والقيام في الليل, ينتهي رمضان ويبقى الأجر, الذي أفطره ولم يصمه يأتي العيد مثله مثل غيره, الإثم عليه, الطاعة تنتهي والمعصية تنتهي لكن الذي يبقى الأجر, إن الله عز وجل يبغض الفرحين, الذي يفرح بالدنيا قال تعالى:

﴿ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

[سورة القصص : ٧٦]

إذا أنت عندك ابن يلعب طاولة وهو محرم, هل تفرح إذا غلب أم تفرح إذا أخذ علامة عالية في المدرسة؟ هل تعتز بهذا الابن لأنه يلعب أم لأن أخلاقه عالية؟ إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين, إن وجد عبده يفرح بالدنيا، بالمال, بسيطرته على الآخرين, هذا أحمق، الله يفرح بالعبد إذا عرفه، وإذا أطاعه وأقبل عليه, هذه بعض الأحاديث المتعلقة بالفرح:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾

[سورة هود: ٢٨]

جعلنا الله ممن يرحمهم, لا تعبأ بكلام الناس، فلان تمشيخ واستقام، يقول لك: متزمت, هذا كلام فارغ، عندنا منهج ينبغي أن نمشي عليه تعليمات الصانع، أنت لست معقولاً أن تقول لميكانيكي: البرغي أقل لا يدور، وأكثر لا يدخل, هذا منهج لا تشدد، ولا تدقق, قال تعالى:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجر : ٩٢-٩٣]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (٣-٨) : سرّ السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم في رحاب جامعتنا جامعة قطر ، وبعد قول السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد صلاتي على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه صلاة أرجو أن نزدلف بها إلى رحمة الله وجناته .
وما زالت الإنسانية منذ بدأتها تبحث عن جزئها الذي يكمل جمالها ، وقد بحثت المرة تلو المرة فوجدته في مادة اسمها السعادة ، وما زال المتذوقون الأفذاذ من بني الإنسان يقصدون طريقها ، ويطلبون أسرارها ، حتى يصلوا إلى حقيقة السعادة الإنسانية العليا ، وها هو ضيفنا العلّامة النابلسي واحد من هذه الثلة المباركة التي تلمست أسباب هذه السعادة في تجربة غنية ممتدة على عشرات السنين ، يضعها الساعة بين قلوبنا في دقائق معدودات ، وليس لي أن أعرف بالعلّامة الشيخ وهو الذي طافت شهرته الآفاق ، وبلغ نفعه الملايين ، فزرع الخير ونثر السعادة في القلوب المتعطشة لها ، كيف وهو رئيس هيئة الإعجاز القرآني ، وعالم قد غاص في درر القرآن وآلائه ، فكانت خواطره النافذة تفسيراً بديعاً في عشرة أجزاء لخص فيه التذوق والمعرفة والعلم والسعادة النفسية في جنب القرآن والسنة النبوية ، كيف وقد نظر في أسماء الله الحسنى فشرحها شرح العالم المتأمل المتذوق للبيان ، فكان كتابه بها من فرائض ما كُتب في بابه ، ومرجعاً أساسياً لطلابه ، هذا غيض من فيض ، وقليل من كثير ، ولعل سماعه خير تقديم له ، فليتفضل سعادة الدكتور العلّامة فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي مشكوراً مأجوراً.

عبادة الهوية:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وُحول الشهوات إلى جنّات القربات .



أيها الأخوة الكرام ؛ أيتها الأخوات الفضليات ؛ قبل أن أبدأ ورد هذا النص :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا – رسول الله أول إنسان يمسك بحلق باب الجنة – فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت : من هذه يا جبريل ؟ – الآن استمعوا كيف أجاب الرسول الكريم– قال : هي امرأة ربت أولادها))

[الأدب المفرد للبخاري]

أي عبدت ربها فيما أقامها ، أقامك أماً ، أقامك زوجةً ، أقامك بنتاً ، فالمرأة حينما تعبد الله فيما أقامها تدخل جنة ربها ، أي هذا يستدعي موضوعاً لطيفاً جداً عبادة الهوية ؛ أنت من ؟ أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي عبادتك الأولى إحقاق الحق ، أنت عالم عبادتك الأولى تعليم العلم ، أنت امرأة عبادتك الأولى أن تقومي بالمهمة التي أناطها الله بك :

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله – أي يعدل الجهاد في سبيل الله والجهاد ذروة سنام الإسلام–))

[ابن عساكر و البيهقي فى شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

أقول هذا لأن المرأة لها دور كبير وخطير في المجتمع ، يجب أن تعلمي أيتها الأخت مقدار الدور الذي أناطه الله بك هذه بداية .

الجامعة و الجامع مؤسستان متكاملتان وليستا متناقضتين :

أولاً : وأنا في جامعة ، وأذكر لكم أنني درست في الجامعة في دمشق في كلية التربية ثلاثة وثلاثين عاماً ، وفي عملي الدعوي يمكن أن أعتذر عن مئات الدعوات إلا دعوة الجامعة ألبيها من دون تردد لأني أجد نفسي في الجامعة .

أخواننا الكرام ؛ أخواتنا الفضليات ؛ الأمة بجامعاتها ، أي تقدمها ، قوتها ، حضارتها ، تفوقها بجامعتها ، والجامعة مؤنث والجامع مذكر ، والرجال قوامون على النساء ، الجامعة مؤنث والجامع مذكر ، أي شيئان في الأمة ؛ في الجامعة نتعلم مختلف العلوم ، وفي الجامع نتعلم طريق الوصول إلى خالق السموات والأرض، هاتان المؤسستان متكاملتان وليستا متناقضتين ، الجامعة تكمل الجامع ، والجامع يكمل الجامعة ،

أي الشيء بالشيء يذكر ؛ يقع على رأس الهرم البشري فئتان كبيرتان ؛ الأقوياء والأنبياء ؛ الأقوياء ملكول الرقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب ، وشتان بين أن تملك رقبة الإنسان وبين أن تملك قلبه ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، والأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، ولا ترتقي عند الله بقدر ما تأخذ ، ولكن ترتقي بقدر ما تعطي ، الأقوياء عاش الناس لهم ، والأنبياء عاشوا للناس ، وجميع البشر أتباع للأقوياء أو للأنبياء ، فكل بطولة أخواتنا الفتيات ، وأخوتنا الذكور ، أن يكونوا من أتباع الأنبياء .

مهمة الجامعة :

أخواننا الكرام ؛ الجامعة ما مهمتها في الأصل ؟ في الأصل أن تخرج قادة للأمة ، والجامع مهمته أن يخرج مرشدين للأمة ، هناك قيادة و هناك إرشاد ، لكن لا بد من هذا التعليق.

هناك دول متخلفة جداً الجامعة مدرسة يدخلها الطالب جاهلاً متواضعاً ، يتخرج منها جاهلاً متكبراً فقط ، أضيف له التكبر هذا في الدول المتخلفة ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون بلدكم من البلاد الراقية ، أنا والله أحبّ هذا البلد ، ويوجد فيه إيجابيات كبيرة جداً أتمنى أن تعرفوها أنتم ، لأن دوام النعمة ينسي هذه النعمة ، لذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " اللهم أرنا نعمك بدوامها لا بزوالها ".

حينما تزول النعمة تراها صارخةً ، أما وأنت فيها قد لا تراها ، ووفاءً بحق الله أن نشكر النعم التي أُكرمتم بها في هذا البلد .

الإنسان خاسر لأن مضي الزمن يستهلكه :



من الإنسان ؟ قال : من عرف نفسه عرف ربه ، ما الإنسان ؟ الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك ، لأنك زمن ، أو لأن رأس مالك هو الزمن ، أو لأن أثمن ما تملكه هو الزمن أقسم الله لك بمطلق الزمن فقال لك :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر : ١-٢]

خاسر ، لم ؟ لأن مضي الزمن وحده يستهلكك ، قبل أن تقول : مؤمن وغير مؤمن، محسن أو مسيء ، مضي الزمن وحده يستهلك الإنسان ، لذلك جاء جواب القسم إنك أيها الإنسان خاسر و تستطيع أن تتلافى الخسارة فيما بعد إلا :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا ﴾

[سورة العصر: ١-٣]

أربعة أشياء قال عنها الإمام الشافعي : هذه أركان النجاة ، إلا الذين آمنوا أي بحثوا عن الحق والحقيقة ، وعملوا الصالحات أي تحركوا وفقها ، وتواصوا بالحق دعوا إليها ، وتواصو بالصبر صبروا على البحث عنها ، والعمل بها ، والدعوة إليها .

بطولة الإنسان أن ينفق وقته استثماراً لا استهلاكاً :

أخواننا الكرام ؛ أنت زمن ، أنت وقت ، أنت بضعة أيام ، فالبطولة أن تكون بطلاً في إنفاق الزمن ، هذا الزمن ينفق استهلاكاً أو ينفق استثماراً ، ينفق استهلاكاً ؛ نأكل ونشرب وننام و نسهر ونسمر ونتابع بعض المسلسلات ثم نستيقظ نذهب إلى العمل ونعود إلى البيت نأكل وننام ونستيقظ ونسهر ونسمر وننام هذا العمل الرتيب الذي لا معنى له يجعل حياة الإنسان تافهة :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

أخواتنا الكرام ؛ دققوا في وصف القرآن الكريم لهؤلاء الذين شردوا عن الله قال تعالى:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

هذا الإنسان الذي شرد ما عرف الله ، ما عرف كتابه ، ما عرف سنة رسوله ، ما انضبط بمنهجه ، ما بحث عن الآخرة ، ما قدم عملاً صالحاً ، ما كان أباً كاملاً ولا أماً كاملةً ، ولا كان موظفاً مخلصاً ، الإنسان الشارد هو عند الله ميت :

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: ٢١]

غير ميت :

﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾

[سورة المنافقون: ٤]

جماد أو :

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾

[سورة الفرقان : ٤٤]

بهائم أو كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، هذا كلام من ؟ كلام خالق السموات والأرض، ميت ، خشب ، أنعام ، دابة .

الهدى خيار مصيري :

خيارك بالهدى خيار صعب ، خيار مصيري ، الهدى ليس وردة تتزين بها ، الهدى هواء تستنشقه :

﴿ فإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص:٥٠]

و:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص: ٥٠]



لعل بعضكم اختصاصه شريعة ، يوجد لدينا معنى مخالف أي عكسه ، أي الذي يتبع هواه أي شهوته وفق هدى الله لا شيء عليه ، في الإسلام لا يوجد حرمان ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها ، أكيد في الإسلام لا يوجد حرمان ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها عندنا مئة وثمانون درجة ، أي أنّ أي شهوة من دون استثناء لك أن تتحرك فيها مئة وعشر درجات ، والباقي ممنوع ، تتزوج تسعد بهذا الزواج ، يكون هناك لقاء زوجي ، وتصلي قيام الليل، وتبكي في الصلاة ضمن المنهج ، ضمن الخطة الإلهية ، ضمن المباح ، ضمن المندوب.

أي إنسان يقول لك أحياناً : - بدأ وجود هذا المثل في بلادكم - امش في جنازة ولا تمش في زواجة - هذا كلام الشيطان ، اسمعوا كلام سيد الأنبياء :

((من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة قالها وبكل خطوة خطاها عبادة سنة قام ليلها وصام نهارها))

يجب أن تفرق بين كلام الشيطان وبين كلام الرحمن ، فالإنسان عندما يطلب العلم يتحرك وفق هدف دقق :

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة الملك]

هدفه واضح ، والوسائل له واضحة ، لكن للتقريب لو أن إنساناً وجد نفسه في باريس ، وسأل سؤالاً عجيباً : إلى أين أذهب ؟ نقول له : لماذا جئت لهذا المكان أصلاً ؟ إن جئت طالب علم إلى السوربون ، إن جئت سائحاً إلى برج إيفل ، إن جئت تاجراً إلى الأسواق ، فأنت كائن متحرك ، ما الذي يسدد حركتك ؟ أن تعرف سرّ وجودك .

الغرق في الجزئيات أحد أكبر أمراض الأمة :

سؤال كبير وأكبر من كبير ؛ لماذا نحن في الأرض ؟

أخواننا الكرام ؛ أقول كلاماً دقيقاً جداً : أحد أكبر أمراض الأمة الغرق في الجزئيات؛ قائمة أعمال ، دفع الفاتورة ، لقاء فلان ، محاسبة فلان ، إقامة دعوى على فلان ، تأمين غرفة نوم مثلاً ، جزئيات .

الإنسان كائن متحرك والعبادة علة وجوده على سطح الأرض :

أنت من ؟ أنت المخلوق الأول ، لماذا أنت في الدنيا ؟

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: ٥٦]

ما العبادة ؟ طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية ، علة وجودك هنا العبادة ، كأن نقول لهذا الطالب في باريس : لماذا جئت إلى هذا المكان ؟ إن جئت طالب علم إلى السوربون ، إن جئت سائحاً إلى برج إيفل ، إن جئت تاجراً إلى الأسواق ، فأنت كائن متحرك . وبالمناسبة ما الذي يجعلك كائناً متحركاً ؟ هذه الطاولة كائن ساكن ، أنت متحرك ، يدفعك إلى الحركة الحاجة إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقاء الفرد ، يدفعك إلى هذه الحركة الزواج حفاظاً لكن هذا من دون

أن تشعر على بقاء النوع ، لولا الزواج لفني البشر من آلاف السنين ، يوجد حاجة للزواج ، البشر يتوالدون ، لا يكفي أكلت وشبعت وشربت وسكنت ببيت وتزوجت وأنجبت لا يكفي ، عندك حاجة ثالثة خطيرة جداً درسناها في علم النفس اسمها : تأكيد الذات ، أنت تريد أن تكون أول طبيب ، تريد أن يشار إليك بالبنان ، أن تكون أول محام ، أول قائد ، أول صناعي ، الحاجة إلى التفوق من أجل تأكيد الذات ، الحاجة إلى الطعام من أجل بقاء الفرد ، الحاجة إلى الزواج من أجل بقاء النوع ، الحاجة إلى تأكيد الذات من أجل بقاء الذكر .

مرة قلت لطلابي من يذكر لي خمس أكبر تجار في الشام عاشوا عام ألف وثمانمئة وستة وثمانين ؟ لم يعرف أياً منهم الجواب ، فقلت لهم : ولا أنا أعرف أيضاً ، وأنا لا أعلم ، لكن مثلاً سيدنا صلاح الدين الأيوبي ، سيدنا خالد ، سيدنا عمر ، أنا أخاطب شابات وشباب ، لم لا تحب أن تكون لك بصمة في الحياة؟ لماذا تحب أن تكون من بين مليارات من الشباب والشابات جاؤوا إلى الدنيا وغادروها ولم يدر بهم أحد ؟ لماذا تحب أن تكون من الدهماء ؟ من السوقة ؟ لماذا لا تكون من الأعلام ؟ سيدنا عمر جاءه ملك الغساسنة أعلن إسلامه ، رحب به، ذهب ليؤدي عمرة ، أثناء طوافه حول الكعبة بدوي من قبيلة فزارة داس طرف ردائه فانخلع رداؤه عن كتفه – هو ملك – فضرب هذا الأعرابي الفزاري ضربة هشمت أنفه ، فشكاه إلى سيدنا عمر، سيدنا عمر استدعى جبلة ، ملك استدعاه ، وإذا بجانبه رجل بالتعليل المعاصر من دهماء الناس ، من سوقتهم ، من عامتهم ، أي بالطبقة الدنيا الدنيا ، شاعر معاصر صاغ الحوار شعراً قال سيدنا عمر لجبلة : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ فقال جبلة : لست ممن ينكر شيا – أي شيئاً هذه مسهلة ، همزة مسهلة – أنا أدبت الفتى أدركت الفتى بيدي ، قال له سيدنا عمر : أرض الفتى لا بد من إرضائه ما زال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك –عصر مبادئ– وتنال ما فعلته كفك ، صعق قال : كيف ذاك يا أمير هو سوقة وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟ قال : نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جليلاً وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً ، فقال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز أنا مرتد إذا أكرهتني ، قال له : عنق المرتد بالسيف تحز ، عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى ، هذا عصر مبادئ بعده عصر أشخاص، سيدنا صلاح الدين ، قطز ، هؤلاء القادة الكبار الذين صمدوا أما الغزو التتري ، هؤلاء الذين تألقوا، العصر الثاني عصر رجال ، مع الأسف الشديد الشديد نحن الآن في عصر أشياء ، هناكي عصر أبطال ، عصر مبادئ ، عصر أشياء ، تستمد قيمتك من مساحة بيتك، ومن نوع مركبتك ، لا يكفي نوع المركبة ، هناك مرسيدس مئة وثمانون ، قال : أنا عندي ستمئة، يستمد كل مكانته من سيارته ، من بيته ،

من دخله ، مثلاً أنا والله لا أصدق إذا كان لوحة مركبة رقمها قليل سعرها يقدر بخمسين مليوناً ، ما هذه القيمة ؟ ماذا قدمت ؟ أشياء ما أنزل الله بها من سلطان .

الإنسان هو المخلوق الأول عند الله عز وجل :

أخواننا الكرام ؛ نحن في معركة الحق والباطل يجب أن نتمسك بالحق ، فالإنسان –الآن دخلنا في بعض تفاصيل الموضوع – هو المخلوق الأول عند الله ، الأول لأنه عندما عرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان .



الإنسان قال : أنا لها يارب ، أنا لها ، من هنا يجب أن نقول : الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، وما لم نغذ عقولنا بالعلم ، وقلوبنا بالحب ، وأجسامنا بالطعام والشراب ، هبطنا عن مستوى إنسانيتنا إلى مستوى لا يليق بنا .

تعريف الحياة الطيبة :

الآن لو اقتربنا من عنوان هذا اللقاء الطيب الحياة الطيبة ، والحياة الأخرى المعيشة الضنك ، الحياة الطيبة والمعيشة الضنك :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل : ٩٧]

ما الحياة الطيبة ؟ صدقوا ولا أبالغ لو ذهبنا لساعة مديدة نتحدث عنها لا نفيها حقها ، لماذا ؟ لأن الحياة الطيبة سكينة ، والسكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، سكينة ، سعادة ، طمأنينة ، توازن ، رضا ، محبة ، تألق ، حكمة، أكبر عطاء إلهي السكينة ، تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، الرضا سعادة ، راض عن الله ، راض عن جنسك ، راض عن عملك ، راض عن إمكاناتك ، راض عن أولادك ، راض عن أي قضاء قضاه الله لك ، حلاوة الإيمان رضا :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل : ٩٧]

فالجواب الحياة الطيبة فوق كل الظروف والأجواء والأقاليم والبلاد والعباد ، حياة طيبة ، زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

[سورة النور:٥٥]

وعد الله عز وجل :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾

تقصير العباد بما كلفوا به من عبادة يجعل الله في حلّ من وعوده :



أخواننا الكرام ؛ عودوا أنفسكم دائماً أن تقبلوا الحقيقة المرة ؛ هل نحن مستخلفون في الأرض؟ لا والله ، هل نحن ممكنون في الأرض ؟ لا والله، هل نحن آمنون ؟ هذه الحقيقة المرة، والحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، لذلك :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

قانون الاستخلاف .

وقال : يمكنن لهم دينهم ، قد نقول ولا نبالغ : إن هذا الدين الإسلامي العظيم يواجه حرباً عالمية ثالثة كانت تحت الطاولة واليوم فوق الطاولة جهاراً نهاراً ، أحد أعضاء الكونغرس يقول : لن نسمح بقيام حكم إسلامي في الشرق الأوسط ، والتجارب تعرفونها ، من عمل صالحاً يجب أن تعتقد أن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

[سورة النور:٥٥]

الثلاثة غير محققة ، الجواب بآخر كلمة بالآية يعبدونني ، فإذا قصر العباد بما كلفوا به من عبادة فالله جل جلاله في حلّ من وعوده الثلاثة .

الحياة الطيبة أكبر عطاء إلهي للإنسان :

هذا اللقاء الأول وهذا المحور الأول عن الحياة الطيبة ، والله مهما توجهنا إلى شرحها لا نفيها حقها ، وعد الله أن :

﴿ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة البقرة : ٢٦٩]

سيتمتع بالمحبة ، و الرؤية الصحيحة ، والنظر الثاقب ، والتألق ، والثقة بالله عز وجل ، الحديث عن الحياة الطيبة الحقيقة يوجد جواب واحد لا يعرفها إلا من ذاقها ، مثلاً لو قلنا لك : صف لنا طعم التفاح ، تقول : حلو ، والإجاص حلو ؟ والعنب حلو ؟ أريد وصفاً خاصاً للتفاح ، لا تستطيع ، يوجد أشياء مستحيلة ، الحياة الطيبة أكبر عطاء إلهي ، أكبر سبب للسعادة ، أكبر سبب للحكمة ، أكبر سبب للقرار الصحيح ، للنظر الثاقب ، أكبر سبب كي تنجو من مطبات الحياة :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾

[سورة النحل : ٩٧]

والله يا أخواتي الكريمات ويا أخوتي الكرام يجب من هذه الدقيقة أن نتخذ قراراً :" إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله"

هذه الحياة الطيبة حياة الاتصال بالله ، حياة التوكل على الله ، حياة أن تستنير بنور الله ، حياة اليقظة ، حياة الإدراك ، حياة السكينة ، حياة الفطرة السليمة ، حياة الأسرة المتماسكة، حياة النجاح في العمل ، حياة النجاح في صحتك .

النجاح و الفلاح :

أخواتنا الكريمات ؛ كان قديماً يوجد نجاح ، الآن النجاح لا وزن له كثيراً إذا وزن بالفلاح ، الفلاح أن تحقق الهدف من وجودك ، وجدت للجنة ، وجدت لمعرفة الله ، وجدت لطاعته ، وجدت للعمل الصالح ، فإذا عرفت الله من خلال الكون ، وعرفت منهجه من خلال الشرع ، وطبقت منهجه تقربت إليه ، والآيات كثيرة جداً :

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[سورة البقرة :٣٨]

الآن :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾

[سورة طه :١٣٤]

سأل إنسان : فما بال الأغنياء والأقوياء أي معيشة ضنك ؟ فكان الجواب جواب أحد العلماء : ضيق القلب .

يوجد سعادة داخلية ويوجد سعادة خارجية ، فضيق القلب من لوازم المعرض عن الله، والآية واضحة :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ ﴾

لذلك إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، هذا عمل القلب شيء مخيف :

﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾

[سورة آل عمران :٥٨]

القدوة قبل الدعوة :

يمكن أن نقول : القرآن كون ناطق ، والكون قرآن صامت ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، تعليقي ما لم ير المسلمون اليوم إسلاماً يمشي أمامهم لن يقنعوا به ، لذلك قالوا : القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، والأصول قبل الفروع ، والتربية لا التعرية .



القدوة قبل الدعوة ؛ أنت أب يكفي أن تكون كاملاً ولو لم تنطق بكلمة ، فالأولاد يقلدوك ، أنت كأم لو لم تنطقي بكلمة توجيهية يكفي أن تراك ابنتك في الثياب يوجد حشمة و أدب و وعي و علم و كلام سديد حتى تحترم هذا الاتجاه ، فالقدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، والأصول قبل الفروع ، ومخاطبة القلب والعقل معاً ، هل مرّ معكم آية تخاطب العقل والقلب معاً ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾

[سورة الانفطار :٦]

يخاطب القلب :

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾

[سورة الانفطار : ٧]

يخاطب العقل ، فأنت كداعية ، كمرشد ، كمعلم ، كأستاذ ، كمدرس ، كأم ، كأب ، يجب أن تخاطب في أولادك عقولهم وقلوبهم ، أي لو تصورنا أن إنساناً قلد إنساناً مؤمناً هل ينجو ؟ الجواب : لا ، لأن العقيدة أخطر ما في الدين ، و هي لا تقبل تقليداً ولا ترديداً ، لا تقبل إلا بحثاً ودراسة ، الدليل :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[سورة محمد:١٩]

قد نستنبط أنه لا بد من أن تقتطع وقتاً من وقتك الثمين لمعرفة الله ، والآن الأشياء بين أيديكم العبد الفقير لي موقع في الأنترنيت يزوروه في اليوم مليون زائر ، يسحب منه في اليوم مليونا ملف ، تعرفونه هو : الحج غوغل ، اكتب اسمي فقط ، كل شيء فيه ، تفسير القرآن بكامله ، هناك مكان اسمه : تحميل كتب ، يوجد

أربعة وستون كتاباً بكبسة زر يتحمل الكتاب كله ، كتاب الإعجاز ، كتاب الأسماء الحسنى ، يتحمل كله بكبسة زر ، لا يوجد وقت العلم متوافر كهذا الوقت .

إعجاز القرآن الكريم :

مرة ثانية : كانت الأرض خمس قارات ، قارة بلد مدينة قرية بيت غرفة مكتب سطح مكتب ، الآن الارض كلها سطح مكتب ، انتفعوا من هذه الخاصة ، كنت مرة بمالبورن في أستراليا ، آخر مدينة في الأرض ، بينها وبين القطب الجنوبي مسافة قليلة ، يوجد فيها معهد شرعي ، فيها إذاعة إسلامية ، ماذا قال النبي الكريم ؟ قال : " يبلغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ".

هذه بشارة النبي الكريم ، مثل بسيط ؛ السيارة المحرك فيها هو الشهوة – قوة دفع– والمقود هو العقل ، والطريق هو الشرع ، فبطولتك أن تستخدم المحرك كي تندفع المركبة ، وأن تحدد مسارها بالمقود ، وأنت تبقيها على الطريق المعبد ، هذا أول عمل .

أنا بجامعة وأعتقد لأنني بجامعة هنا إذا تكلمنا عن قضية علمية تتحملون ذلك ، النظرية النسبية جاء بها أينشتاين ساد بها على أهل الأرض ، هل تصدقون أن هذه النظرية النسبية مدرجة ببضعة كلمات في القرآن الكريم ؟ شيء لا يصدق ، النظرية النسبية التي كشف بها أينشتاين سرعة الضوء المطلقة ، السرعة المطلقة في هذا الكون هي سرعة الضوء ، ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية ، هذا البحث عرض في مؤتمر الإعجاز السادس في موسكو ، حجمه يقدر بثمانين صفحة سوف أضغطه في دقيقة أو دقيقتين ، لو أخذنا مركز الأرض ومركز القمر، القمر يدور دورة حول الأرض كل شهر ، الأرض كرة والقمر كرة لو أخذنا مركز الأرض ومركز القمر ووصلنا بينهما بخط ، ما هذا الخط ؟ هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض ، ضرب اثنين القطر ، ضرب البي ٣,١٤ هذا المحيط ، هذا في الشهر ، ضرب اثني عشر في السنة ، ضرب ألف في ألف سنة ، والله لا أبالغ الابن الصغير مع آلة حاسبة ومع ثلاثة معطيات يقول لك كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام ، معنا رقم كبير جداً لو قسمنا المسافة على الزمن تنتج معنا السرعة ، تقسيم ألف سرعة الدوران في السنة ، تقسيم ثلاثمئة وخمسة وستين في اليوم ، تقسيم أربع وعشرون في الساعة ، تقسيم ستين في الدقيقة ، تقسيم ستين في الثانية ، سرعة الضوء ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد ، الآية :

﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج :٤٧]

هذه النظرية النسبية التي جاء بها أينشتاين ، أينشتاين كان عالماً كبيراً جداً ، وكان له سائق ، هذا السائق عندما زار أمريكا ألقى أينشتاين النظرية النسبية في خمس وثلاثين ولاية ، بقيي الولاية السادسة و الثلاثون ترجاه سائقه أن يلقيها عنه – السائق حفظها ذكي ذاكرته قوية– فسمح له فقدم أينشتاين السائق في المحاضرة، فتحدث بها كلمة كلمة لم يغلط أبداً ، رفع برفيسور في الجامعة أصبعه وطرح عليه سؤالاً كبيراً جداً فقال له : سؤالك سخيف جداً ، والدليل أنا سأجعل السائق يجاوبك .

آيات الله في الكون تكوينية و قرآنية و كونية :

أخواننا الكرام ؛ الآيات كونية خلقه ، الآيات التكوينية أفعاله ، لما ركبوا بالتيتانيك من بريطانيا إلى بوسطن ، وزعوا على الركاب نشرة ، النشرة يوجد فيها : إن القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة ، فغرقت في رحلتها الأولى والقصة معروفة عندكم ، قال بعض القساوسة : هذا درس بليغ من السماء إلى الأرض ، أرسلوا مركبة اسمها تشالينجر المتحدي بعد سبعين ثانية من إطلاقها أصبحت كتلة من اللهب ، فلذلك هذه أفعاله التكوينية ، له آيات كونية خلقه ، آيات تكوينية أفعاله ، وله آيات قرآنية كلامه ، في كلامة تتدبر :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾

[سورة النساء: ٨٢]

وبآياته التكوينية تنظر :

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

[سورة الأنعام : ١١]



آيات الله في الكون

و في آياته الكونية تتفكر :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران :١٩٠-١٩١]

أركان الدين :

في نهاية هذا اللقاء الطيب وأنا به سعيد جداً ورد هذا الأثر القدسي هذا الأثر عجيب يوجد فيه تقريباً أركان الدين كله :

((ليس كل مصلٍّ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي – الإيمان بالله العظيم– وكفّ شهواته عن محارمي – الاستقامة– ولم يصر على معصيتي – التوبة– وأطعم الجائع – العمل الصالح– ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب ، كل ذلك لي – الإخلاص– وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له حلماً ، والظلمة نورا ، يدعوني فألبيه ، ويسألني فأعطيه، ويقسم عليّ فابرِه ، أكلأه بقربي ، وأستحفظه ملائكي ، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ، ولا يتغير حالها))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

أرجو الله لكم أن يحفظ إيمانكم وأهلكم ومن يلوذ بكم وصحتكم واستقرار بلادكم ، وأن يحقن دماء المسلمين في كل مكان ، وأن يحقن دماءهم في الشام . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خاتمة و توديع :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، وأحب المجلس التمثيلي المنظم مع الأخوة أن يقدم لكم هدية رمزية يقدمها أخي أحمد نوح ثاني رئيس المجلس التمثيلي فليتفضل .

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة : السعادة الأبدية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

أعزائي المشاهدين ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مرحباً بكم جميعاً إلى حلقة جديدة من حلقات ربيع الإيمان ، مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، مرحباً بكم فضيلة الدكتور ، و أهلاً و سهلاً بكم، و جزاك الله خيراً على تشريفنا في هذا اللقاء .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم .

المذيع :

أعزائي المشاهدين ؛ وصلنا في الحلقة الماضية عند الحديث عن : جاهد تشاهد ، دكتور هذه الكلمة الرائعة التي تختصر الكثير الكثير ، معرفة الله عز وجل تحتاج إلى مجاهدة لكي يصبح الإيمان مشاهداً ، كأن الإنسان شاهد كما يشهد على قضية ما ، هل جليت لنا الأمر ووضحت بارك الله بك ؟

السلامة و السعادة مطلب كل إنسان على سطح الأرض :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



الحقيقة الرقم السابق ستة آلاف مليون ، اليوم الرقم سبعة آلاف مليون عدد سكان الأرض ، سبعة آلاف مليون ما منهم واحد على الإطلاق إلا ويبحث عن شيئين ؛ عن السلامة والسعادة.

ألا يكون مريضاً ، هناك ورم خبيث ، و فقر ، و مصائب لا تعد ولا تحصى ، والسعادة ، السلامة وضعها سلبي والسعادة إيجابي ، لكن لماذا الشقاء في الأرض ؟ نقص علم ، لذلك أزمة أهل النار في النار أزمة علم فقط ، والدليل قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك : ١٠]

فالإنسان حينما يعرف الحقيقة يسعد بها ، فالإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، العقل غذاؤه العلم ، والقلب غذاؤه الحب ، والجسم غذاؤه الطعام والشراب ، إذا غذى عقله بالحقائق لا بالأباطيل ، بالحقائق لا بالترهات ، لا بالضلالات ، لا بالأساطير ، القضية دقيقة جداً جداً سيدنا عمر يخاطب ابنه عبد الله ، ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ، ولا تأخذ عن الذين مالوا .



فنحن الآن رقم سمعته اليوم بالأخبار أن عدد سكان الأرض سبعة مليارات ، ما منهم واحد على الإطلاق إلا ويبحث عن سلامته وسعادته، أنت مبرمج ، مولف ، مفطور على حبّ وجودك ، وعلى حبّ سلامة وجودك ، وعلى حبّ كمال وجودك ، وعلى حبّ استمرار وجودك ، الآن سلامة الوجود وكمال الوجود واستمرار الوجود بطاعة الله ، لأن الله عز وجل هو الخالق ، هو الصانع ، وما من جهة في الكون ينبغي أن تتبع تعليماتها إلا الجهة الصانعة ، أي مواطن لو أن عنده كومبيوتر غال جداً وأصابه عطب هل يذهب إلى بائع الخضراوات إلى جاره ؟ مستحيل ، يذهب إلى الوكالة ، قال تعالى :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

سبعة مليارات إنسان همهم الأول السلامة والسعادة ، من أين يأتي الشقاء ؟ من الجهل ، لذلك الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، إنسان أفقه ضيق جداً أراد أن يسافر إلى أمريكا ، كنت في أمريكا سمعت هذه القصة ، زوجته ما سمحوا لها والقصة من أندر القصص ، وضعها في محفظة كبيرة وجعل لها ثقوباً ، جاءت مع العفش ، طبعاً الحرارة هناك تقدر بخمسين تحت الصفر فماتت ، ما الذي أماتها؟ الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

المذيع :

قالت الأعراب : لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه .

الدكتور راتب :

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، و إذا الآخرة فعليك بالعلم ، وإن أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، إذاً القضية أن الإنسان بفطرته أي إنسان من أي انتماء ، من أي جنس ، من أي عرق ، من أي لون ، من أي ثقافة ، يبحث عن سلامته وسعادته .

المذيع :

دكتور هذه السعادة هي الجزء المكمل للمنظومة ، أو الرباعية التي تفضلت بها في الحلقة السابقة ، وكنا قد وعدنا مشاهدينا الكرام أن نستكمل الحديث عنها ، وهي الطاعة الطوعية الممزوجة بالمحبة القلبية أساسها المعرفة اليقينية التي تفضي إلى سعادة أبدية .

همّ الإنسان الأول أن يكون سعيداً :

الدكتور راتب :

الإنسان لأنه قبِل حمل الأمانة كان عند الله المخلوق الأول ، فلما قبِل حمل الأمانة سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، قال تعالى :

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾

[سورة لقمان : ٢٠]

فالإنسان همه الأول أن يكون سعيداً ، يشقى بالجهل ، هناك من يقول دائماً : نحن عندنا أعداء تقليديون ؛ الصهيونية ، الاستعمار ، أنا لي رأي آخر : أكبر عدو لنا هو الجهل .

المذيع :

دكتور ليتك توضح هذه النقطة ، لماذا يكون الجهل أكبر أعدائنا في هذا الوقت ونحن نعيش ربيع العالم العربي وحديثنا عن ربيع الإيمان ؟

الجهل أكبر أعداء الإنسان :

الدكتور راتب :

لأن الإنسان أعقد آية في الكون ، وهذه الآلة لها تعليمات ، فأنت انطلاقاً من حبك لذاتك ، من حرصك على سلامتك ، أتمنى أن أسامح في هذه الكلمة الإنسان أحياناً انطلاقاً من أنانيته ينبغي أن يطيع ربه .

المذيع :

يحقق ذاته بطاعته لربه .

الدكتور راتب :



حينما يحرص على سلامته وسعادته ينبغي أن يطيع ربه ، لأن الطاعة تعليمات الصانع ، والنقطة الدقيقة جداً العلاقة بين الطاعة وبين ثمارها علاقة علمية ، علاقة سبب بنتيجة ، بمعنى لو جاءت جهة تنكر وجود الله إنكاراً كلياً ، وطبقت منهج الإسلام قطفت كل ثماره في الدنيا ، بمعنى أن منهج الله منهج موضوعي ، هناك علاقات علمية بين المقدمات والنتائج ، مثلاً بيت له بابان ؛ الأب ارتأى أن يقفل باب وأن يفتح باب ، أي يستعمل باب واحد، فجاء الابن خالف وخرج من الباب الذي منع الأب استعماله ، فضربه ، لا نجد علاقة بين السلوك بخروج طفل من باب هو مصنوع للخروج وبين تلقي العقاب ، العلاقة وضعية ، الأب وضعها ، ومعظم قوانينا

وضعية ليست علمية ، لكن حينما يضع الابن أصبعه على المدفأة المشتعلة وتحترق نقول : هناك علاقة علمية بين وضع الأصبع على المدفأة المشتعلة وبين احتراقها ، أنت حينما تؤمن تعلم أن كل أمر إلهي العلاقة بينه وبين النتائج علاقة علمية ، لذلك قال بعض علماء الأصول : علة أي أمر إلهي أنه أمر إلهي .

أذكر مرة عالماً أمريكياً هداه الله إلى الإسلام فالتقى مع عالم من الشام ، جاء موضوع لحم الخنزير ، فشرح له هذا العالم الذي من الشام ساعات مطولة على الدودة الشريطية ، ومضارها ، فبعد هذا الشرح المطول ابتسم هذا الذي أسلم في أمريكا ، قال له : كان يكفيك أن تقول لي : إن الله حرمه .

أنت مع طبيب قلب وبيتك في الطابق الثالث ، ولا بد من تبديله ببيت أرضي ، لا تناقشه أبداً ، أنت لا تناقش طبيب منعك من الملح ، طبيب من بني البشر لكنك تثق بعلمه لا تناقشه ، فكيف خالق الأكوان ؟ فلذلك النقطة الدقيقة علة أي أمر أنه أمر ، قال له : كان يكفيك أن تقول لي : إن الله حرمه ، هذا إيمان عال .

مرور المؤمن في حياته بمراحل ثلاث ؛ مرحلة التأديب والابتلاء والتكريم :

هناك حالة بالقرآن الكريم تؤكد عبودية الإنسان ، ابن في مقتبل شبابه ، ابن سيدنا إبراهيم ، وهو نبي ، قال الله له : اذبحه ، لا نقبل لا شرعاً ، ولا عادة ، ولا تقليداً ، لكن كأن هذه القصة تبين أن إبراهيم عليه السلام كان الأول في العبودية لله عز وجل ، نحن أحياناً نمتحن امتحان عبودية ، تأتي مشكلة وأنت مستقيم استقامة تامة ، قد تقع في حيرة ، أنا أقول دائماً : المؤمن يمر في حياته أو في علاقته مع الله بمراحل ثلاث ؛ مرحلة التأديب ، ومرحلة الابتلاء ، ومرحلة التكريم ، هذه المراحل قد تكون متداخلة وقد تكون متمايزة.



الإمام الشافعي سئل: أندعو الله بالتمكين ؟

قال : لن تمكن قبل أن تبتلى ! قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنون: ٣٠]

فلا بد من أن يمتحن الإسلام ، يمتحن فيما أعطاه ، وفيما أخذ منه ، إن الحظوظ التي وزعها الله في الدنيا توزيع ابتلاء ، هذا غني مادة امتحانه مع الله الغنى ، هذا فقير مادة امتحانه مع الله الفقر ، هذا قوي ، هذا ضعيف ، هذا وسيم ، هذا ذميم ، الله عز وجل وزع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء لكن الشيء الدقيق سوف توزع في الآخرة توزيع جزاء .

المذيع :

دكتور نقف عند توزيع الجزاء ونأخذ فاصلاً ونتابع ..

أعزائي المشاهدين ؛ مرحباً بكم مرة أخرى عوداً حميداً إلى حديقة ربيع الإيمان مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، وقفنا عند توزع الابتلاء وتوزيع الحظوظ ..

ومنطق العبودية القسري الإلزامي أعتقد أن هذا لا يشكل ولا يبني الحقيقة كاملة .

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء :

الدكتور راتب :

أقصد بالحظوظ الوسامة حظ إيجابي ، والدمامة حظ سلبي .



هناك إنسان وسيم وإنسان غير وسيم ، إنسان قوي بجرة قلم يحق حقاً ويبطل باطلاً ، إنسان عنده أفق واسع جداً ، إنسان محدود جداً ، إنسان ذكي وإنسان أقل ذكاء ، إنسان غني وإنسان فقير ، إنسان قوي و إنسان ضعيف ، القوة والضعف ، والوسامة والدمامة ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، هذه حظوظ ، حظه نصيبه ، فالإنسان نصيبه دخله محدود ، وهناك إنسان نصيبه دخله فلكي ، إنسان نصيبه أنه جميل الصورة ، إنسان آخر أقل جمالاً ، وإنسان دميم ، هذه الحظوظ موزعة توزيع ابتلاء ، توزيع امتحان ، لأن الحياة الدنيا أمام الآخرة صفر ، واحد في الأرض وأصفار إلى الشمس ما هذا الرقم ؟ كل ميلمتر صفر ، ثلاثة أصفار ألف ، ثلاثة أخر مليون ، ثلاثة ثالثة ألف مليون ، ثلاثة رابعة مليون مليون ، وإلى الشمس تخيل واحداً في الأرض وكل ميلمتر صفر إلى الشمس ، مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر ، هذا الرقم إذا نسب إلى اللانهاية صفر ، لا شيء ، الدنيا لا شيء ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾

[سورة الزمر : ١٥]

لذلك إذا أردت الدنيا فتعرف إلى الله عز وجل تأتيك وهي خاضعة لك .

المذيع :

وهي في الآخرة توزيع جزاء ، كيف يكون هذا ؟

توزيع الحظوظ في الآخرة توزيع جزاء :

الدكتور راتب :



بعض الأمثلة أحياناً في بلد فقير في آسيا معظم الفتيات يعملن في دول أخرى ، تركت زوجها وأولادها وتعمل في بيت أحياناً عشرين ساعة في اليوم ، أحياناً ثماني عشرة ساعة، بدخل مئة دولار أو مئة وخمسين دولاراً ، وامرأة ثانية تسكن في بيت أربعمئة متر ، له إطلالة رائعة ، ويقف أمام بيتها عدد من السيارات ، كل يوم وليمة ، كل يوم حفلة ، من بلد لبلد ، وتنتهي الحياة هكذا ؟ مستحيل وألف ألف مستحيل .

مرة أخ كريم ضرب مثلاً رائعاً ؛ إنسان دخل إلى مسرح فتح الستار وبدأ الفصل الأول ، أحد الممثلين آذى ممثلاً آخر ، أرخي الستار لا أحد يقوم لأن المسرحية لم تنته ، نريد أن نشاهد النهاية .

المذيع :

دكتور كيف نوظف هذه المعرفة باتجاه السعادة الأبدية ؟ كل واحد فيما قسم الله حظه في الدنيا ، أحدهم خلقه يتيماً ، وآخر خلقه ذكياً ، وآخر خلقه عالماً إلى آخره ، سمعنا وقرأنا عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم وظفوا هذه العطايا وهذه من الله توظيفاً صحيحاً ، كنت ذكرت لنا بعض القصص فيمن وظفوا هذه الحظوظ توظيفاً يدل على أنهم يعيشون سعادة راقية في الحياة الدنيا ، مثل قصة طبيب الأسنان الذي جاءته معلمة عندها مشكلة بأسنانها .

كيفية توظيف الإنسان حظوظه باتجاه السعادة الأبدية :

الدكتور راتب :

هو أحد أخواني طبيب أسنان متفوق جداً ، جاءته إنسانة علم بعدها أنها معلمة ، عندها مشكلة بأسنانها تحتاج إلى تقويم ، والتقويم أسعاره مرتفعة جداً ، مبلغ فوق طاقتها ، فاعتذرت وعادت ، هي إذا ابتسمت أمام طالباتها يبدو المنظر غير مقبول ، يصبح محط سخرية وضحك ، فلما علم أنها معلمة ودخلها محدود والمبلغ فوق طاقتها ، قال لي طلبتها مرة ثانية و قلت لها : هل تقبلين تقويم أسنانك هدية مني لوجه الله ؟ قالت له : جزاك الله خيراً ، يقسم بالله هذا الطبيب أنه عاش بسعادة لا توصف ، طبعاً هو عنده كل يوم عشرات الزبائن ومبالغهم كبيرة ومعه دخل كبير ، لكن هذه الإنسانة الفقيرة التي لا يوجد عندها إمكان أن تعمل تقويماً لأسنانها وقدم لها هذا الطبيب هذه الخدمة وابتغى بها وجه الله شعر بسعادة لا توصف .



يقول لي رجل آخر : أنا جئت إلى الشام الساعة الثانية عشرة في الليل ، وجدت إنساناً يقف مع امرأة ، والمرأة معها طفل – وقت أحداث لبنان القصة قديمة بالسبعينات – توقف جاؤوا إلى الشام ما عندهم مسكن ولا مأوى الساعة الثانية عشرة ليلاً ومعهم ابن مريض ، قال لي ذهبت إلى المستشفى هناك طبيب مناوب عالج هذا الطفل ، وأنا من صيدلية لصيدلية مناوبة أمنت الدواء ، الساعة الرابعة انتهى علاج الطفل مع الدواء ، قال لي : والله حوالي شهر وأنا بسعادة لا توصف ، إذا أردت أن تسعد قدم لله عملاً ، الناس يبحثون عن السعادة .

المذيع :

هناك مثال يقرب هذا المعنى بجلاء وبوضوح قصة هذا الجندي الأغر الذي بينه وبين اللواء مراتب كثيرة .

الدكتور راتب :



أنا أضرب هذه القصة ، هذا الجندي بأقل رتبة في الجيش سبعة ، عريف ، ليس بإمكانه بأي جيش في العالم أن يقابل العماد قائد الجيش ، بينه وبين العماد رتب ، رتب كثيرة عريف أو عريف أول ، مساعد أو مساعد أول ، ملازم أو ملازم أول ، رائد ، مقدم ، عقيد ، عميد ، لواء ، عماد ، لكن هذا المجند بأقل رتبة في الجيش يستطيع أن يدخل على العماد أعلى رتبة في الجيش بلا استئذان لو وجد ابنه في مسبح ويكاد يغرق فأنقذه ، لذلك ما الذي يجعلك مع الله ؟ العمل الصالح ، قال تعالى :

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر: ١٠]

الحقيقة أستاذ طالب جزاك الله خيراً ، الاستقامة سلبية ، أنا ما أكلت مالاً حراماً ، ما غششت ، ما كذبت ، طابع الاستقامة سلبي أما العمل الصالح ففيه عطاء وبذل للمال ، بذل من وقته ، من جهده ، من مكانته ، من جاهه .

المذيع :

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[سورة فاطر: ١٠]

دكتور ذكرت قصة رائعة لهذا الذي كان يصلح موتورات ماذا صنعت به التوبة ؟ وكيف وجد السعادة ؟

الغنى غنى النفس :

الدكتور راتب :

أحياناً موتور كهربائي يتعطل ، فصاحب هذا المحرك لا يفقه ما الذي حصل ، يأخذه لمن يعمل في إصلاح المحركات ، لف المحرك أجرته خمسة آلاف ليرة تقريباً ، هذا الأخ قبل أن يتوب يأتيه محرك شريطه الخارجي مقطوع يلحمه بثانية ويأخذ خمسة آلاف ، هو ما لفه أبداً فقط لحمه وأخذ خمسة آلاف ، قال لي :

بعد أن عرفت الله يكون الشرط خمسة آلاف يأتي بعد خمسة أيام جاهز ، كم تريد ؟ يقول له : خمس وعشرون ليرة ، من خمسة آلاف إلى خمس وعشرين ، يقول له : فيه خط مقطوع وصلته لك .

المذيع :

الغنى غنى النفس .

الناس زمرتان ؛ الأقوياء والأنبياء :

الدكتور راتب :

عفواً سامحني بهذه الكلمة : إن لم تنقلب مقاييس الإنسان مئة في المئة لا يعد مؤمناً ، المؤمن يسعده أن يعطي لا أن يأخذ ، يا من جئت الحياة فأعطيت و لم تأخذ ، أما غير المؤمن فيسعده أن يأخذ ، لذلك يقع على رأس الهرم البشري – وهو الآن سبعة آلاف مليون – زمرتان هم الأقوياء والأنبياء ، والأنبياء ملكوا القلوب و الأقوياء ملكوا الرقاب ، وشتان بين أن تملك قلب الإنسان وبين أن تملك رقبته .

المذيع :

دكتور هذه رسالة واضحة بليغة لكل الأقوياء على الأرض .

الدكتور راتب :

الأقوياء عاش الناس لهم ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء يمدحون في حضرتهم ، والأنبياء يمدحون في غيبتهم ، لذلك الناس جميعاً تبع لقوي أو نبي ، إن كنت تابعاً لقوي ، أنت قوتك بما تملك من سلطة ، أما إذا كنت تابعاً لنبي فقوتك بكمالك ، بعطائك ، فالأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، الأنبياء ملكوا القلوب ، الأنبياء عاشوا للناس ، أما الأقوياء فملكوا الرقاب ، وعاش الناس لهم ، ويمدحون في حضرتهم فقط لا في غيبتهم .

المذيع :

ولذلك المؤمن يجد السعادة الحقيقية عندما يقدم الصالحات للناس ويساعد الآخرين ، مساعدة الآخرين جنة النعيم .

السعادة الحقيقية يجدها المؤمن عندما يقدم الصالحات للناس ويساعدهم :

الدكتور راتب :

مرة كنت بجلسة ، فيها ثلاثون أخاً كريماً ، قال أحدهم : تقول : المؤمن سعيد ؟ مثله مثل أي إنسان آخر ، إذا كان هناك حر شديد يعاني المؤمن من الحر كما يعاني غير المؤمن ، إذا كان هناك أسعار مرتفعة يعاني

كما يعاني غيره ، فهو أكد أنه لا يوجد فرق بين المؤمن وغير المؤمن ، أنا قلت له مثلاً آخر : إنسان فقير جداً وعنده ثمانية أولاد ودخله لا يكفيه خمسة أيام ، دخله محدود جداً ، وعليه ديون ، له عم يملك خمسمئة مليون ولا يوجد عنده أولاد، ومات بحادث ، فهذه الثروة الفلكية انتقلت إلى هذا الفقير ، لكن إلى أن يقبض هذه المبالغ يحتاج إلى سنة ، بين براءات ذمة وروتين معقد لماذا هو في هذا العام أسعد إنسان ؟ إن رأى مركبة فارهة سآخذ مثلها ، إن رأى قصراً رائعاً سأشتري مثله ، هو دخل بالوعد ، الله عز وجل يقول :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة القصص: ٦١]

فالمؤمن وعد الله له بالجنة يمتص كل مشكلاته ، هو يعاني ما يعاني ، قال تعالى :

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنون: ٣٠]

لكن الله عز وجل وعده بالجنة .

خاتمة و توديع :

المذيع :

هذه أجمل الرسائل للباحثين عن السعادة ، دكتور نشكرك على هذه المعاني الراقية والماتعة . وأنتم أعزائي المشاهدين أشكركم شكراً جزيلاً ، وأرجو أن تكونوا قد استمتعتم كما استمتعت بصحبة فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، أعزائي المشاهدين ألتقيكم إن شاء الله في حلقة قادمة من ربيع الإيمان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس